



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان-

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

توظيف السياق عند ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز)

- دراسة نظرية تطبيقية -

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (علوم) في العلوم الإسلامية

تخصص: دراسات قرآنية

تحت إشراف الدكتورة:

بوسيف مختارية

من إعداد الطالب:

بوعكاز علي

لجنة المناقشة			
الصفة	مكان العمل	الرتبة العلمية	الإسم واللقب
الرئيس	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د/الشيخ خليفي
المقرر (المشرف)	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر "أ"	د.ة. بوسيف مختارية
مناقش	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د/نصر الدين أجدير
مناقش	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د/مراد بلخير
مناقش	جامعة وهران 01	أستاذ محاضر "أ"	د/معمر شباب
مناقش	جامعة وهران 01	أستاذ التعليم العالي	أ.د/كريمة بولخراس

السنة الجامعية: 1443-1444 هـ / 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]

فاللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل

إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل

محمد، كما بרכת على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد "

مرواه البخاري (6357) ومسلم (406).

الشكر

قال الله تعالى:

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا

تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النمل:19].

فَبَعْدَ شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيَّ تَوْفِيقَهُ بِأَنْ بَلَّغَنِي إِتِمَامَ هَذَا الْعَمَلِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ.

أتقدم بالشكر إلى الأستاذة الفاضلة الدكتورة بوسيفة مختارية على
الإشراف على هذه الرسالة، وما بذلته من جهد في مراجعتها، وما أسدته
من توجيهات، جعل الله ذلك في ميزان حسناتها.

كما أخص بالشكر مشرفي الأول على الرسالة الأستاذ الدكتور الفاضل بلخير
عثمان؛ فقد كان نعم الموجه، والمرشد والناصح، وقد استنرت بتوجيهاته،
وتشجيعاته، وكان كالأخ الشفيق، وأنعم به من رفيق، فجزاه الله خير الجزاء.
ثم إنَّ الشكر موصول للأستاذة الكرام الذين قبلوا مراجعة البحث ومناقشته،
وما أسدوه من ملاحظات قيِّمة قَوَّمت ما كان فيه من أخطاء، فقد كانت
ملاحظاتهم نبراساً للترقى في سَلْمِ الْعِلْمِ ودرجاته....

كما أشكر عمادة الكلية وكل الطاقم الإداري والذين رافقوا البحث إدارياً
فجزاهم الله خيراً.

الإهداء

إلى والديَّ العبيبين الكريمين، اللذين رباني صغيراً، وحرصاً على تعليمي، وشجعاني على المواصلة في طريق العلم، وبذلاً من أجل ذلك الغالي والنفيس فجزاهما الله خيراً وأطال أعمارهما في طاعته، وجعل هذا العمل في ميزان حسناتهما.

إلى زوجتي الكريمة التي رافقتني في درب الحياة وأعاننتني حتى إتمام هذا العمل.

إلى أبنائي: فاطمة، ومريم، ولقمان

إلى إخوتي الذين شجعوني في كل وقت وحين إلى غاية الختام. إلى كل أساتذتي من الابتدائي إلى الجامعة، وجميع مشايخي ومن علمني، ومن له فضل علي من قريب أو من بعيد.

إلى كل من أعانني بتوجيه، أو بدعوة صالحة، أو كلمة طيبة...

أهدي لكم جميعاً هذا العمل، راجياً من المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

حَقِّقْ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

يعتبر التفسير من أشرف علوم الشريعة؛ ذلك أنه علمٌ مرتبط بكتاب الله عز وجل، فالمفسر لكلام الله عز وجل يعالج ألفاظ القرآن ومعانيه ويستخرج حكمه وأحكامه، ودلالاته المتنوعة، وقواعده المتفرعة في شتى مجالات علوم الشريعة، وعلم التفسير ينبغي لمن أراد أن يخوض غماره أن يُحكم قواعده وأصوله وآلياته، وأن تكون له عناية كبيرة بلغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم، والناظر في علم التفسير، وفي تراث علماء التفسير قديما وحديثا يرى تنوعا واختلافا في مناهجهم؛ فهناك من اعتنى بالأثر والرواية، وهناك من اعتنى بالتفسير بالرأي، ومنهم من ظهر على تفسيره ما نبغ فيه من فنون العلوم؛ فنتج عنه التفسير اللغوي، و التفسير الفقهي، والتفسير العلمي، وتفسير بالرأي المحمود، وتفسير بالرأي المذموم، إلا أن القاسم المشترك والشرط الأساس لمن أراد الاشتغال بعلم التفسير قديما وحديثا، هو التمكن من علوم اللغة العربية، وبالخصوص مراعاة مساقات الآيات؛ كون القرآن الكريم بنية واحدة يكون وحدة موضوعية متكاملة في غاية الترابط والانسجام؛ فمراعاة السياق في تفسير القرآن أمر لا محيد عنه، والمفسرون قديما وحديثا لم تخلُ تفاسيرهم من مراعاة السياق القرآني في بيان معاني الآيات، إلا أنهم تفاوتوا في توظيفه والاعتماد عليه في معالجة قضايا التفسير، ومن العلماء الجهابذة الذين اعتنوا بالسياق في التفسير الإمام ابن عطية الأندلسي - في تفسيره: " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"؛ فقد كان للسياق في تفسيره الأثر الواضح، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على بيان مدى توظيفه للسياق في تفسيره بدراسة ذلك دراسة نظرية تطبيقية.

أهمية الموضوع:

يعتبر هذا الموضوع محلّ الدراسة ذا أهمية تتجلى في عدة جوانب هي كالآتي:

أولاً: في مُتعلّقِهِ، فهو يتعلّق بالقرآن الكريم، الذي يتشرف كل دارس بدراسته والاشتغال بعلومه؛ فهو كلام الله عز وجل وكتابه المبين وحبله المتين، وهو القول الفصل ليس بالهزل، والمشرب الصافي، والمنبع العذب للاستنباط والفقه والتأصيل، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي كما لا يخفى، فشرف العلم من شرف المعلوم.

ثانياً: التعرض لدراسة أصل من أصول علم التفسير، وهو تفسير القرآن بالقرآن وبما أن القرآن نزل بلغة العرب، ولا يمكن معرفة معاني المفردات والألفاظ وتراكيب الجمل العربية؛ إلا على ضوء سياق الآيات؛ كون القرآن الكريم بنية لغوية واحدة ومتكاملة بلغت النهاية في الترابط والانسجام، يُشكّل بآياته وسوره وحدة موضوعية معجزة، ويعتبر السياق الدليل الواضح في بيان هذه الوحدة الموضوعية وذلك الاعجاز، فلا يمكن المحيد عنه في تفسير كلام الله عز وجل.

ثالثاً: دراسة كتاب عظيم من كتب التفسير له مكانته بين علماء الشريعة، وعلماء التفسير على وجه الخصوص، ألا وهو كتاب: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية الأندلسي، فقد جمع في تفسيره علوماً غزيرة تجعل منه كتاباً مهماً وغنيمة وفيرة؛ فهو من المصادر المهمة في التفسير، ومن أنفس ذخائر ومفاخر أهل الأندلس، فقد حوى علوماً كثيرة في فنون شتى، منها اللغة بشتى أبوابها، بلاغةً ونحوًا وصرافاً، وكذلك الفقه وأصوله، والحديث، والقراءات، وغيرها، فحقّق له أن يكون محطّ أنظار العلماء والدارسين بعده، في الاستفادة منه.

رابعاً: معرفه منهج ابن عطية الأندلسي في توظيفه للسياق؛ إذ يعدّ معرفة مناهج المفسرين أمراً مهماً وضرورياً للدارسين المتخصصين في علم التفسير؛ فتتبين القواعد، والضوابط، والتوجيهات من خلال مصدر من مصادر التفسير الأصيلة.

خامسا: كون هذه الدراسة؛ دراسة نظرية تطبيقية، فعن طريقها يمكن للمشتغل بعلم التفسير استخراج قواعد، وأصول، وضوابط مبنوثة في كتب التفسير الأصيلة، وتحتاج إلى من يلتمُّ شملها ويصقّفها، ويرتبها، ويقدمها كركائز أصيلة يستعين بها المفسّر في فهمه لمعاني كتاب الله، ويطرح كل فهم سقيم ودخيل على تفسير القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

لقد اتجهت الرغبة لاختيار هذا البحث، نظرا لتوافر عدة أسباب هي كالاتي:

- 1- الاعتناء بالقرآن الكريم وخدمته ببيان دور السياق في فهم النص القرآني،** حيث يعتبر السياق آلية فعالة للفهم الصحيح، والمنهج الأمثل لتدبر كلام الله عز وجل، والمسلك القويم للاستنباط ورجاحة التأويل، واستخراج حكم القرآن وأحكامه، وهو المعبر الرسمي عن الإعجاز القرآني.
- 2- قراءة كتاب من كتب التفسير قراءة دراسية،** تُنتج الوقوف على مهمات التفسير التي يوظفها العلماء لبيان المعنى المراد من كلام الله عز وجل، ومن جملتها السياق القرآني، ويعتبر تفسير: "المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي من أهم كتب التفسير التي اعتنى فيها بالسياق القرآني ووظفه في تفسيره وكان له الأثر عليه فكانت الرغبة جامحة لدراسته.
- 3- الرغبة في اكتساب الملكة في علم التفسير،** وكيفية التعامل مع كتب التفسير التي ألفها قدماء المفسرين، المعدودين من الجهابذة في هذا العلم، وذلك بمعرفة مناهجهم فيها، وأساليبهم وطرق تعاملهم مع النص القرآني.
- 4- الرغبة في ضبط قواعد السياق القرآني بطريقة تطبيقية** يتم من خلالها الكشف عن منهج أصيل في توظيفه، ومدى تأثيره على النص القرآني توجيهها واستنباطها، وتأويلا، وترجيحا، وتضعيفا.
- 5- إفادة الباحثين في مجال الدراسات الإسلامية** عموما والدراسات القرآنية على وجه الخصوص عن طريق بيان منهج من مناهج أحد علماء التفسير في توظيف السياق القرآني.

تحديد الإشكالية:

لقد كان الإمام ابن عطية الأندلسي مِمَّنْ اعتنى بالسياق في تفسيره؛ وبما أن الموضوع هو السياق وتوظيفه في تفسير ابن عطية، وبيان مدى تأثيره عليه، جعل إشكالية البحث تكون كالاتي:

إلى أي مدى كان توظيف ابن عطية الأندلسي للسياق، وما هي مجالات هذا التوظيف والتطبيق؟ ولاستجلاء هذا الإشكال الرئيسي وتوضيحه؛ كانت هذه الإشكالات الفرعية:

- ما هي حدود فعالية السياق في فهم النص القرآني والكشف عن معانيه؟

- هل كان للمفسرين المتقدمين دور في التأصيل للسياق وإرساء قواعده كمنهج للفهم والاستنباط في التفسير؟

وسنحاول الإجابة عن هذه الإشكاليات من خلال التعرض في الجانب النظري لبيان السياق، وبيان أهميته عند المفسرين، وعرض نماذج تطبيقية من تفسير ابن عطية يتضح من خلالها دور السياق عنده في تفسير القرآن الكريم.

أهداف البحث:

يتطلع الباحث من خلال هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف هي كالاتي:

1- العمل على خدمة أشرف نوع من أنواع تفسير القرآن الكريم، وهو: " تفسير القرآن بالقرآن"، إذ إنَّ دراسة السياق القرآني؛ يعني فهم الآية القرآنية على ضوء سابقها ولاحقها، ومقطعها، وتركيبها، وحوادثها، وسياق السورة، والسياق العام للقرآن الكريم، وهذا النوع من التفسير؛ أي: تفسير القرآن بالقرآن نفسه، من أفضل أنواع التفسير وأصحها، حيث إنه لا أحد أعلم بالمقصود والمعنى من الكلام، من المتكلم نفسه، فلا يُعدل عنه في الفهم والتوضيح والإبانة إلى فهم من سواه.

2- إبراز أهمية السياق القرآني، والكشف عن مدى حاجة المفسر إلى مراعاته والانضباط بقواعده في فهم النص القرآني، فالسياق أصل من أصول علم التفسير، قواعده ماثورة في كتب التفسير الأصيلة، والدراسات التطبيقية للتأصيل لهذه المعالم والأصول في علم التفسير أضحت قليلة رغم أهميتها الاعتناء بما تركه القدماء، وتفسير المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي، تفسير اعتنى فيه بالسياق بمختلف أنواعه، سواء كان داخليا

أو خارجياً على ما سيأتي بيانه ، وسواء في الاستنباط والتوجيه أو الترجيح والتضعيف، أو بيان مناسبات الآيات وغير ذلك مما سيتبين من خلال الجانب التطبيقي للبحث.

3- توضيح معالم منهج ابن عطية الأندلسي في توظيف السياق، ومدى تأثيره على تفسيره، وإظهار طريقته في ذلك؛ وبالتالي الإمام بمنهجه التفسيري في جانب السياق؛ حتى يكون منارة يستنير بها الدارسون لعلم التفسير والباحثون في الدراسات القرآنية.

4- بيان أن المفسرين القدماء لهم فضل السبق في الكشف عن دور السياق في فهم النص القرآني، لا كما يُظنُّ أنه من نتاج الدراسات اللسانية الحديثة ومن مبتكرات مدارس تحليل الخطاب.

الدراسات السابقة:

بما أن الدراسة نظرية تطبيقية فقد عثرت على دراسات سابقة كثيرة حول موضوع السياق واستفدت منها في الجانب النظري منها:

1- نظرية السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثني عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه في تخصص التفسير وعلوم القرآن، جامعة اليرموك، الأردن، نوقشت سنة 2005.

2- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن محمد الشهراني، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى نوقشت 1427هـ.

3- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي.

4- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنتوش المصطفى، دار السياح للطباعة والنشر والتوزيع-لندن- الطبعة الأولى: 2007م.

وبما أن البحث يُعنى بالجانب التطبيقي أكثر؛ فلم أعثر حسب بحثي على من تناول تفسير ابن عطية كاملاً بالدراسة حول موضوع السياق بشتى أنواعه وأمطاه، ومدى تطبيقه له في كامل التفسير، إلا بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع من جوانب مختلفة وهي كالاتي:

- 1- الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية الأندلسي من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام -جمعا ودراسة- بوعكاز علي، رسالة ماجستير، نوقشت في جامعة أحمد دراية-أدرار-2017م. إلا أنها كانت في جانب الترجيح بالسياق دون التعرض لبقية المباحث السياقية.
- 2- الاستنباط عند الإمام ابن عطية الأندلسي في تفسيره المحرر الوجيز-دراسة نظرية تطبيقية-عواطف أمين يوسف البساطي، رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية-2008م، فكان ذكر السياق في هذه الرسالة كآلية من آليات الاستنباط دون التعرض لأنماطه وتطبيقاته في جميع التفسير. وهناك دراسات مشابهة على كتب من التفسير تناولت السياق في جانبه النظري والتطبيقي أذكر منها:
 - 1- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير، عبد الحكيم القاسم، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة الإمام محمد ابن سعود-1421هـ.
 - 2- السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، عبد الرحمن المطيري، رسالة ماجستير نوقشت جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية-2008م.
 - 3- السياق القرآني ودلالته على الترجيح في تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، محمد بن إبراهيم عبد الله الشمسان، رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن، نوقشت في جامعة أم القرى-المملكة العربية السعودية-2010م.
 - 4- السياق في تفسير القرآن الكريم للإمام محمد رشيد رضا، عباس معتق الرشيد، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة مؤتة 2013م.

وقد تنوعت هذه البحوث في تناول موضوع السياق؛ إلا أنني لم أجد من اعتنى بتفسير ابن عطية في توظيف السياق كدراسة متكاملة تُلمُّ على الأقل بجُلِّ ما وظَّف فيه السياق في تفسيره، تلك الدراسة التي تبرز لنا نهجاً واضح المعالم يُتذى به في التأصيل والتطبيق، ولعل هذا البحث وهذه الدراسة تكون إكمالاً لتلك البحوث ومشاركةً في بناء صرح علم أصول التفسير ومناهج المفسرين والدراسات القرآنية، وقد جاء عنوان هذا البحث كالآتي:

توظيف السياق عند ابن عطية في تفسيره " المحرر الوجيز " - دراسة نظرية تطبيقية -

المنهج المتبع في البحث:

لقد كان المنهج المتبع في هذا البحث لدراسة موضوعه دراسة تلم بجوانبه كالآتي:

- 1- المنهج التاريخي:** وقد كان اتباعي لهذا المنهج من منطلق الاعتماد على المصادر التاريخية عند التعرض لترجمة الإمام ابن عطية الأندلسي، والتعرض لمكان مولده وحياته وبيئته ومشايخه كل ذلك استناداً لكتب التاريخ التي سردت البيئة الزمانية والمكانية لنشأته.
- 2- المنهج الاستقرائي:** وذلك بتتبع المواضع التي وظَّف فيها ابن عطية السياق في تفسيره، واستخراجها استخراجاً لا أدَّعي فيه الحصر لجميعها.
- 3- المنهج التحليلي:** وذلك بتحليل هذه المواضع ودراستها؛ وبيان نوع السياق الموظَّف، وكيفية توظيف ابن عطية له، وأثره على الآية المفسَّرة، وذكر مذاهب بعض المفسرين في ثنايا التحليل لدعم ما ذهب إليه ابن عطية، أو بيان شيءٍ من خلافه، ثم الخروج بفوائد منهجية من خلال النماذج التطبيقية.

-المنهجية المتبعة في عرض البحث:

لقد كانت المنهجية المتبعة لعرض البحث وفق ما يلي:

-قسمت البحث إلى فصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، كل فصل تحته مباحث، تحت كل مبحث مطالب.

-الفصل التمهيدي: لبيان ما يتعلق بترجمة ابن عطية، وتعريف بتفسيره.

-الفصل الثاني: الدراسة النظرية للسياق القرآني.

-الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي في تفسيره.

- الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الخارجي في تفسيره.

وقد كان للفصلين الأخيرين النصيب الأوفر من هذه الرسالة؛ كونه يعنى بالجانب التطبيقي وهو المقصود إظهاره في البحث فإن الدراسات النظرية حول السياق يمكن القول بأنها قد قتلت بحثاً، وقد أجملت بعض المباحث النظرية إلى حين الدراسة التطبيقية لربطها بها في فهم النماذج التطبيقية، وجعلت للفصلين التطبيقيين منهج دراسة تطبيقي هو كالاتي:

-التمهيد لكل مبحث بما يُحتاج إليه من بيان التعاريف اللغوية والمصطلحات العلمية.

-ذكر النماذج التطبيقية التي من خلالها يتم التدليل على توظيف ابن عطية للسياق في تفسيره.

-الاعتماد على ذكر خمسة نماذج تطبيقية وأحياناً أقصر على أقل منها خشية الإطالة.

-استفتاح كل نموذج بذكر نص الآية القرآنية برواية حفص عن عاصم، كون ابن عطية لم يعتمد على رواية معينة، بل يعرّج على القراءات القرآنية في الآية دون تفضيل قراءة على أخرى، وكذلك كون الطبعة المعتمدة في البحث كانت الآيات فيها برواية حفص عن عاصم.

-تحليل النماذج المختارة من خلال توضيح كلام ابن عطية، وبيان وجه الشاهد منه في توظيف السياق، وترتيب الأقوال في الآية أحياناً، وعزو أقوال لم يذكر أصحابها أحياناً أخرى، وذكر من تعرّض لتفسير الآية من المفسرين لإجراء مقارنة بسيطة إما بالتأييد، أو بيان أفضلية قول على قول.

-ختمت كل مبحث بخلاصة فيها بيان فوائد منهجية من خلال النماذج التطبيقية المختارة.

-ترجمت ترجمة موجزة لأعلام المفسرين الذين لهم كتب تفسيرية، وكذلك من له اعتناء وتأليف في علوم القرآن، دون التعرض لترجمة كل من ذكرته من علماء التفسير من زمن الصحابة والتابعين، وكذلك تركت الترجمة لمن ليس له علاقة بالتفسير وعلوم القرآن كيلا يخرج البحث عن نطاقه وتكثر حواشيه بما يُجِلُّ بالمقصود.

خطة البحث:

وقد كانت الخطة المتبعة لإنجاز البحث كالآتي:

فقد قسمت البحث إلى: مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة.

-**الفصل التمهيدي:** ترجمة ابن عطية وتعريف بتفسيره.

ويحتوي على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إسمه ونسبه ومولده

المبحث الثاني: نشأته وحياته العلمية.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي.

الفصل الثاني: الدراسة النظرية حول السياق القرآني:

ويحتوي على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السياق القرآني.

المبحث الثاني: أهمية مراعاة السياق في تفسير القرآن.

المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأركانه.

المبحث الرابع: ضوابط في التفسير بالسياق.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي في تفسيره.

ويحتوي على ستة مباحث:

- المبحث الأول: توظيف السياق الداخلي في بيان معاني المفردة القرآنية.
- المبحث الثاني: توظيف السياق الداخلي في بيان المعاني ضمن السياق واللاحق.
- المبحث الثالث: توظيف السياق الداخلي في استنباط المعاني.
- المبحث الرابع: توظيف السياق الداخلي الفقهي والمقاصدي .
- المبحث الخامس: توظيف السياق الداخلي في تضعيف أقوال المفسرين والترجيح بينها.
- المبحث السادس: توظيف السياق الداخلي على بعض علوم القرآن.
- الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية لتوظيف السياق الخارجي عند ابن عطية في تفسيره.

ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: توظيف أسباب النزول سياق (سياق الحال)

المبحث الثاني: توظيف الحديث النبوي

المبحث الثالث: توظيف سياق المكى والمدني.

المبحث الرابع: توظيف السياق الاجتماعي.

المبحث الخامس: توظيف السياق القصصي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والمقترحات.

المصادر المعتمدة في البحث:

وقد كانت أهم المصادر والمراجع التي تم اعتمادها في البحث كالاتي:

أولاً: تفسير: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي)، وقد اعتمدت على طبعة (وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، الطبعة الثانية: 1428هـ-2007م).

ثانياً: كتب علوم القرآن، ومن أهمها الإتقان للسيوطي، البرهان للزركشي

ثالثاً: كتب القراءات وتوجيهها.

رابعاً: كتب التفسير التي اعتنت بالسياق ومنها:

1- تفسير ابن جرير.

2- تفسير ابن كثير.

3- التحرير والتنوير لابن عاشور.

4- أضواء البيان للشنقيطي.

5- تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي.

خامسا: المعاجم وكتب اللغة وفقهها.

سادسا: كتب الحديث وشروحها

سابعا: كتب أصول الفقه والقواعد الفقهية، والمقاصد.

سابعاً: كتب الفقه.

ثامناً: كتب التاريخ التراجم.

هذا وأسأل الله عز وجل العلي القدير التوفيق والسداد لإنجاز هذا البحث على أحسن وجه، كما أسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين.

تمت كتابة البحث: يوم السبت: 15 جمادى الآخرة 1444هـ

الموافق لـ 07 /يناير/ 2023م.

الفصل التمهيدي:

ترجمة الإمام ابن عطية الأندلسي والتعريف بتفسيره.

وتحتة ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إسمه ونسبه ومولده

المبحث الثاني: نشأته وحياته العلمية

المبحث الثالث: التعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

الفصل الأول: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز) وبيان منهجه العام فيه.

إنَّ الكلام عن الإمام ابن عطية الأندلسي هو كلام في الحقيقة عن شخصية فذة، وعالم نحرير ولبنة من لبنات بناء الصرح العلمي للأندلس؛ إذ يُعدُّ من مفاخر علمائها؛ حيث كان عصره زاخرا بنهضة علمية حافلة في شتى العلوم والفنون، فما كان منه إلا أن نهل من معينها الصافي ورياضها النضرة، والإنسان ابن بيئته ويتأثر بما حوله، بالإضافة إلى أسرته التي نشأ فيها فقد كانت مهذا علميا انطلق منه في تحصيل العلم إضافة إلى نبوغه واجتهاده في تحصيل العلوم التي جعلت منه مفسرا بارعا، وفي هذه المباحث نتطرق إلى ترجمة له نستشف من خلالها منشأ ومسيرة هذا العَلم من أعلام المسلمين.

المبحث الأول: إسمه ونسبه ومولده:

إن الكلام عن ابن عطية الأندلسي، والترجمة له لغرض توضيح معالم شخصيته يكون أولا بالتعريج على بيان اسمه، وتوضيح معدن نسبه، وتاريخ ولادته؛ فنستطيع من خلال ذلك تصور تلك الشخصية العلمية تصورا يجعل الدارس يعرف مكانته من خلال مهد نشأته، وهذا ما سنوضحه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: إسمه ونسبه:

هو عبد الحق بنُّ غالب بنُّ عبد الرحمان بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية بن خالد بن خفاف بن أسلم بن مكرم المحاربي، يُكنى أبا محمد، من ولد زيد ابن محارب بن خَصْفَةَ من قيس غيلان من مضر.¹ ويرجع نسب ابن عطية إلى جدّه الأول عطية بن خالد، والذي كان مجاهدا مشاركا في حروب حروب فتح الأندلس؛ فقد دخل الأندلس ولقّبه حفيده في ترجمته له كما سيأتي ب(الدّاخل) الأندلس أيام فتحها، وقد اتخذها مستقرا له ووطنا، حينها وُلد مُترَجِّمًا من نسل ذاك الأسد المجاهد الفاتح، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك من ابن عطية نفسه حينما ذكر نسبه في فهرسته حيث قال: " وعطيّة هذا هو الدّاخل

¹ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الحمدي، دار التراث-القاهرة-

القاهرة- دط، دت، ج2، ص57.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

الأندلس وقت الفتح، وهو عطية بن خالد ابن خفاف بن أسلم بن مكرم من ولد زيد بن محارب بن خصفة بن قيس غيلان بن مضر".¹ فأصله من العرب من قبيلة عدنان وذلك أن قيس بن غيلان هو نفسه "إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وعدنان من ولد إسماعيل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام. السلام

المطلب الثاني: تاريخ مولده ونشأته:

لقد كاد يكون الإجماع على أن تاريخ مولد ابن عطية كان في عام إحدى وثمانين وأربعمائة.³ وقد نشأ ابن عطية في بيئة علمية بامتياز حيث كانت نواة نشأته الأولى أسرته المعروفة بالعلم والفضل؛ فأبوه كما وُصف بأنه: "شيخ العلم، وحامل لوائه، وحافظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم وكوكب سمائه، شرح الله تعالى لحفظه صدره، وطاول به عمره، مع كونه في كل علم وافر النصيب، مياسراً بالمُعَلَّى والرقيب، رحل إلى المشرق لأداء الفرض، لايس بُرْد من العمر الغض، فروى وقيد، ولقي العلماء وأسند، وأبقى تلك المآثر وحلّد، نشأ في بيئة كريمة، وأزومة من الشرف غير مَرُومة، لم يزل فيها على وجه الزمان أعلام عِلْم، وأرباب مجد ضخم، قد قيدت مآثرهم الكتب، وأطلعتهم التواريخ كالشهب، وما برح الفقيه

¹ فهرس ابن عطية، عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجنان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية: 1983، ص60.

³ بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى أبو جعفر الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى: 1410هـ-1689م، ج2، ص506، ونفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (دط)، 1388هـ، ج2، ص527، وبغية الوعاة، مصدر سابق، ج2، ص73، والديباج المذهب، مصدر سابق، ج2/ص58، الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، -بيروت- الطبعة الخامسة عشر، 2002م، ج3، ص282.

أبو بكر يتسنى كواهل المعارف وغواربها، ويقيد شوارد المعاني وغرائبها، لاستضالعه بالأدب الذي أحكم أصوله وفروعه، وعمر برهَةً من شبيبته زُبوعه.¹

ثم إنَّ الأندلس وقرطبة وقرطبة؛ كانت محلاً خصبا لابن عطية في تكوينه العلمي؛ إذ كانت كما وُصفت بأنها: "قرارة كل فضل، ومنهل كل خير ونبل، ومصدر كل طرفة، ومورد كل تحفة، وغاية آمال الراغبين، ونهاية آماني الطالبين، إن بارت تجارة فإليها تُجلب، وإن كسدت بضاعة ففيها تنفث؛ مع كثرة علمائها ووفور أدبائها، وجلالة ملوكها، ومحبتهم في العلم وأهله؛ يعظّمون من عظّمه علمه، ويرفعون من رفعه أدبه".²

وأما قرطبة فكرسي المملكة في القديم، ومركز العلم، ومنار التقى، ومحل التقديم والتعظيم، بها استقرت ملوك الفتح وعظماؤه، ثم ملوك المروانية، وبها كان يحيى بن يحيى زاوية مالك، وعبد الملك بن حبيب، وقد سمعت من تعظيم أهلها للشريعة، ومنافستهم في السؤدد بعلمها، وأن ملوكها كانوا يتواضعون لعلمائها، ويرفعون أقدارهم، ويصّندون عن آرائهم، وأنهم كانوا لا يقدمون وزيرا، ولا مشاورا ما لم يكن عالما.³

¹ نفع الطيب، مصدر سابق، ج2، ص523-524

² المصدر نفسه، ج3، ص156-157.

³ المصدر نفسه، ج3، ص214.

المبحث الثاني: حياته العلمية:

لا شك أن لكل عالم من العلماء سيرة علمية ومسيرة تعليمية تكوينية، من خلالها تتضح محطات التلقي العلمي بمختلف مراحلها من الطفولة والشباب، وما يتبع ذلك من الصفات الشخصية المميزة إلى غاية النضوج المعرفي، وما يتركه من آثار علمية، وقد كان لابن عطية النصيب الأوفر من هذه المعالم المساهمة في تكوينه العلمي، ويتضح ذلك من خلال هذه المطالب الآتية:

المطلب الأول: صفاته الشخصية وهيمته في تحصيل العلم:

لقد كان ابن عطية في بدايات تكوينه العلمي مخفوفاً بعناية والده، الشيء الذي جعله يتدرج في العلم ويصعد سلّمه مُبَكِّراً، ليلحق بمصافّ العلماء الكبار. فقد كان ذكياً فطنا مدركاً، من أوعية العلم... اعتنى به والده، ولحق به الكبار، وطلب العلم وهو مراهق، وكان يتوقّد ذكاءً.¹

وفي نفع الطيب: " وكان غايةً في الذكاء والدهاء والتهمُّم بالعلم سريّ الهمة في اقتناء الكتب... سما إلى رتب الكهول صغيراً، وشنّ كتيبة ذهنه على العلوم مُغيّراً، فسباها عنى وفصلاً، وحوأها فرعاً وأصلاً".² وقد وصف اجتهاده وهيمته العالية صاحب قلائد العقيان حيث قال عنه: " سابق الأجماد فاستولى على الأمد بعلائه، ولم ينض ثوب شبابه، أدمن التعب في السؤدد جاهداً، حتى تناول الكواكب قاعداً، وما أثكل على أوائله، ولا سكن إلى راحت بكره وأصائله، أثاره في كل معرفة، علم في رأسه نار"³

المطلب الثاني: شيوخه:

لقد كان في مقدمة العلماء الذين أخذ عنهم ابن عطية العِلْمَ والدّه الذي يعتبر المصدر الأول في تكوينه العلمي، وقد بدأ بذكره عندما ترجم لمشايخه الذين تلقى عنهم العلم حيث قال: " هذه تسمية من

¹ سير أعلام النبلاء 19 ج، ص 588.

² نفع الطيب ج2، ص 526-528.

³ قلائد العقيان في محاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، طبعة -مصر- 1284هـ-1866م، ص 207.

الفصل التمهيدى: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

لقيته من الشيوخ حملة العلم، وذكّر ما روّيته عنهم ومن أجازني: منهم: أبي أبو بكر غالب بن عبد الرحمن بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية¹. وأبو علي الحسين بن محمد ابن أحمد الغساني... وكان أحد من انتهت إليه الرئاسة بالأندلس في علم الحديث وإتقانه، والمعرفة بعلمه ورجاله، مع تصرف في علم النحو، والغريب والأدب والشعر². وأبو عبد الله محمد بن فرج القرطبي ويعرف بابن الطلاع، قرطبي الأصل، كان من أهل الفضل والصلاح مع التقدم في حفظ الرأي والمعرفة بالفتيا والوثائق³. وعلي بن أحمد ابن خلف الأنصاري المقرئ،... وكان من الحفاظ لكتاب سيبويه المبرزين في النظر في معانيه؛ من أهل الخير والرواية⁴. وأبو القاسم خلف بن إبراهيم ابن خلف بن سعيد بن الحصار المعروف بابن النحاس... لقّيته بقرطبة وأجاز لي جميع روايته⁵.

فهؤلاء هم أشهر الفقهاء والعلماء من مشايخه الذين تعلّم على يديهم، ورحل إليهم ولقيهم، واستجأوهم، وروى عنهم.

المطلب الثالث: مكانته العلمية:

لقد كان لابن عطية مكانة رفيعة عند العلماء، عرفوا قدره وبينوا فضله، وذكروا مناقبه ومكانته العلمية كما شهدوا له بالإمامة والمشیخة وسعة المعرفة والاطلاع والتضلع في العلوم، وفيما يلي بعض النقول عنهم:

- قال عنه الحافظ الذهبي: "الإمام العلامة شيخ المفسرين... كان إماما في الفقه وفي التفسير وفي العربية"⁶.

¹ فهرس ابن عطية، مصدر سابق، ص 60.

² المصدر نفسه، ص 77-78.

³ المصدر نفسه، ص 91.

⁴ المصدر نفسه، ص 101.

⁵ المصدر نفسه، ص 119.

⁶ سير أعلام النبلاء، ج 19، ص 58-588.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

وجاء في الديباج المذهب: "كان القاضي أبو محمد عبد الحق فقيها عالما بالتفسير، والأحكام والحديث، والفقه، والنحو، واللغة، والأدب، مقيِّداً حسن التقييد، له نظم ونثر، ولي القضاء بمدينة المريّة، وكان غاية في الدهاء، والذكاء، والتَّهَمُّمِ بالعلم، سَرِيَّ الهَمَّةِ في اقتناء الكتب، ولما ولي توحَّى الحق، وعدل في الحكم وأعزَّ الخَطَّةَ".¹

وجاء في بغية الوعاة: "قال ابن الزبير: كان فقيها جليلا، عارفا بالأحكام والحديث والتفسير، نحويا لغويا أدبيا، بارعا شاعرا مفيدا، ضابطا سُنِّيًّا، فاضلا من بيت علم وجلالة، غاية في توقد الذهن وحسن الفهم وجلالة التصرف".²

وهكذا كان ابن عطية في عصره بحرا في علمه، متفنِّنا في معرفته متعمِّقا في ثقافته.³

المطلب الرابع: آثاره العلمية

لم يترك ابن عطية تراثا علميا كبيرا، فقد كان جلُّ جهده منصباً على تفسير كلام الله عزوجل، واستخراج درره، والغوص في معانيه بتطبيق ما برع فيه من علوم اللغة، والقراءات، والفقه، وكثير من الاستنباطات؛ لذلك نجد كل من ترجم له يذكر تفسيره العظيم المسمى: بـ (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، وقد ذكر عن نفسه ما بذله من جهد في تأليفه حيث قال: "وأنا وإن كنت من المقصِّرين، فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير، وحملت خواطري فيه على التعب الخطير، وعمرت به زمني، واستفرغت فيه مني؛ إذ كتاب الله تعالى لا يتفسَّر إلا بتصريف جميع العلوم فيه، وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي".⁴

¹ الديباج المذهب، مصدر سابق، ص276.

² بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة عيسى البابي الحلبي، طبعة سنة 1384هـ-1965م ج2، ص73.

³ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة: 1393هـ/ 1973م، ص80.

⁴ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف =

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

وجاء في بغية الوعاة: "وألف تفسير القرآن العظيم، وهو أصدق شاهد له بإمامته في العربية وغيرها".¹ وقد ترك كذلك فهرسته التي ترجم فيها لمشايخه والمعروفة (بفهرسة ابن عطية)، وهذه الفهرسة على صغرها تعتبر من الناحية العلمية ذات قيمة كبيرة؛ فهي سجل وافٍ في موضوعه وكامل، وتاريخ علمي حافل، لهذه الفترة التي عاش فيها ابن عطية، وقد كان ابن عطية في تأليفه لهذه الفهرسة، يسير على سنة العلماء والمحدثين؛ ففي هذه العصور الإسلامية الأولى كثرت الفهارس العلمية أو المشيخات للعلماء والمحدثين، وفيها يذكرون شيوخهم ومروياتهم عنهم.²

المطلب الخامس: وفاته:

لقد وقع خلاف بين المترجمين لابن عطية في تحديد تاريخ وفاته على عدة أقوال: قال ابن بشكوال: "وتوفي في سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة".³ وجاء في الديباج المذهب: "وتوفي في سنة ست وأربعين وخمس مائة-بمدينة لورقة".⁵ قال الذهبي: "توفي بحصن لورقة في الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وأربعين وخمس مائة".⁶ والصحيح-أنه توفي سنة 541هـ، ذكر ذلك ابن الأبار بقوله: "وتوفي بلورقة في منتصف رمضان سنة 541هـ... وحكى ابن بشكوال وابن خبير أنه توفي سنة اثنتين وأربعين، والأول قول ابن حميد وابن عياد وغيرهما وهو الصحيح".⁷

والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية-دولة قطر-، مطابع دار الخير: سوريا ولبنان، الطبعة الثانية،

1428هـ/2007م، ج1، ص 09-10.

¹ بغية الوعاة، مصدر سابق، ج2، ص 73.

² منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 86.

³ الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية،

1374 هـ - 1955م، ص 367.

⁵ الديباج المذهب، ص 276.

⁶ سير أعلام النبلاء، ج19، ص 588.

⁷ معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ابن الأبار، مكتبة الثقافة الدينية - مصر-الطبعة الأولى 1420 هـ -

2000م، ص 265.

المبحث الثالث: التعريف بتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي:

يعتبر تفسير " المحرر الوجيز " من أنفس ما تركه ابن عطية ضمن آثاره العلمية وقد أشار إلى أنه بذل كل مجهوده لإخراج هذا التفسير؛ فقد ذكر في مقدمة تفسيره ما يبين شغفه بعلم التفسير والتشهير عن ساعد الجدل لحوض غماره، فجعله ثمرة وجوده، ونخبة مجهوده فقال: " فلما أردت أن أختار لنفسي، وأنظر في علم أعد أنواره لظلم رمسي، سبرتها بالتنوع والتقسيم، وعلمت أن شرف العلم على قدر شرف المعلوم فوجدت أمتها جبالا، وأرسخها جبالا، وأجملها آثارا، وأسطعها أنوارا، علم كتاب الله جلت قدرته... فنيت إليه عنان النظر، وأقطعت جانب الفكر، وجعلته فائدة العمر... فقد ذكرت في هذا الكتاب كثيرا من علم التفسير.. وجعلته ثمرة وجودي، ونخبة مجهودي." ¹

فتبين أن تفسير ابن عطية كان من أجل اهتمامته وأولاهها اهتماما عنده، وستعرض إلى دراسة موجزة حول هذا السُّفر الكبير تبين شيئا من جوانبه من حيث منهجه العام ومصادره وثناء العلماء عليه من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: المنهج العام لتفسير ابن عطية الأندلسي:

إن المنهج العام الذي سار عليه ابن عطية في تفسيره هو اعتماده تفسير القرآن بالقرآن، وكذلك على الآثار والنقول عن السلف من الصحابة والتابعين في تفسيره للآيات، وهذا ما يُعرف بالتفسير بالمأثور. وهو ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نُقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وما نُقل عن الصحابة رضوان الله عليهم، وما نُقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم. ²

وكذلك نجده قد اعتمد على التفسير بالرأي، الأمر الذي جعله محطَّ أنظار المصنفين لمناهج المفسرين،

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص7-10.

² التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة- الطبعة السابعة ج1، ص112.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

فإلى جانب هذا اللون الأثري في التفسير نجد ابن عطية يُعنى عناية بالغة بذكر اللون الآخر من التفسير وهو التفسير بالرأي، وليس معنى التفسير بالرأي - عند ابن عطية - أن يتهجم الإنسان على كتاب الله تعالى، فيفسر بمجرد رأيه من غير أن يحصل العلوم التي يجوز معها التفسير، بل التفسير بالرأي عنده هو أن يقول الإنسان في القرآن باجتهاده ويكون هذا الاجتهاد مبيناً على قوانين علم ونظر.¹

المطلب الثاني: المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره³:

لقد اعتمد ابن عطية في تأليف تفسيره على مصادر متنوعة وكانت مصادره الأولى مشايخه الذين أخذ عنهم العلم، وفي طليعتهم والده الذي يعتبر مصدره الأول في تكوينه العلمي، بالإضافة إلى كتب في شتى الفنون والعلوم، نهل منها ما به أدرك بغيته في تصنيفه، وهذه المصادر كالاتي:

- كتب التفسير:

- (جامع البيان في تفسير القرآن) لابن جرير الطبري.

- (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل، الجامع لعلوم التنزيل) أحمد المهدي.

- (شفاء الصدور) أبو بكر النقاش.

وتفسير (أبي محمد مكي بن أبي طالب)، وهو مخطوط كبير مفقود، وغيرها من كتب التفسير.

- كتب القراءات: ونخص بالذكر منها:

كُتُبُ أبي عمر الداني، وهي كتب كثيرة

وكتاب (الحجة) لأبي علي الفارسي.

وكتاب (المحتسب) لابن جني.

- كتب اللغة والنحو: اعتمد منها على كثير من الكتب، وبخاصة كتب الخليل بن أحمد، وسيبويه، وأبي

عبيدة معمر بن المثنى، وأبي علي الفارسي، والفراء، والزجاج، والمبرد، وثعلب.

¹ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 133.

³ ترتيب هذه المصادر كان باختصار من المحرر الوجيز، ابن عطية، مقدمة المحققين، ج 1، ص 20-21.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

- كتب الفقه: منها: (المختصر) لعبد الله بن الحكم، (المدونة) لسحنون بن سعيد، (الواضحة) لعبد الملك بن حبيب، (التفريع) لأبي القاسم ابن الجلاب، (العتبية) لمحمد العتيبي، (الإشراف على مذاهب أهل العلم في الاجتماع والاختلاف) لابن المنذر.

- كتب الحديث: إعتد على كتب كثيرة في الحديث منها: موطأ الإمام مالك، صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبي داود.¹

المطلب الثالث: ثناء العلماء على تفسير ابن عطية

لقد كان تفسير ابن عطية محلَّ ثناءٍ من قِبَلِ جمعٍ من علماء الشريعة، وخاصة من أَلْف في التفسير وعلوم القرآن والدراسات القرآنية، فقد أثنوا عليه واعترفوا بقيمته العلمية، وهذه نقول عنهم تدل على ذلك:

فقد قال ابن جزى المالكي²: " وأما ابن عطية فكتابه في التفسير أحسن التأليف وأعد لها؛ فإنه أطلع على تأليف من كان قبله فهذبها، ولخصها؛ وهو مع ذلك حسن العبارة، مسدّد النظر، محافظٌ على السُّنَّة."³

¹ ينظر للتفصيل أكثر في هذه المصادر مع دراسة تفصيلية وافية لكل مصدر، منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، ص 95-124.

² محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزى الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة، من أهل غرناطة. من كتبه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، (التسهيل لعلوم التنزيل)، وهو من شيوخ لسان الدين ابن الخطيب. توفي سنة (741هـ)، قال المقرئ: فُقد وهو يجرّض الناس يوم معركة طريف. الأعلام للزركلي، مصدر سابق، ج 5، ص 532.

³ التسهيل لعلوم التنزيل: ابن جزى الكلبي المالكي، ضبطه وصحّحه: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ-1995م، ج 1، ص 14.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

-أبوحيان الأندلسي¹ في سياق ثنائه على تفسير الزمخشري وابن عطية قال: " وهذا أبو القاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري وأبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير."²
وقال أيضا: " وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص."³

وقال ابن تيمية⁴، عندما سُئِلَ عن أيِّ التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: " وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري، وأصحُّ نقلا وبحاثا، وأبعد عن البدع، وإن اشتمل على بعضها، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير."⁵

¹ محمد بن يوسف بن علي بن حيان، أثير الدين أبو حيان الغرناطي، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وبلاد إفريقية وديار مصر والحجاز، من مصنفاته (البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم)، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب)، (التذليل والتكميل في شرح التسهيل)، وغيرها، توفي في ثامن عشر سنة (745هـ). ينظر: الوابي بالوفيات ج5، ص517.

² البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م، ج1، ص112.

³ المصدر نفسه، ج1، ص113.

⁴ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحارثي الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الامام، شيخ الاسلام، ولد سنة 661هـ، في حران، وتحوّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، مات معتقلا في قلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته، توفي سنة 728هـ، وله من المؤلفات، (الإستقامة)، (الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)، (منهاج السنة النبوية)، اقتضاء الصراط المستقيم)، وغيرها، ينظر: الأعلام للزركلي: ج1، ص144، سير أعلام النبلاء: ج22، ص288.

⁵ مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء-مصر-الطبعة الثالثة: 1426هـ-2005م، ج13، ص209.

الفصل التمهيدي: ترجمة ابن عطية والتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز)

وقال محمد حسين الذهبي¹: قال: "تفسير ابن عطية المسمى (بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، تفسير له قيمته العالية بين كتب التفسير، وذلك راجع إلى أن مؤلفه أضفى عليه من روحه العلميّة الفياضة ما أكسبه دقّة، ورواجا، وقبولاً."²

وحتى من ترجم لابن عطية لم تُفتأ الإشادة بهذا التفسير النفيس ومنهم على سبيل المثال:

- ابن الخطيب صاحب (الإحاطة في أخبار غرناطة) حيث قال: "ألف كتابه المسمى بالوجيز في التفسير فأحسن فيه وأبدع، وطار بحسن نيته كل مطار."³

- الضبي صاحب (بغية الملتمس) حيث قال: "ألف في التفسير كتابا ضخما أربى فيه على كل متقدّم."⁴ وقد أثنى عليه كذلك ابن خلدون في مقدّمته، حيث قال عنه: "وجاء أبو محمد ابن عطية من المتأخّرين بالمغرب فلخص تلك التفاسير كلها، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصّحّة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى."⁵

وهذه النقول من هؤلاء العلماء تدل على أن تفسير المحرر الوجيز لابن عطية له قيمته العلمية بين العلماء والدارسين، نظرا لتحريره في العبارة، وتوظيفه لشتى العلوم المختلفة في تفسيره للآيات؛ ما يجعل كل مهتم بفن من فنون العلم يجد بغيته فيه، من غير تعقيد وبأوضح أسلوب.

¹ محمد السيد حسين الذهبي، عالم أزهرى كبير، عُرف ببحوثه القيمة في مناهج التفسير، اغتيل في شهر رجب

سنة (1397هـ)، من مؤلفاته (الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: دوافعها ودفعها)، (التفسير والمفسرون).

ينظر: تنمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، الطبعة الثانية: 1422هـ/2002م، ج2، ص148.

² التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة-مصر-دط، دت، ج1، ص171-172.

³ الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة

الأولى: 1395هـ/1975م، ج3، ص540.

⁴ بغية الملتمس، مصدر سابق، ص506.

⁵ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمان ابن خلدون، دار

الفكر، بيروت - لبنان - طبعة: 1431هـ - 2001م، ج1، ص555.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

وتحتة أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم السياق القرآني.

المبحث الثاني: أهمية مراعاة السياق في تفسير القرآن

المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأركانه.

المبحث الرابع: ضوابط في التفسير بالسياق.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

تمهيد:

إنَّ الكلام عن السياق القرآني لا بد فيه من المرور على مصطلحات وقضايا مهمة، تتضح من خلالها معالم هذا المصطلح ومجالات تطبيقه، ومعرفة قواعده، خاصّة وأن النص المعالج هو كلام الله عزوجل؛ لذلك كان لا بد من التعرض في هذا الفصل إلى مفاهيم ومقدمات تأصيلية يتبين من خلالها مفهوم السياق عموماً، والسياق القرآني على وجه الخصوص، و بيان مدى أهميته عند العلماء عموماً والمفسرين على وجه الخصوص وبعض القواعد المتعلقة به، لكي يتسنى لنا التعرّيج على أثره في تفسير ابن عطية الأندلسي، فهذا الفصل يُعتبر كجانب نظري تمهيدي لتوضيح مصطلح السياق ومدى أهميته في تفسير القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم السياق القرآني.

لا بد قبل التعرض لمصطلح السياق القرآني من معرفة مفهوم السياق في لغة العرب ومناحي استعمالهم لهذه اللفظة، ثم الاستعمال الاصطلاحي له عند العلماء في القديم والحديث، ثم الخلوص إلى تحديد مفهوم السياق القرآني ويتأتى ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: السياق لغة:

جاء في مقاييس اللغة: " السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدُّ الشيء (أي تَتَابُعُهُ بِالسَّيْرِ)، يقال ساقه يسوقه، سوقاً، والسَّيِّقَةُ، ما استيق من الدواب، والسُّوقُ مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء¹."

وفي أساس البلاغة: " ومن المجاز: ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر، وساق الرّيح السحاب، وأردت هذه الدارَ بثمان، فساقها الله إليك بلا ثمن، والمحتضر يسوق سياقاً، وفلان في ساق العسكر: في

¹ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م، ج3، ص117.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

آخره وهو جمع سائق كقيادة في قائد، وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث " وهذا الكلام مساقاة إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده.¹

وفي لسان العرب: " السَّوْقُ معروف، ساق الإبل وغيرها، يسوقها سوِّقا وسِيَّاقاً، وهو سائق سوِّاق...، وقد انسأقت وتَسَاوَقَت الإبل تَسَاوُقاً إذا تَتَابَعَتْ... وساق إليها الصَّدَاقَ والمهر سِيَّاقاً وأساقه، والسِّيَّاق المهر؛ لأنَّ العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأنها الغالب على الأموال ".²

بتبين من النصوص اللغوية المتقدمة أن السياق عند العرب يحمل معنى الانتظام والتتابع في الأمور الحسية المشاهدة، والتي فيها معالجة ومزاولة، كسوق الإبل، وسوق الريح السحاب، وسوق الكلام وسرده، أو المعنوية، كخروج الروح، وسوق الخير، كل ذلك ضمن ترتيب ونظام متتابع دون انفصال بين أجزائها أو انقطاع.

المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً:

لقد كان للعلماء قديماً اعتناءً بالسياق بذكر تطبيقاته، والإشارة إلى دلالاته، والاعتماد عليه في بيان المعاني، إلا أنه لم يذكروا له تعريفاً اصطلاحياً صريحاً رغم ورود كلمة السياق في كتبهم المصنفة في شتى العلوم، كأصول الفقه، وعلوم القرآن، وكتب البلاغة، وقد نجد لهم تعريفات ولكنه ليس تعريفاً اصطلاحياً للسياق، وإنما يقصدون به القرينة في فهم الكلام، أو قرينة ترجيحية، أو غرض الكلام، ونذكر مايدل على ذلك بأمثلة:

- الإمام الشافعي في كتاب (الرسالة) عقد باباً سمَّاه [الصف الذي يبيِّن سياقه معناه] ثم استشهد بمثال تطبيقي يدل على ما ذهب إليه فقال: " قال الله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً

¹ أساس البلاغة، محمود الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1419هـ- 1999م، ج1، ص484.

² لسان العرب، ابن منظور، دار صادر -بيروت-، الطبعة الثالثة: 1414هـ ج10، 166-167.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿ [الأعراف: 163]، فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163]، دلَّ على أنه إنما أراد أهل القرية، لأنَّ القرية لا تكون عاديةً ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون".¹

- السرخسي الحنفي حيث قال: " وقال بعضهم النص يكون مختصا بالسبب الذي كان السياق له فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر وليس كذلك عندنا فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب عندنا على ما نبينه فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها."²

فذكر أن صيغة الخطاب تكون نصًا ظاهرا باعتبار قرينة السياق، فجعلها آلية تطبيقية للحكم على الخطاب بأنه نص في الحكم الشرعي، ثم ذكر مثلا تطبيقيا حيث قال: "وبيان هذا في قوله تعالى ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [البقرة: 275] فإنه ظاهر في إطلاق البيع، نص في الفرق بين البيع والربا، بمعنى الحل والحرمة، لأن السياق كان لأجله لأنها نزلت ردا على الكفرة في دعواهم المساواة بين البيع والربا كما قال تعالى ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ [البقرة: 275]."³

¹ الرسالة، محمد ابن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية-بيروت-(دط)، (دت)، ص 63،62.

² أصول السرخسي، أبو بكر السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، نشر: لجنة إحياء المعارف العثمانية-الهند-دط، دت، ج1، ص164.

³ المصدر نفسه، ج1، ص164.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

- ابن دقيق العيد حيث قال: " أما السياق والقرائن: فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي المرشدة إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات.¹"

وكانت أوضح الإشارات إلى السياق اثنتان، إحداهما: إشارة الزركشي عندما أفرد عنواناً أسماه (دلالة السياق) بدأه بالقول: " أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى.²"

والأخرى: إشارة السجلماسي الذي عرّف السياق بقوله: " هو ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"³.

ويمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

الأولى: أن السياق هو الغرض: أي مقصود المتكلم من إيراد الكلام، وهو واحد من المفاهيم التي عبّر بلفظ السياق (السوق) عنها، وكان استعمالها بهذا منضبطاً عند الأصوليين، حتى حرر السجلماسي مفهوم السياق نصاً فيما نقلناه عنه.

الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها.

الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر أو التحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام.⁵

¹ إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد، تحقيق: احمد محمد شاكر، دار عالم الكتب، الطبعة الثانية: 1407هـ-1987م، ج2، ص21

² البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م، ج 6، ص 52.

³ المنزج البديع في تجنيس أساليب البديع، القاسم السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف-الرباط-الطبعة الأولى: 1401هـ-1980م، ص188.

⁴ دلالة السياق، ردّة الله بن ضيف الله الطلحي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، كلية اللغة العربية، ج1، ص37-38.

⁵ المصدر نفسه، ج1، ص39-40.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

لذلك نجد أن المعاصرين لهم تعريف اصطلاحِي للسياق بعد ظهور معلمه، واستقرار مسأله النظرية، ومن التعاريف ما جاء في معجم المصطلحات الأدبية بأنه: "بناء نصيٍّ كامل من فقرات مترابطة، في علاقته بأي جزء من أجزائه أو تلك الأجزاء التي تسبق أو تتلوا مباشرة فقرة أو كلمة معينة، ودائما ما يكون سياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط بحيث يلقي ضوءا لا على معاني الكلمات مفردة فحسب بل على معنى وغاية الفقرة بأكملها."¹

وعرفه محمود القاسم بأنه: " تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده."³

وقد كانت جلُّ تعاريف المُحدّثين جامعةً في مفهومها للسياق بين التركيبة اللغوية للكلام، والجو المحيط به، وجميع ملبساته التي من خلالها يُفهم الخطاب، وبناء على هذا الاعتبار اخترت له تعريفا جامعاً، يشمل جميع أنواعه وتطبيقاته، يتوافق والمقصود بهذا البحث في إبراز هذه الأنواع وتطبيقاتها من خلال كتاب (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي؛ فالسياق هو: " ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب سواء كانت القرائن مقالية أم حالية، فهو عبارة شاملة جامعة لكل دليل لفظي ومعنوي وحالي يُفسرُ الغرض من الخطاب، ومن هنا فإن السياق يمكن أن ينقسم باعتبار القرائن التي يحويها إلى سياق مقالي وسياق مقامي، ويراد بالسياق المقالي العبارات المكونة والسابقة واللاحقة ذات الترابط النحوي أو المنطقي، ويُراد بالسياق المقامي ما ينتظم القرائن الحالية التي تفسرُ الغرض الذي جاء النصُّ لإفادته، سواءً أكانت قرائن في الخطاب ذاته أو في المتكلم أو في المُخاطب أو في الجميع."⁴

¹ معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعااضدية العالمية للطباعة والنشر-صفاقس-الجمهورية التونسية، الطبعة الأولى: 1986م، ص 201-202.

³ دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير، محمود القاسم، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود-نوقشت سنة: 1421هـ، ص 95.

⁴ السياق وأثره في فهم مقاصد الشرع، نجم الدين قادر كريم الزنكي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية عشر، العدد: 48، 1428هـ-2007م، ص 40.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

المطلب الثالث: مفهوم مصطلح السياق القرآني:

بما أن الكلام حول السياق في تفسير القرآن الكريم؛ فينبغي الإشارة إلى مفهوم مصطلح " السياق القرآني " ويكون ذلك بناءً على ما سبق من التعريف اللغوي له، ومفهومه الاصطلاحي العام كما مرَّ معنا، لأننا لا نجد من عرّف السياق القرآني كاصطلاح متعارف عليه عند القدماء، وقد أتى على تعريفه في الاصطلاح بعض المعاصرين نقتصر على ثلاثة منها:

1-عرّفه المثنى عبد الفتاح بقوله: " تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال."¹

فالسباق القرآني عنده هو ترابط معاني الألفاظ بما يشكّل الإطار الموضوعي العام للسورة، والغرض المقصود منها على نظام متواصل دون فواصل خارجية لا علاقة لها بالمعنى تُخرج السورة عن مقصودها الذي سبقت من أجله. والملاحظ على هذا التعريف هو الاقتصار على دلالات الألفاظ والبنية اللفظية في أداء المعنى فلا يشمل ما يرافق الخطاب القرآني من أحوال وملابسات زمانية، أو مكانية، ومراعاة المخاطبين، لفهم النص القرآني؛ إذ تعتبر روح النص وقالب المعنى الصحيح.

2-وعرّفه عبد الوهاب رشيد بقوله: " أما السياق القرآني، فإننا نقصد به الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع معاني تعبيراته."²

¹ نظرية السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثنى عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه: تخصص التفسير وعلوم القرآن جامعة اليرموك-الأردن-1426هـ-2005م، ص14.

² دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن، ص88، نقلا من كتاب: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن محمد الشهراني، طبعة: كرسي القرآن الكريم وعلومه-جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى: 1436هـ، ص33.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

ويلاحظ على هذا التعريف كذلك الاختصار على أغراض ومقاصد القرآن الكريم، جانب الإعجاز فيه والأسلوب البياني.

3- وعرفه محمود القاسم بقوله: " بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق أو اللاحق، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له."¹

وهذا التعريف كذلك فيه اقتصار على ألفاظ الآيات وجملها، مع جعل السياق مقتصرًا على السباق واللاحق فقط، وسيأتي قريبًا أن السياق أعم من ذلك.

وأقرب تعريف للسياق القرآني مع ما يتوافق مع النظرة الشمولية للخطاب القرآني باعتبار البيئة الزمانية والمكانية، و أحوال الأشخاص المُخاطَبين، هو تعريف سعد بن محمد الشهراني بقوله: " هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال المُخاطَبِ، والمُخاطَبِ، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه."³

فيلاحظ كيف أضفى على السياق القرآني تلك الشمولية في اعتبار العوامل الداخلية اللفظية، واعتبار المُخاطَبِ المتكلم بالنص القرآني وهو الله سبحانه وتعالى، وحال المُخاطَبين الذين عاصروا تنزيله، وسمعوا تأويله، وبعض الأحيان كانوا سببا في نزول آياته، وغيرها من العوامل الخارجية المرافقة للنص القرآني والتي لها أثرها في فهمه؛ فيتضح من خلال ذلك المعنى الصحيح المراد.

¹ دلالة السياق القرآني أثرها في التفسير، مصدر سابق، ص 95.

³ السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن محمد الشهراني، مصدر سابق، ص 29.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

المبحث الثاني: أهمية مراعاة السياق في تفسير القرآن:

لا شك أن اعتبار ومراعاة السياق القرآني في التفسير من أهم المهمات، وأبرز الأساسيات كل ذلك من أجل تفسير صحيح للآيات، وفق سابقها ولاحقها، وضمن ملابسات وأحوال نزول النص القرآني؛ لذلك نجد أن مراعاة السياق في التفسير كانت بواده قديمة من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام وبعدهم التابعين لهم بإحسان إلى أن انتشر هذا المعلم الأصيل لتفسير القرآن بين العلماء في شتى الأقطار والأزمان وهو ما سنينه في المطالب الآتية:

المطلب الأول: استعمال السياق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم

لِمَا لاعتبار السياق من أهمية، ولما له من مكانة في فتح مغاليق النصوص الشرعية وفهم دالاتها، والمساعدة على تطبيقها وتنزيلها، فلا يُتَصَوَّرُ إلا أن يكون له حضور تام في زمن النبوة وخلافة الراشدين، لا سيما عند فقهاء الصحابة والمختصين منهم بالنظر في التفسير، واستنباط دلالات النصوص، كالحلفاء الأربعة، وعائشة الصديقة، وابن عباس وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين.¹

وفيما يلي بعض الأمثلة تبين توظيف النبي صلى الله عليه وسلم للسياق، وكذلك صحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم:

- استعمال النبي صلى الله عليه وسلم للسياق:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم على جانب كبير في تطبيق السياق فيما ينزل عليه من الآيات والتي تتضمن شتى الأحكام المتنوعة سواء منها العقائدية، أو الفقهية، أو ما يتعلق بالأخلاق والآداب، ومن أمثلة ذلك:

¹ حضور اعتبار السياق في الكتاب والسنة وعمل السلف والخلف، عبد الهادي حميتو، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، دط، دت، www.arrabita.ma ص 27.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

تطبيق النبي صلى الله عليه وسلم للسياق عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَاؤًا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ

أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 60]، فقد ثبت في الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم بعدم سماعها لهذه الآيات: " هم الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: " لا يابنت الصديق، ولكنهم الذين يصلُّون ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 61]"¹.

فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم إجابةً تُنبئ عن حضور الساق عنده في تفسير كلام الله عزوجل وما ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم إن هو إلا وحي يوحى، وما ذلك منه إلا إشارة دلالية على أهمية السياق في تفسير القرآن تفسيراً صحيحاً، يُبعد الخطأ عن أذهان من يفهمه فهما على غير مقصود نزوله فالنبي صلى الله عليه وسلم نبه على لحاق الآية وهي قوله تعالى ﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾ [المؤمنون: 61]، فالمسارعة إلى الخيرات والتنافس فيها والمسابقة إليها هي من صفات أهل الطاعة لا من صفات من ذكرتهم عائشة رضي الله عنها وظننتهم المعنيين بالآية.

¹ رواه الترمذي في سننه، تحقيق: إبراهيم عوض، مطبعة البابي الحلبي-مصر 1395 هـ 1995 م، ج5، ص327، (كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب 23، من سورة المؤمنون، حديث رقم: 3175)، واللفظ له، ورواه: ابن ماجه في سننه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، -مصر- (دت)، ج2، ص1404، (كتاب الزهد، باب التوقي على العمل، حديث رقم: 4198)، وأحمد في المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، -بيروت- الطبعة الأولى: 1421 هـ-2001 م، ج42، ص156، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، حديث رقم: 25705، وهو في: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع-الرياض- طبعة: 1415 هـ-1995 م، ج1، ص304، حديث رقم: 162.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

- استعمال الصحابة رضي الله عنهم للسياق في تفسير القرآن:

لقد سار الصحابة رضي الله عنهم من الخلفاء الراشدين وغيرهم على هذا المنهج التفسيري النبوي من اعتبار السياق وحضوره في مناحي تفسير القرآن الكريم وفيما يلي مثال ذلك:

فقد روي عن علي ابن أبي طالب أنه جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت قول الله: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، وهم يقاتلوننا فيظهرون ويقتلون؟ قال له علي: أذُنُهُ، أذُنُهُ، ثم قال: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: 141]، يوم القيامة".¹

فلاحظ كيف استند الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه إلى السياق في تفسير الآية، فبيّن للسائل تفسيرها الصحيح بأن المقصود بالآية ما يحصل يوم القيامة بما يظهر من علو المؤمنين على الكافرين، وظهور مكانتهم عند رب العالمين لا كما تبادر إلى ذهنه من المعنى الذي مفاده عدم غلبة الكفار للمسلمين وذهب يستدل بما يقع للمسلمين من انهماكات على يد الكفار، وكأنه فهم تعارضا بين نصوص القرآن، فبيّن له علي رضي الله المعنى الصحيح مستندا في ذلك على سباق الآية مباشرة مما يتصل بها وهو قوله تعالى ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: 141].

المطلب الثاني: تطبيق السياق عند التابعين:

لقد كان التابعون يسيرون على ما تلقوه من الصحابة في استعمال السياق والمبادرة إلى فهم الآيات استنادا إليه والبدئ به في استحضار المعاني دون التفات إلى ما سواه وفيما يلي مثال ذلك:

¹ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الثانية: 1422هـ-2002م، ج2، ص338، كتاب التفسير: تفسير سورة النساء، أثر رقم: 3206، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

فقد جاء عن عبد الرحمان بن يعقوب الزهري قال: سألتُ زيدَ بنَ أسلم عن قول الله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ [ق:19] الآية، إلى قوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق:21]. فقلت له: من يراد بهذا؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: رسول الله؟ فقال: وما تنكر؟ قال الله عزوجل: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:6-7]. قال: ثم سألت صالح بن كيسان عنها، فقال لي: هل سألت عنها أحدا؟ فقلت نعم، قد سألت زيد بن أسلم، فقال: ما قال لك؟ فقلت: بل تخبرني ما تقول، فقال: لأخبرتك برأي الذي عليه رأيي، فأخبرني ما قال لك، قلت: قال: يُراد بهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال: وما علم زيد؟! والله ما سنُّ عالية، ولا لسانٌ فصيحٌ، ولا معرفة بكلام العرب، إنما يُراد بهذا الكافر، ثم قال: اقرأ ما بعدها يدُلُّك على ذلك. قال ثم سألت حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، فقال لي مثل ما قال صالح؛ هل سألت أحدا؟ فأخبرني به، قلت: إني قد سألت زيدَ بنَ أسلم وصلحَ بنَ كيسان، فقال: ما قال لك؟ قلت: بل تُخبرني بقولك، قال: لأخبرتك بقولي، فأخبرته بالذي قال لي، فقال: أخالفهما جميعاً؛ يريد بهذا البرِّ والفاجر، قال الله عزوجل ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدٌ﴾ [ق:19]، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ﴾ [ق:22]. قال: فانكشف الغطاء عن البرِّ والفاجر، فرأى كلُّ ما يصير إليه.¹

فلاحظ كيف استند هؤلاء الأئمة من التابعين إلى السياق القرآني في تفسيرهم للآية:

- فقد استدل زيد بن أسلم بسياق سورة الضحى فيما ذهب إليه في توجيه الآية بكون المقصود هو النبي صلى الله عليه وسلم.

¹الجامع، عبد الله بن وهب، تفسير القرآن، رواية: سحنون بن سعيد، تحقيق: ميكلوش موراي، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 2003م، ج2، ص126، وهو في: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد المحسن التركي، دار هجر-القاهرة-الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م، ج21، ص431-432.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

- وصالح بن كيسان استند إلى السياق، وتحديدًا بلحاق الآية في بيان أن المقصود بذلك الكافر وصرح بذلك بقوله (إنما يُراد بهذا الكافر، ثم قال: (اقرأ ما بعدها يدلك على ذلك).

- وحسين بن عبد الله بن عباس استند إلى السياق كذلك فيما ذهب إليه من أن المقصود بالآية هو البر والفاجر؛ فقد استعمل السياق سابقًا ولحقًا مخالفًا بذلك صاحبيه في تفسيرهما حيث قال: " أخالفهما

جميعًا؛ يريد بهذا البرّ والفاجر، قال الله عزوجل ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾

[ق:19]، ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [ق:22]. قال: فانكشف الغطاء عن البرّ والفاجر، فرأى كلُّ ما يصير إليه.¹

وثبت عن مسلم بن يسار أنه قال: " إذا حدّثت عن الله حديثاً، فأمسك فاعلم ما قبله وما بعده."²

المطلب الثالث: تطبيق السياق عند الفقهاء وأئمة التفسير:

لقد مشى الأئمة والفقهاء، وعلماء التفسير، ومن صنّف في علوم القرآن على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، والتابعون، في تطبيق السياق القرآني؛ لذلك نجدهم ينصّون على أهميته، أو باستعماله في تطبيقاتهم واستنباطهم، وهذه أمثلة تدلُّ على ذلك:

1- الإمام محمد بن إدريس الشافعي: ذكر في كتابه "الرسالة" باباً سمّاه: [الصف الذي يبيّن سياقه معناه]، ثم ذكر مثالا حيث قال: " قال الله تعالى ﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: 163]، فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ

¹ الجامع، ابن وهب، مصدر سابق، ج2، ص126، وجامع البيان، الطبري، مصدر سابق، ج21، ص432.

² الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار التاج-بيروت- الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م، ج7، ص231، باب: ما قالوا في البكاء من خشية الله، برقم: 35588.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ [الأعراف: 163] ، دَلَّ على أنه إنما أراد أهل القرية، لأنَّ القرية لا تكون
عاديةً ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا
يفسقون¹.

2- الإمام أبو إسحاق الشاطبي² حيث قال: "كلام العرب على الإطلاق لا بد فيه من اعتبار معنى المساق
في دلالة الصيغ، وإلا صار ضحكة وهزءة."³

وقد ذكر في موضع آخر ما بيَّن أهمية مراعاة السياق بجميع تركيباته اللغوية الداخلية، والاعتبارات
والأحوال الخارجية حيث قال: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأقوال والنوازل، وهذا معلوم في
علم المعاني والبيان؛ فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم والالنفات إلى أوَّل الكلام وآخره، بحسب
القضيَّة وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أوَّلها دون آخرها، ولا في آخرها دون أوَّلها، فإنَّ القضيَّة وإن
اشتملت على جمل؛ فبعضها متعلق ببعض لأتَمَّا قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم
عن ردِّ آخر الكلام على أوَّلها، وأوَّلها على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف."⁴

¹ الرسالة، محمد ابن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية-بيروت-(دط)، (دت)، ص
62-63.

² أبو إسحاق ابراهيم بن موسى الغرناطي الشهير بالشاطبي، المؤلف المحقق، أحد العلماء الأثبات، وأكابر الأئمة
الثقات، الفقيه الأصولي المفسر المحدث، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة، عرف بالصلاح والعفة، والورع واتباع
السنة واجتناب البدع. له تأليف نفيسة اشتملت على تحريرات للقواعد، وتحقيقات لمهمات الفوائد، منها (الموافقات)،
(الإعتصام)، توفي في شعبان سنة: 790هـ. ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف،
تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1424هـ-2002م، ج 1 ص 332. وينظر:
الأعلام للزركلي، مصدر سابق، ج 1، ص 75.

³ الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان-السعودية-الطبعة الأولى:
1417هـ-1997م، ج 3، ص 419.

⁴ المصدر نفسه، ج 4، ص 266.

3- الإمام بدر الدين الزركشي¹ حيث قال: " دلالة السياق أنكرها بعضهم ومن جهل شيئاً أنكره، وقال بعضهم: إنها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى، ثم نقل عن الشيخ عز الدين في "كتاب الإمام": السياق يرشد إلى تبيين الجملات، وترجيح الاحتمالات، وتقرير الواضحات." ²

وقال أيضاً: " دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين الحمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره، وغالط في مناظراته." ³

4- الإمام ابن تيمية في ردّه على قوم أهملوا السياق حيث قال: " فهذا الصّنف راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي؛ من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام." ⁴

¹ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهاء الشافعية والأصول، تركي الأصل، ولد بمصر سنة 745هـ، كان فقيهاً أصولياً مفسراً أديباً فاضلاً في جميع ذلك، توفي سنة 794هـ، وله تصانيف كثيرة في عدّة فنون منها (البرهان في علوم القرآن)، (البحر المحيط) في أصول الفقه، (أحكام المساجد). الأعلام للزركلي، ج6، ص60، وطبقات المفسرين، الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م، ج2، ص162.

² البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م، ج6، ص52.

³ البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، طبعة: دار الحديث-مصر-1427هـ/2006م، ص431.

⁴ مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء-مصر- الطبعة الثالثة: 1426هـ-2005م، ج13، ص190-191.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

5- الإمام ابن قيم¹ الجوزية: " السياق يرشد إلى تبين الحمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته."²

6- عبد الرحمان ابن ناصر السعدي³ فقد قال مبينا حال التفاسير، ومبينا أهمية السياق في ذلك حيث قال: " وقد كثرت تفاسير الأئمة رحمهم الله لكتاب الله؛ فمن مطوّل خارج في أكثر بحوثه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حلّ بعض الألفاظ اللغوية بقطع النظر عن المراد؛ وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، واللفظ وسيلة إليه، فينظر في سياق الكلام وما سيق لأجله، ويقابل بينه وبين نظيره في موضع آخر، ويعرف أنه سيق لهداية الخلق كلهم عالمهم وجاهلهم، حضريهم وبدويهم؛ فالنظر لسياق الآيات، مع العلم بأحوال الرسول صلى الله عليه وسلم، وسيرته مع أصحابه وأعدائه وقت نزوله، من أعظم ما يعين على معرفته وفهم المراد منه."⁴

فتبين من خلال هذه النقول ما للسياق من أهمية بالغة، أدرك ذلك علماء الأصول والفقهاء والمفسرون، فجعلوا السياق من الضروريات الأساسية في فهم نصوص القرآن، واستوضح دالاتها، الأمر الذي يجعل الدارسين للنص القرآني ينضبطن به في الفهم بما لا يخرج دالاته ومعانيه عن المسار الصحيح في الفهم.

¹ محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله شمس الدين: الحنبلي العلامة، ولد سنة (691هـ)، صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة الكبار في التفسير والحديث والفروع والأصلين والعربية، توفي سنة (751هـ).

له من التصانيف الشيء الكثير منها: (إعلام الموقعين)، (الطرق الحكمية في السياسة الشرعية)، (شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل). بغية الوعاة، ج1، ص62-63، الأعلام، ج6، ص56.

² بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، (دط)، (دت)، ج4، ص1314.

³ عبد الرحمان بن ناصر بن عبد الله آل سعدي الناصري التميمي الحنبلي، ولد سنة (1307هـ) في (عنيزة) بالقصيم وتوفي بها سنة: (1376هـ)، له نحو ثلاثين كتابا منها (تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان)، (طريق الوصول

إلى العلم المأمول من الاصول)، وغيرها. الأعلام للزكلي: مصدر سابق، ج3، ص340، ومشاهير علماء نجد، عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة الثانية: 1394هـ، ص392-397.

⁴ تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، (دط)، (دت)، ج1،

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأركانه:

تبين لنا من خلال بيان مفهوم السياق القرآني؛ بأنه وحدة لغوية متكاملة الترابط في ألفاظها ومعانيها، في غاية الترابط والانسجام لا يجوز معها الانفصال والانفصام، فمراعاة البنية اللغوية للقرآن الكريم، وكذلك اعتبار الجو الزماني والمكاني وأحوال المخاطبين بالآيات القرآنية تشكل أنواع هذا السياق وتبين أركانه ودعائمه، وفي هذا المبحث بيان لأنواع السياق القرآني والتي من خلالها تتضح أركانه التي يبني عليها، وعليه فيمكن تقسيم السياق القرآني إلى نوعين رئيسيين: **السياق الداخلي والسياق الخارجي**¹

وبيان هذه الأنواع يكون من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: السياق الداخلي: (البنيوي اللغوي):

يعد النص الشرعي بادئ ذي بدئ نصاً لغوياً منسوجاً من جنس لسان العرب، مؤلفاً من جمل مترابطة تشكل عناصر ذات دلالات خاصة بها، وتتضافر هذه العناصر لتؤلف كلاماً يفيد قصداً دلاليًا معيّنًا، وهذه قاعدة ثقافية ثابتة لفهم النص الشرعي.²

وقد جاء تعريف السياق الداخلي بعدة تعاريف نذكر منها:

بأنه: " ذلك السياق الذي يُعنى بالنَّظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم آخذاً بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة، وقد تتسع دائرته إذا دعت الحاجة، فيشمل الجمل السابقة واللاحقة، بل والقطعة كلها والكتاب كله."³

¹ أنظر هذا التقسيم في كل من: السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن محمد الشهراني، طبعة: كرسي القرآن الكريم وعلومه-جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى: 1436هـ، ص 24-26. والسياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية-جامعة البصرة- المجلد التاسع، العدد(02)، سنة 2010م، والدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنوش المصطفى، ص 52.

² منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمن بودرع، إصدار كتاب الأمة، العدد: 111، المحرم 1427هـ-2006م، ص 31. عن طريق موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف-دولة قطر : تاريخ الدخول: 2023/06/02.

<https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookslist&subject=76&ummaauthor=286>

³ السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، زيد عمر عبد الله، بحث ضمن مجلة جامعة الملك سعود، إصدار: 1423هـ-2003م، مجلد: 15، ص 841.

وعرّف بأنه: " المستفاد من عناصر مقالية داخل النص. " ¹
وعرّف بأنه: " ما لا يتضح معنى الكلمة إلا بالنظر في سابقه أو لاحق، أو بهما جميعاً. " ²
ومن خلال هذه التعاريف يمكن أن يقال إن السياق الداخلي هو: السياق المتضمن لأركانه من السياق واللاحق، والبنية اللغوية للنص القرآني، مفردات وآيات، ومقاطع وسورا.
وهذا يدفعنا للتعرض لأركان السياق القرآني الداخلي، وهذا ما سنبينه من خلال المطالب الآتية:

-المطلب الثاني: أركان السياق القرآني الداخلي:

- الركن الأول: السياق

فالسباق لغةً كما في معجم مقاييس اللغة: " السين والباء والقاف: أصل واحد صحيح يدل على التقديم، يقال: سبق، يسبق، سبقاً. " ³
وفي الكليات: " السباق بالموحدة، ما قَبْلَ الشَّيْءِ. " ⁴
أما اصطلاحاً فهو: " دلالة التركيب على معنى يسبق إلى الفهم منه، مع احتمال إرادة غيره. " ⁵
وقيل هو: " ما سبق من الكلام، وتوقف فهم معنى ما بعده عليه. " ⁶

¹ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دط، دت، ص30.

² السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد الشهراني، مصدر سابق، ص25.

³ معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج3، ص129.

⁴ الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: 1419هـ/1998م، ص508.

⁵ حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، دت، ج1، ص30.

⁶ السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، مصدر سابق، ص25.

- أمثلة لاستعمال المفسرين لهذا الركن:

لقد ذكر ابن جرير¹ الطبري أمثلة لاعتناء الصحابة بسباق الآية لبيان المعنى الصحيح في تفسيرها، منها ما ذكره تحت تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: 195] فقال: " حدثني محمد بن عمارة الأسدي، وعبد الله بن أبي زياد قالا حدثنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد، قال، أخبرني حيوة وابن لهيعة، قالا حدثنا يزيد بن أبي حبيب، قال، حدثني أسلم أبو عمران مولى تقيب، قال: كنا بالقسطنطينية، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر الجهني صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى أهل الشام فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج من المدينة صف عظيم من الروم، قال: وصفنا صفا عظيما من المسلمين، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، ثم خرج إلينا مقبلا فصاح الناس وقالوا: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة! فقام أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أيها الناس إنكم تتأولون هذه الآية على هذا التأويل! وإنما أنزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار! إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصريه، قلنا فيما بيننا بعضنا لبعض سرا من رسول الله: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أننا أقمنا فيها، فأصلحنا ما ضاع منها! فأنزل الله في كتابه يرد علينا ما هممنا به، فقال ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ بالإقامة التي أردنا أن نقيم في الأموال ونصلحها، فأمرنا بالغزو. فما زال أبو أيوب غازيا في سبيل الله حتى قبضه الله²

¹ محمد بن جرير الحافظ، أبو جعفر الطبري، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، ولد في آمل طبرستان سنة (224هـ)، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره فكان حافظا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، عالما بالسنن وطرقها، توفي ببغداد سنة: (310هـ)، له من التصانيف، (جامع البيان في تفسير القرآن)، (أخبار الرسل والملوك) يعرف بتاريخ الطبري. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م، ج2، ص201. والأعلام للزركلي، ج6، ص69.

² جامع البيان عن تأويل القرآن، ج3، ص323، وهذا الأثر أخرجه الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر رقم: (2972) باب: ومن سورة البقرة، ج5، ص212، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب، وأبو داود في سننه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى: 1430هـ-2009م، ج4، ص166، أثر رقم:

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

فبيّن أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه لأصحابه خطأهم في تأويل الآية، وأوضح لهم المعنى الصحيح بذكر سياق الآية وهو قوله تعالى ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ومن التفاسير المعتمدة بالتصريح بلفظة السياق والتنصيص عليها، تفسير الألوسي¹؛ فقد أكثر من استعمالها في تفسيره، وجعلها مرادفة للسياق ومن أمثلة ذلك:

قال: " قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي : سافرتم للغزو على ما يدل عليه السياق والسياق"².

وقال: في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وما ذكر من كون الخطاب للأمم هو الظاهر ، وقيل: إنه للأنبياء الذين أشير إليهم في الآيات قبل، ولا يخفى بعده، وأبعد منه جعل الخطاب لهذه الأمة المحمدية ولا يساعده السياق ولا اللحاق"³.

(2512) باب في قوله تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة)، والطبراني: في المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية-القاهرة- الطبعة الثانية، دت، ج4، ص176، أثر رقم: (4060) وهو في: الصحيح المسند من أسباب النزول للإمام مقبل ابن هادي الوادعي، طبعة دار الآثار، الطبعة السابعة: 1430هـ/2009م، ص32.

¹ محمود بن درويش الحسيني الألوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: شيخ علماء العراق في عصره، مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، نسبته إلى جزيرة ألوس في وسط نهر الفرات، ولد ببغداد سنة (1217هـ)، عكف على التأليف إلى أن توفي سنة (1270هـ)، له تصانيف، أشهرها: (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني). معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان- الطبعة: الثالثة، 1409 هـ -1988م، ج2، ص665، الأعلام للزركلي، ج7، ص176.

² روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ضبط: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ/1994م، ج3، ص114.

³ المصدر نفسه، ج3، ص321. وانظر لمزيد الأمثلة: (67/4)، (149/4)، (250/4)، (38/5)، (63/5).

- الركن الثاني: اللحاق

- اللحاق لغة: جاء في كتاب العين: "اللَّحَقُّ: كل شيءٍ لِحِقِّ شَيْئًا أو أَلْحَقْتُهُ به من النبات ومن حمل النخل، وذلك أن يرطب ويتمر ثم يخرج في بعضه شيء أخضر قلَّ ما يرطب حتى يدركه الشتاء، ويكون مثل ذلك في الكرم يسمى لِحَقًا. واللَّحِقُّ من الناس: قوم يلحقون بقوم بعد مضيهم."¹

وفي مقاييس اللغة: " (لحق): اللام والحاء والقاف، أصل يدل على إدراك شيء وبلوغه إلى غيره، يقال لحق فلان فلاناً فهو لاحقته."²

وفي الصحاح: "لِحَقُّهُ وِلْحَقُّ بِهِ لِحَاقًا بِالْفَتْحِ، أَي أَدْرَكَهُ."³

وفي تاج العروس: "واللِّحَاقُ، ككِتَاب... وَتَلَا حَقَّتِ الْأَخْبَارُ: تَتَابَعَتْ، وَكَذَا أَحْوَالُ الْقَوْمِ."⁴

وقال الراغب الأصبهاني⁵: "لِحَقَّتْهُ وَلِحِقَّتْ بِهِ، أَدْرَكَتْهُ قَالَ تَعَالَى: ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ

أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: 170]"⁶.

¹ كتاب العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السمراي، دار ومكتبة الهلال، دت، ج3، ص48.

² معجم مقاييس اللغة ج5، ص238.

³ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل ابن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين-بيروت-الطبعة الثانية: 1399هـ/1979م، ج4، ص1549.

⁴ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العرياوي، طبعة: التراث العربي-الكويت-1410هـ/1990م، ج26، ص353.

⁵ الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني، أو الأصبهاني، المعروف بالراغب، صاحب المصنفات، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، حتى كان يقرب بالإمام الغزالي، توفي سنة 502هـ، من كتبه، (محاضرات الأدباء)، (الذريعة إلى مكارم الشريعة)، (المفردات في غريب القرآن). بغية الوعاة، مصدر سابق، ج2، ص297، والأعلام، ج2، ص255.

⁶ معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر-بيروت- طبعة: 1431هـ-2010م، ص341.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

يتبين مما سبق من النصوص اللغوية أن اللحاق ما يتبع ويدرك سابقه من الأشياء والمعاني؛ فيتضح المراد ويستقر المعنى.

- اللحاق: اصطلاحاً: فلم أعثر على حسب بحثي على تعريف اصطلاحى لـ: اللحاق، ولكن يظهر من خلال النصوص اللغوية السابقة أن معناها: الشيء الذي يُبَيَّنُّ معنى ما قبله حسياً كان أو معنوياً.

- أمثلة لاستعمال المفسرين لهذا الركن:

- روى ابن جرير بسنده عن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [المائدة: 116]: متى يكون ذلك؟ قال: يوم القيامة،

ألا ترى أنه يقول: ﴿هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: 119].¹

فاستدل قتادة بلحاق الآية في بيان الزمن الذي تقع فيه تلك المحاورة بين نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام ورب العزة جل في علاه، وروى بسنده عن ابن زيد في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾

[الفرقان: 68] قال: الأثام: الشر. وقال: سيكفيك ما وراء ذلك: ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَخْلَدُ فِيهِ مَهْلَكًا﴾.²

فلاحظ كيف بيّن ابن زيد معنى لفظة الأثام بأنها العذاب يوم القيامة استناداً إلى لحاق الآية.

ومن خلال التعريف السابق للسياق الداخلي وبيان أركانه؛ يمكن تقسيمه إلى أنواع فرعية يتمم بعضها بعضاً، حيث تتداخل وظائفها في بيان المعنى الصحيح لسياق الآية وهي كالاتي:

المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني الداخلي:

- النوع الأول: سياق المفردة القرآنية:

¹ جامع البيان، مصدر سابق، ج9، ص134.

² جامع البيان، ج17، ص514.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

وممن عني بهذا النوع من السياق الراغب الأصفهاني في كتابه (مفردات القرآن)، وقد أثنى على طريقته ومنهجه الإمام الزركشي فقال: "الثاني: ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها، واستعمالها بحسب السياق وهذا يعتني به الراغب كثيرا في كتاب (المفردات)، فيذكر قيذا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنه اقتنصه من السياق".¹

-أمثلة عن هذا النوع:

فمن ذلك لفظة (الكتاب) فإنها وردت في القرآن بعدة معاني، كلها تختلف باختلاف السياق الواردة فيه:

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّ ﴾ [البقرة: 78].

قال تعالى: ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ [النساء: 24].

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾ [الحجر: 04].

قال تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيّينَ ﴾ [المطففين: 18].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعْرِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [البقرة: 235].

فأنت تلحظ تعدد معاني الكتاب فيما مضى من الآيات دون أن يكون ثمة تغيير في مبنى الكلمة، ففي الآية الأولى: عنى به التوراة ولذلك أدخلت فيه الألف واللام، وفي الآية الثانية: عنى به أمر الله وحكمه، وفي الآية الثالثة: عنى به الرزق والأجل، وفي الآية الرابعة: عنى بها أعمال بني آدم، وفي الآية الخامسة: عنى به عدّة المرأة.²

وكذلك كلمة (البلوغ) فهي لفظ مشترك يطلق في اللغة على المقاربة وعلى الانتهاء إلى الشيء وقد ورد هذا اللفظ في آيتين متجاورتين، كان للسياق الفضل في اختيار المعنى المناسب لهذه اللفظة في الموضوعين:

¹ البرهان في علوم القرآن، مصدر سابق، ص 431.

² السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، ص 26.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: 231]، فالخطاب هنا للأزواج، والمراد ببلوغ الأجل قرب انتهاء العدة، لأن الأجل إذا انقضى زال التخيير بين الإمساك والتسريح، فلما خيّر الزوج دل على أن المعنى ما ذكرنا بالإجماع، ونرى في الآية التالية أن السياق يحتم حمل المعنى على الانقضاء، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 232]، فالخطاب هنا للأولياء، والمعنى أن الزوج إذا طلق زوجته وانقضت عدتها، وأراد أن ينكحها من جديد فليس لولي أمرها أن يمانع، فلو كان معنى بلوغ الأجل هنا المقاربة لراجع الزوج مطلقة دون حاجة إلى ولي أمرها، ورحم الله الشافعي حين قال: "دلّ سياق الكلامين على افتراق البلوغين."¹؛ فقد جعل السياق البلوغ في الآية الأولى: بمعنى مشاركة بلوغ الأجل، وجعله في الثانية: بمعنى انتهاء الأجل، وكل الذي ذكرنا محل إجماع المفسرين.² وتحت هذا النوع أنواع كثيرة فرعية نذكرها مع أمثلتها لأهميتها:

أ- السياق النحوي:

ويعنى السياق النحوي بالبنية النحوية وعلاقات الكلمات، وظائفها ومواقعها من الترتيب فعند تتبع الآيات التي ورد فيها لفظ الجلالة (الله) نجد الكثرة الكثيرة منها تقدّم فيها المسند إليه على المسند، ولنأخذ سورة النحل شاهداً على هذا التقديم ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ [النحل: 65]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقْكُمْ﴾ [النحل: 70]، وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [النحل: 65]، تقدّم المسند إليه (لفظ الجلالة) على المسند (الفعل)... وعُدّ هذا النظام أسلوباً من أساليب القصر يلجأ إليه في الكلام عند إرادة قصر صفة من الصفات على المسند إليه

¹ مختصر المزني في فروع الشافعية (مطبوع ملحق بالأمر للشافعي الجزء الثامن)، إسماعيل ابن يحيى المزني، دار المعرفة- بيروت-1410هـ-1990م، ج8، ص300.

² السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، ص846.

ففي هذه السورة المباركة وأمثالها جاء تقديم لفظ الجلالة على الفعل بيانا لنعمه الكثيرة على الناس، وتذكيرا على آلائه على العباد، ودفعاً لما يتوهم من أن له شريكا فيها أو أن للإنسان يدا في الحصول عليها فاقضى المقام امر تديبرها على الله سبحانه، وأن يؤكد هذا المعنى في أذهان العباد.¹

ب-السياق الصرفي²:

من الخصائص الصرفية لكثير من كلمات القرآن الكريم أن الكلمة قد تتعرض أحيانا لحذف بعض أحرفها، حيث يجيء أحد الفعلين محذوف حرف من حروفه؛ مثلما نجد في الفرق بين تنزّل وتنزّل، والفرق بينهما زيادة التاء، وتفسير ذلك أنه قد يحذف من الفعل للدلالة على الاقتطاع من الحدث؛ فقد عُبِّرَ بالفعل (تنزّل) و(يتنزّل) للدلالة على التابع في التنزيل، ومن الشواهد (استطاع) و(استطاع)، و(تتوفاهم) و(تتوفاهم) و(لم يكن) و(لم يك)، و(تذكرون) و(تذكرون) و(تبدّل) و(تبدّل)، ... وقد يحدث للحرف من حروف الكلمة إدغام له في الذي بعده للمماثلة نحو(يرتد) و(يرتدد)، أو للتقارب نحو (يتضرعون) و(يضرعون) و(يتذكرون) و(يدكرون) و(تطيّرنا) و(اطيّرنا).³

وهذا كله يندرج تحت قاعدة: [كل زيادة في المبنى زيادة في المعنى]. ومثال ذلك:

¹ السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، ص 42-43.

² ينظر للفائدة مقالنا: السياق الصرفي وأثره في تفسير القرآن عند ابن عطية الأندلسي - نماذج ونتائج -، بوعكاز علي، بلخير عثمان، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر، المجلد الثامن، العدد الأول/أفريل 2023م، ص 366-376، تاريخ النشر: 2023/04/30، رابط المقال:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/223/8/1/219739>

³ النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمان بودراع، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر رقم: (83)، الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية، www.arrabita.ma ص 22-23. تمت زيارة الموقع: 2023/06/02.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

ما ذكره ابن كثير¹ حيث قال: "وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 82]، أي: هذا تفسير ما ضُفِّتَ به ذرعا، ولم تصبر حتى أُخبرك به ابتداءً، ولما أن فسره له وبَيَّنَّه، ووضحه وأزال المشكل، قال: ﴿تَسْطِعْ﴾ وقبل ذلك كان الإشكال قوياً ثقيلاً فقال: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: 78]، فقابل الأثقل بالأثقل، والأخف بالأخف، كما قال: ﴿فَمَا أَسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: 97] وهو الصعود إلى أعلاه ﴿وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ وهو أشق من ذلك، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى، والله أعلم.²

ج- السياق الصوتي:

إن اللغة العربية أدقُّ اللغات احتفاظاً بالمعاني الفطرية للحروف بل هي أكثر اللغات احتفاظاً بحركة الإنسان الأوَّل في الإشارة إلى المعاني، وذلك حين يريد أن يقرن الصوت بحركة دالة على معنى من الإشارة يُفهم به المتكلِّمُ المخاطَبُ ما يريد أن ينبهه إليه أو أن يحمله على فهمه.³

أول ما يلاقيك ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره... هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟... فأول شيء أحسَّته تلك الأذن العربية في نظم القرآن هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي قُسمت فيه الحركة والسكون تقسيماً منوعاً يجدد نشاط السامع لسماعه،

¹ إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضو بن درع القرشي البصري ثم الدمشقي، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد سنة: (701هـ)، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق سنة: (774هـ). تناقل الناس تصانيفه في حياته، من كتبه (البداية والنهاية)، (تفسير القرآن الكريم). الأعلام للزركلي، ج1، ص320.

² تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجماي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م. تفسير القرآن العظيم، ج9، ص181.

³ جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقراها وقدم لها: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي - القاهرة-دت، ص718.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

ووزعت في تضاعيفه حروف المد والغنة توزيعاً بالقسط يساعد على ترجيع الصوت به وتهادى النَّفْسُ فيه آنأً بعد آنٍ، إلى أن يصل إلى الفاصلة الأخرى فيجد عندها راحته العظمى... فإذا ما اقتربت بأذنك قليلاً قليلاً، فطَرَقَتْ سَمْعَكَ جواهرُ حروفه خارجةً من مخارجها الصحيحة فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك الحروف ورفضها وترتيب أوضاعها فيما بينها: هذا ينقر وذاك يصفر، وثالث يهمس ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النَّفْسُ، وآخر يحتبس عنده النَّفْسُ وهلمَّ جراً فترى الجمال اللغوي ماثلاً أمامك في مجموعة مختلفة مؤلفة لا كركرة ولا ثثرة، ولا رخاوة ولا معاضلة، ولا تناكر ولا تنافر.¹

-مثال على هذا النوع:

لقد ذكر مصطفى صادق الرافعي مثالا عن هذا النوع فقال: " في القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه، وهي كلمة (ضيزى) من قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ [النجم: 22]، ورغم ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه؛ ولو أردت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها؛ فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم، مفصلة كلها على الياء؛ فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب، إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات لله مع اولادهم البنات فقال تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴾ [النجم: 21-22] فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها، وكانت الجملة كلها تصوّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل... والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام، وله نظائر في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سيقته له بلفظها وهيئة منطقتها، فكأن في تأليف حروفها معنى حسياً، وفي تأليف أصواتها معنى مثله في النفس... وإن تعجب فاعجب لنظم هذه الكلمة الغريبة وائتلافه مع ما قبلها؛ إذ هي مقطعان: أحدهما

¹ النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم - الكويت - دت، ص 101-104 بتصرف

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

مدُّ ثقيل، والآخر مد خفيف وقد جاءت عقب غنّتين ﴿إِذَا﴾ و﴿قِسْمَةٌ﴾ وإحداهما خفيفة حادة، وأخرى ثقيلة متفشية، فكأنها بذلك ليست إلا مجاورة صوتية¹.

د-سياق التناسب اللفظي:

قال ابن القيم: " من له غوص في دقائق المعاني يتجاوز نظره قالب اللفظ إلى لب المعنى، والواقف

مع الألفاظ مقصور النظر على الزينة اللفظية، فتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾^(١١٨)

وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ﴿[طه: 118-119]، كيف قابل الجوع بالعري، والظمأ بالضحي، والداخل إلى بلد المعنى يرى هذا الكلام في أعلى مراتب الفصاحة والجلالة؛ لأن الجوع ألم الباطن والعري ألم الظاهر، فهما متناسبان في المعنى، وكذلك الظمأ مع الضحي؛ لأن الضمأ موجب لحرارة الباطن والضحي موجب لحرارة الظاهر، فاقتضت الآية نفي جميع الآفات ظاهرا وباطنا.²

ومن التناسب اللفظي كذلك ما يقع في المتشابه من الآيات ولنأخذ لذلك مثالا يتضح من خلاله هذا

النوع فقد جاء في قوله تعالى: ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: 60]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: 160].

قال البقاعي³: " ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ وما أنسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق لاجتماعهما في الخروج عن محيط، هذا خروج يحیی وذاك خروج يمیت... ولأن هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذي يدور معناه على انشقاق فيه سيلان وانبعثت مع انتشار واتساع وكثرة، ولمّا لم يكن سياق الأعراف للامتنان عبر بالانبعاس الذي يدور معناه على مجرد الظهور والنبوع.⁴

¹ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، - الطبعة التاسعة: 1393هـ-1973م، ص 230 بتصرف يسير.

² بدائع الفوائد، لابن القيم، مصدر سابق، ج 3، ص 1228.

³ إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط - بضم الراء وتخفيف الباء - بن علي بن أبي بكر البقاعي، أبو الحسن برهان الدين: المؤرخ الأديب المحدث المفسر، أصله من البقاع في سورية، ولد سنة (809هـ)، وسكن دمشق ورحل إلى بيت المقدس والقاهرة، وتوفي بدمشق سنة (885هـ). الأعلام، ج 1، ص 56.

⁴ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، دط، سنة النشر: 1404هـ-1984م، ج 1، ص 404.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

- النوع الثاني: سياق الآية:

ذكرت فيما سبق سياق المفردة القرآنية وما يتعلق بها من تعدد في المعاني بحسب بُنيته وتركيبها، ولا شك أن كل مفردة تكون ضمن آية قرآنية تحويها، ويحف بها سياق ولحاق يحدد معالم معناها وفق قانون سياقها، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره ابن كثير في تفسير لفظه (الإصلاح) من قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: 90]، حيث قال: " قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد ابن جبير: كانت عاقرا لا تلد فولدت. وقال عبد الرحمان بن مهدي: عن طلحة بن عمرو عن عطاء: كان في لسانها طول فأصلحها الله. وفي رواية: كان في خلقها شيء فأصلحها الله: وهكذا قال محمد بن كعب، والسدي، والأظهر من السياق: الأول." ¹

فتبين معنى لفظة الإصلاح بالنظر إلى ما احتف بها من السياق وهذا ما وضحه محمد الأمين الشنقيطي² بقوله: " فهذا الإصلاح هو كونها صارت تلد بعد أن كانت عقيما، وقول من قال: إن إصلاحها المذكور هو جعلها حسنة الخلق بعد أن كانت سيئة الخلق لا ينافي ما ذكر لجواز أن يُجمع له بين الأمرين فيها، مع أن كون الإصلاح هو جعلها ولودا بعد العقم هو ظاهر السياق." ³

- النوع الثالث: سياق المقطع:

يأخذ سياق المقطع دورا مهما في إبراز وتشخيص الموضوع القرآني، وخصوصا في السور الطوال والمئين وبعض المفصل... وإذا دققنا النظر تبين لنا أن أمثل طريقة في بيان التناسب والتناسق بين الآيات القرآنية،

¹ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مصدر سابق، ج 9، ص 439.

² محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)، ولد فيها سنة (1325هـ) وتعلم فيها، وحج سنة (1367هـ)، واستقر مدرسا في المدينة المنورة، وتوفي بمكة سنة (1393هـ)، له كتب، منها: (أضواء البيان في تفسير القرآن)، و(منع جواز المجاز). الأعلام، ج 6، ص 45.

³ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، دت، ج 4، ص 267-268.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

هو تقسيم السورة إلى مقاطع بعد النظر في جميعها، ومن ثم تحليل سياق المقطع لإبراز موضوعه الأظهر فيه وعندها يطلب وجه المناسبة بين الآيات.¹

وقد بين عبد الله دراز هذا النوع وعبر عنه بكلام بديع يجلي أهميته فقال: " إنك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثاً من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمعت عفواً؛ فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول، فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة لا تحسُّ بشيء من تناكر الأوضاع في التقسيم والتنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق؛ بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام اللفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضام والالتحام، كل ذلك بغير تكلف... وإنما هو حسن السياقة ولطف التمهيد في مطلع كل غرض ومقطعه... فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسهما كما يلتقي العظامان عند المفصل ومن فوقهما تمتد شبكة من الوشائج تحيط بهما عن كثر كم يشتبك العضوان بالشرابين والعروق والأعصاب؛ ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي مجموعها غرضاً خاصاً.²

ولنأخذ مثلاً على ذلك، جاء تفسير قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴾ [آل عمران: 194]، قال ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: " إنَّ قال لنا قائل وما وجه مسألة هؤلاء القوم ربَّهم أن يؤتيهم ما وعدهم، وقد علموا أنَّ الله منجز وعده،.. وقد اختلف في ذلك أهل البحث؛ فقال بعضهم: ذلك قول خرج مخرج المسألة ومعناه الخبر. قالوا: وتأويل الكلام: ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنَّا، ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفرِّ عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار، لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك، ولا تخزنا يوم القيامة. وقال آخرون: بل ذلك قول من قائله على معنى المسألة والدعاء لله بأن يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله،... وقال آخرون: بل قالوا هذا القول على وجه المسألة والرغبة منهم إلى الله أن يؤتيهم ما وعدهم؛ من النصر على أعدائهم من أهل الكفر، والظفر بهم، وإعلاء كلمة الحق على الباطل، فيعجل ذلك لهم.

¹ نظرية السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، ص 105.

² النبأ العظيم، دراز، ص 155.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

والذي هو أولى الأقوال بالصواب في ذلك عندي، أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره، مفارقاً لأهل الشرك بالله، إلى الله ورسوله، فقالوا: ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلاً، فإنك لا تُخلف الميعاد. يدلُّ على صحة ذلك آخر الآية الأخرى، وهو قوله: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّيْنِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا﴾ [آل عمران: 195]، الآيات بعدها. ¹

-النوع الرابع: سياق السورة:

يعتبر سياق السورة هو ما تناوله من موضوع أو مواضيع متعددة من بدايتها إلى نهايتها في نسق بديع وتربط يأخذ بمعاني بعضه بعضاً مشكلاً وحدة موضوعية، فينبغي أن نعلم ماهي السورة وما حدُّها وهذا ما ذكره الزركشي بقوله: " فائدة: في بيان لفظ السورة لغة واصطلاحاً: قال القتيبي: السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت أي: أفضلت، من السؤر وهو ما بقي من الشراب في الإناء، كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جعلها من المعنى المتقدّم وسهّل همزتها.

ومنهم من شبهها بسور البناء، أي: القطعة منه، أي: منزلة بعد منزلة، وقيل: من سور المدينة لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد وعلى هذا فالواو أصلية. ويحتمل أن تكون من السورة بمعنى المرتبة، لأن الآيات مرتبة في كل سورة ترتيباً مناسباً... وقيل: سميت سورة لارتفاع قدرها لأنها كلام الله تعالى وفيها معرفة الحلال والحرام... وجمع سورة القرآن سُور بفتح الواو وجمع سورة البناء سور بسكوئها.

أما في الاصطلاح: فقال الجعبري: حدُّ السورة: قرآنٌ يشتمل على أي ذوات فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات. ²

وللتعرف على موضوع السورة وتربط معانيها؛ للخروج بمقاصدها ينبغي النظر في جميع نواحي سياقها من أولها إلى آخرها، فبذلك تحصل الفائدة، وقد أشار الشاطبي إلى هذا المعنى فقال: " فاعتبار جهة النظم

¹ جامع البيان، ابن جرير، مصدر سابق، ج6، ص317-318.

² البرهان في علوم القرآن، الزركشي، مصدر سابق، ص186-187.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

مثلا في السورة لا تتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها. فسورة البقرة مثلا كلام واحد باعتبار النظم، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب، ومنها ما هو كالمؤكد والمتعمم، ومنها ما هو المقصود في الإنزال، وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك.¹

ولنأخذ لذلك مثلا يتضح به المقام مثل به الشاطبي نفسه للتدليل على كلامه السابق فقال: " وسورة "المؤمنون" نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات، وغالب المكى أنه مقرر لثلاثة معان، أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى:

أحدها: تقرير الوجدانية لله الواحد الحق...والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد، وأنه رسول الله إليهم جميعا، صادق فيما جاء به من عند الله...والثالث: إثبات أمر البعث والدار الآخرة وأنه حق لا ريب فيه بالأدلة الواضحة...؛ فإذا تقرر هذا وعدنا إلى النظر في سورة "المؤمنون" مثلا وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه؛ إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقين وإنهم إنما أنكروا ذلك بوصف البشرية ترفعا منهم أن يرسل إليهم من هو مثلهم، أو ينال هذه الرتبة غيرهم إن كانت؛ فجاءت السورة تبين وصف البشرية وما تنازعوا فيه منها، وبأي وجه تكون على أكمل وجوهها حتى تستحق الاصطفاء والاجتباء من الله تعالى.²

¹ الموافقات، الشاطبي، مصدر سابق، ج4، ص268.

² الموافقات، ج4، ص269-270.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

وقال الرازي¹ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكَنُتِبُ عَزِيزٌ ۗ﴾ (٤١) لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۗ

تَزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿فصلت: 41-42﴾، قال: "المسألة الثانية: نقلوا في سبب نزول هذه الآية أن الكفار لأجل التعنت، قالوا لو نزل القرآن بلغة العجم فنزلت هذه الآية، وعندني أن أمثال هذه الكلمات فيها حيف عظيم على القرآن، لأنه يقتضي ورود آيات لا تعلق للبعض فيها بالبعض، وأنه يوجب أعظم أنواع: الطعن فكيف يتم مع التزام مثل هذا الطعن ادعاء كونه كتابا منتظما، فضلا عن ادعاء كونه معجزا؟ بل الحق عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد... وكل من أنصف ولم يتعسف علم أنا إذا فسرنا هذه الآية على الوجه الذي ذكرناه صارت هذه السورة من أولها إلى آخرها كلاما واحدا منتظما مسوقا نحو غرض واحد."²

وذكر ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ

لَمُحْضَرُونَ ﴿[الصفافات: 158]﴾، فقال: "اختلف أهل التأويل في معنى ذلك؛ فقال بعضهم: معناه: ولقد علمت الجنة إنهم لمُشهدون الحساب وأسنده إلى مجاهد وقال آخرون: معناه: إن قائلِي هذا القول سيُحضرُون العذاب في النار وأسنده إلى السدي، ثم قال: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال:

¹ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التيمي البكري الطبرستاني الأصل الرازي المولود، سنة (544هـ)، الملقب فخر الدين، المعروف بابن الخطيب، الفقيه الشافعي، فريد عصره ونسيج وحده، فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات وعلم الأوائل، وتوفي في هراة. سنة (606هـ)، أقبل الناس على كتبه في حياته يتدارسونها، له التصانيف المفيدة في فنون عديدة، (مفاتيح الغيب) ثمان مجلدات في تفسير القرآن الكريم، و(المحصل في علم الأصول) و(نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز). وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-الطبعة الأولى: 1971م، ج4، ص248. والأعلام للزركلي، ج6 / ص313.

² مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت-لبنان-الطبعة الأولى: 1401هـ-1981م، ج27، ص134.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

إنَّهم لمُحَضَّرُونَ العذاب؛ لأن سائر الآيات التي ذكر الله فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع.¹

فجعل ابن جرير سياق السورة حاكما في ترجيحه للمعنى الصحيح للإحضار في الآية بعد تتبع مواقع استعمال اللفظة في السورة كلها، ونستطيع أن نلخص ونعبر عن هذا النوع بعبارة أبدع فيها ابن القيم حيث قال كلاما هو كالقاعدة لسور القرآن فقال: " فإن السورة كالقصة الواحدة."²

-النوع الخامس: السياق العام للقرآن.

إنَّ القرآن الكريم أنزله الله عز وجل لهداية الخلق وإرشادهم لما يصلحهم، ويُقَوِّمُ اعتقادهم وينير لهم درب الطريق للوصول إلى رضوانه بتحقيق العبودية الخالصة له سبحانه وتعالى، مع بيان كل ما يصلحهم في دينهم، ومعاشرهم؛ بتشريع الأحكام سواء في العبادات أو المعاملات، أو الأحوال الشخصية، وفي هذا المعنى يقول الإمام الطاهر ابن عاشور³: " إنَّ القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: 89]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرائية."⁴

¹ جامع البيان، الطبري، ج19، ص646. بتصرف يسير.

² بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، مصدر سابق، ج3، ص652.

³ الإمام محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، ولده بتونس سنة: 1296هـ، ودرس بها، عُيِّنَ عام 1932م شيخًا للإسلام مالكيًا، وهو من أعضاء المَجْمَعَيْنِ العربيين في دمشق والقاهرة، له مصنَّفات مطبوعة، أشهرها: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي بتونس سنة 1393هـ، الأعلام، ج6، ص174.

⁴ تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بـ: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس-، دط، سنة النشر: 1948هـ، ج1، ص38.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

هذا، والمشتغل بتفسير القرآن، ينبغي له معرفة السياق العام للقرآن الكريم، وأغراض نزوله، ومقاصده الكلية، لتفسيره تفسيراً سليماً، وفق ضوابط سياقية مقاصدية، تشمل كليات المعاني، وكليات الألفاظ، ويمكن تقسيم السياق العام للقرآن الكريم إلى قسمين:

أ- سياق عام متعلق بالمقاصد والأغراض.

ب- سياق عام متعلق بكليات الألفاظ.

أ- السياق العام المتعلق بالمقاصد والأغراض:

وهذا النوع قد سلط عليه الضوء الإمام ابن عاشور وسمّاه بالمقاصد الأصلية التي جاء بها القرآن الكريم وجعلها ثمانية أخصها فيما يلي حيث قال: " أليس قد وجب على الآخذ في هذا الفن أن يعلم المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها فلنمّ بها الآن بحسب ما بلغ إليه استقراءنا وهي ثمانية أمور: الأول: إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح، وهذا أعظم سبب لإصلاح الخلق، لأنه يزيل عن النفس عادة الإذعان لغير ما قام عليه الدليل، ويطهر القلب من الأوهام الناشئة عن الإشراك والدهرية وما بينهما، وقد أشار إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ﴾ [هود: 101].

الثاني: تهذيب الأخلاق قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 04].

الثالث: التشريع وهو الأحكام خاصة وعامة. قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْتِكَ اللَّهُ﴾ [النساء: 105].

الرابع: سياسة الأمة وهو باب عظيم في القرآن القصد منه صلاح الأمة وحفظ نظامها.

الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [يوسف: 03]

السادس: التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين، وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها.

السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، وهذا يجمع جميع آيات الوعد والوعيد، وكذلك المحاجة والمجادلة للمعاندین، وهذا باب الترغيب والترهيب.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول إذ التصديق يتوقف على دلالة المعجزة بعد التحدي.¹

ب- السياق العام المتعلق بكليات الألفاظ ومعانيها:

إنَّ المراد بكليات القرآن ما يطلقه بعض المفسرين على لفظ أو أسلوب بأنه يأتي في القرآن على معنى مطَّرد، وهذه الإطلاقات الكلية تبين مصطلحات القرآن في الألفاظ والأساليب، فيكون اللفظ الكلي مصطلحا قرآنيا خاصًّا، ولا تكون هذه الإطلاقات إلا بعد استقراء للقرآن، وهذه الأحكام بعد الاستقراء إما أن تكون كلية لا تنحرم، وعليه فهي قاعدة مرجحة عند الاختلاف؛ لأن الاستقراء التام حجة، أو تكون منحرفة بأمثلة فيبين المفسر هذه الأمثلة، وعلى هذا تكون الأحكام أغلبية، ويمكن الاستفادة منها في الترجيح.³

وقد أشار ابن القيم إلى هذا النوع فقال: " للقرآن عرفٌ خاص ومعان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلُّها وأفصحها، ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي تعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجلُّ المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجلُّ وأفخم، فلا يجوز حمله على المعاني القاصرة." ⁴

وأشار ابن عاشور إلى هذا النوع بعد ذكره للمقاصد الأصلية للقرآن فقال: " فلا جرم كان رائدُ المفسر في ذلك أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ." ⁵
وقد أفرد له فصلا خاصا سمَّاه بـ (عادات القرآن).⁶

¹ التحرير والتنوير، ابن عاشور، مصدر سابق، ج1، ص39-42.

³ فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة: 1420هـ-1999م، ص120.

⁴ بدائع الفوائد، مصدر سابق، ج3، ص877

⁵ التحرير والتنوير، ج1، ص42.

⁶ المصدر نفسه، ج1، ص124

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

وهذه بعض الأمثلة على هذا النوع أخذتها من تفسير ابن جرير الطبري لبيان مدى عناية السلف من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من علماء التفسير بهذا النوع ودونك الأمثلة:

- عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿رَجْرًا﴾ [البقرة: 59]، قال: كلُّ شيءٍ في كتاب الله جلَّ ثناؤه من الرِّجز يعني به العذاب.¹

- عن مجاهد قال: كلُّ ظنٍّ في القرآن فهو علم.²

- عن مجاهد قال: ما كان في القرآن ﴿قُنْدَ الْإِنْسَانِ﴾ [عبس: 17]، أو فُعِلَ بالإنسان وإنما عُني به الكافر.³

- قال ابن زيد: في قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَنَ﴾ [النازعات: 18]، قال: إلى أن تُسَلِّمَ قال: والتزكي في القرآن كُله: الإسلام.⁴

وذكر الزركشي كذلك أمثلة لهذا النوع فقال: " قال ابن فارس في الأفراد:

كل ما في كتاب الله من ذكر (الأسف) فمعناه الحزن كقوله تعالى في قصة يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَؤُسْفَىٰ﴾ [يوسف: 84] إلا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآءَ أَسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمُ﴾ [الزخرف: 55]، فإن معناه أغضبونا وأما قوله في قصة موسى عليه السلام: ﴿غَضَبْنَا أَسْفَا﴾ [الأعراف: 150]، فقال ابن عباس: مغلظا.

وكل ما في القرآن من ذكر (البروج) فإنها الكواكب، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْسَمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: 01]، إلا التي في سورة النساء: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: 78]، فإنها القصور الطوال المرتفعة في السماء الحصينة.

¹ جامع البيان، ج1، ص730.

² المصدر نفسه، ج1، ص625.

³ المصدر نفسه، ج24، ص110.

⁴ جامع البيان، ج24، ص80.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

و(البخس) في القرآن: النقص مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن: 13]، إلا حرفا واحدا في سورة يوسف ﴿وَشَرَّوهُ يَشْمَنُ بِخَيْسٍ﴾ [يوسف: 20]، فإن أهل التفسير قالوا: بخس: حرام. وما في القرآن من ذكر (البعل)، فهو الزوج، كقوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرِدْهِنَ﴾ [البقرة: 228]، إلا حرفا واحدا في الصفات ﴿أَنْذَعُونَ بَعَلًا﴾ [الصفات: 125]، فإنه أراد صنما.

وكل شيء في القرآن من (ريب) فهو شك غير حرف واحد وهو قوله تعالى: ﴿نَزَرَبُصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ [الطور: 30]، فإنه يعني حوادث الدهر.

وكل (كنز) في القرآن فهو المال، إلا الذي في سورة الكهف: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: 82] فإنه أراد صحفا وعلما.

(النكاح) في القرآن التزوج إلا قوله جل ثناؤه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾ [النساء: 06]، فإنه يعني الحلم. و(النبأ) والأنباء في القرآن الأخبار، إلا قوله تعالى: ﴿فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ [القصص: 66]، فإنه بمعنى الحجج.

وكل (كسف) في القرآن يعني: جانبا من السماء غير واحد في سورة الروم ﴿وَبَجَعَلَهُ كَسْفًا﴾ [الروم: 48]، يعني السحاب قطعا.¹

يتبين لنا من خلال ما سبق أن السياق العام للقرآن ينبغي العناية به من جانب مقاصد القرآن وأغراضه العامة، وكذلك جانب الألفاظ الجارية على سياق واحد في الاستعمال القرآني، مما يجعل المفسر يدرك السياق العام بنوعيه، معرفة تمكنه من تفسيره تفسيراً ضمن سياقه من غير تعسف في تحميل معاني القرآن ما لا تحتل.

المطلب الرابع: السياق الخارجي وأنواعه:

لقد مر معنا الكلام عن السياق الداخلي ومفهومه وأركانه وذكر أنواعه، ويعتبر السياق الخارجي كذلك ذا أهمية بالغة وتتأكد ركنيته في فهم النص القرآني وفيما يلي بيان لهذا النوع:

¹ البرهان، الزركشي، ص 82 وما بعدها.

1- تعريف السياق الخارجي:

للسياق الخارجي عدة تعاريف أذكر منها:

عرفه عبد الفتاح البركاوي بقوله: " هو الاستفادة من العناصر غير اللغوية التي تصاحب النص."¹
وعرفه سعد الشهراني بقوله: " هو ما يحيط بالنص من عوامل خارجية، لها أثر في فهمه، من حال المُخاطَبِ، والمُخاطَبِ، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه."²
فالسياق الخارجي يشمل الحال أو المناسبة، وجميع الناس المشاركين في معنى الكلام، من حيث الجنس والعمر والألفة والتربية والانتماء الاجتماعي والثقافي والمهني والإيحاءات والإشارية العضوية غير اللغوية التي تصدر عنهم، والعادات والتقاليد والقيم والقوانين والعلاقات الاجتماعية والسياسية والدينية والتاريخية والفكرية كلها، كذلك يشمل الظروف الزمانية والمكانية التي يُؤدَّى بها الحدث اللغوي وتؤثر فيه، إذن فكل ما هو خارجي يحيط باللفظ ويسهم في تشكُّل المعنى عند المتلقي يدخل ضمن مفهوم السياق الخارجي، وعلى ذلك فالسياق الخارجي للنص القرآني يتجلى بأسباب النزول والمكي والمدني وقوانين العرب في كلامها وحياتها وعاداتها، وأخبار الأمم السالفة، وآراء العلماء السابقين، وأفعال الرسول الكريم وأقواله، وغير ذلك من معطيات خارجية غير لغوية أسهمت في فهم النص القرآني وتحديد معانيه.³

2- أنواع السياق الخارجي وبيان أهميتها في التفسير:

السياق الخارجي تتعدد أنواعه ولا تكاد تنحصر؛ نظرا لسعة الملابس الخارجية من زمان، ومكان وأشخاص، وعادات، ومساقات تاريخية محيطة بالنص، وغيرها، ونقتصر هنا على أهم أنواع السياق الخارجي الرئيسية التي من خلالها تتضح تفاصيلها، ونترك بقية الأنواع عند ذكر توظيف ابن عطية لها في تفسيره، ليسهل ربطها بالنماذج التطبيقية ليتبين من خلالها وجه الاستشهاد.

¹ دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، البركاوي، ص 30.

² السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، الشهراني، ص 27.

³ أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، د.محمد حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد الثاني عشر، ربيع ال آخر 1435هـ-فبراير 2014م، ص 10-11.

النوع الأول: السياق الاجتماعي¹:

إن السياق الاجتماعي يشمل عددا كبيرا من العوامل من بينها المجموعات الاجتماعية التي ينتمي إليها المتحدث، والعلاقات الاجتماعية والتعامل الاجتماعي ولا يخفى على ذي لب أن القرآن الكريم قد راعى هذا السياق من خلال تشريعاته السمحة في ما يتعلق بأمور الزواج والطلاق والميراث فضلا عن نهيته عن عادات اجتماعية سيئة كانت سائدة في الجاهلية مثل وأد البنات قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ^٨ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: 8-9]، وكذا قتل الأولاد خشية الفقر قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُوقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: 151] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ تَحْنُ نَزْرُوقُهُمْ وَإِيَّانَكُمْ﴾ [الإسراء: 31]، إذ قدّم رزق الآباء على رزق الأبناء في الأنعام في حين قدّم رزق الأبناء على رزق الآباء في الإسراء لأنهم في الأنعام يقتلون أولادهم خشية الفقر في المستقبل لا لأنهم مفتقرون في الحال إذ آية الأنعام خاصة بالفقراء أما آية الإسراء فخاصة بالموسرين.³

النوع الثاني: السياق التاريخي:

أشار القرآن الكريم إلى حقائق تاريخية ذات صلة وثيقة بحياة العرب عندما يذكر أماكن وأخبار خارجة عن محيطهم فلم يخاطبهم إلا بما يفهمونه ويعهدونه لاسيما أن للعرب أسفارا وتجارات واتصالات تربطهم بالعالم الخارجي فالقرآن نوه بتجارتهم. قال تعالى: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ^١ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [قريش: 1-2]، وكانت مكة مركزا للقوافل التجارية، وفي هذا السياق لا يمكن فهم الآيات بمجرد الأدوات اللغوية بل لابد من الإحاطة بجوانبها التاريخية والوقوف على تفاصيلها الحقيقية ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: 01]

¹ ينظر للفائدة مقالنا: أنثروبولوجيا السياق الاجتماعي عند المفسرين- نماذج تطبيقية ونتائج منهجية- بوعكاز علي، بلخير عثمان، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر، المجلد 19، العدد 1، ص 159-175، تاريخ النشر: 2023/01/05، رابط المقال:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/559/19/1/211115>

³ السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري، مرجع سابق، ص 50.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

وقوله: ﴿ قَاتِلْ أَصْحَابَ الْأَخْذُودِ ﴾ [البروج: 04]، وقوله: ﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾ [الفجر: 09]، وقوله: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾ [سبأ: 15]، وقوله: ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴾ [2-3]، فضلا عن ذلك فسورة التوبة لا تفهم بمعزل عن تفاصيل غزوة تبوك، وسورة الأنفال تكاد تكون مختصة بغزوة بدر، وسورة الحشر فيها تسجيل تفصيلي لغزوة بني النضير، وسورة الفتح مرتبطة بصلح الحديبية وفتح مكة وسورة الأحزاب سميت بإحدى الغزوات المشهورة وهي غزوة الخندق، أما سورة المزمل، والمسد، والمدثر، والجن والفيل، والكوثر والعلق، والقلم والتحريم والنور لا يتأتى لك فهمها فهما كاملا ما لم تحط إحاطة تامة بتفاصيل سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم.¹

هذه بعض الأنواع للسياق الخارجي ونأتي على ذكر بقية الأنواع من (أسباب النزول)، و(الحديث النبوي)، و(السياق القصصي)، و(المكي والمدني) نؤخر ذكرها عند ذكر توظيف ابن عطية لها في تفسيره. ومن خلال ما سبق من ذكر أنواع السياق القرآن تتضح لنا أركانه المتمثلة في السياق الداخلي بجميع أنواعه، وكذلك السياق الخارجي، فبمجموعها تشكل أركان السياق القرآني في تتابع وانتظام يكمل بعضها بعضا وتتشكل بها الوحدة الموضوعية في الألفاظ والمعاني القرآنية.

ولا شك أنَّ المنهج السياقي ببعديه: البعد اللغوي الداخلي والبعد المقامي الخارجي، يقدم بين يدي فهم النص الشرعي نسقا من العناصر التي تقوي طريق فهمه وتفسيره والاستنباط منه؛ لأنَّ العلم بخلفيات النصوص وبالأسباب التي تكمن وراء نزولها أو ورودها يورث العلم بالمسببات، وينفي الاحتمالات والظنون غير المرادة، ويقطع الطريق على المقاصد المغرضة التي لم يُردّها الشارع الحكيم ولم يُرمِّها، ويصحح ما اعوجَّ من أساليب التطبيق، كاقطاع النص من سياقه والاستدلال به معزولا عن محيطه الذي نزل فيه، هذه الأساليب التي أخرجت النصوص عن مقاصدها العليا ودفعت بها إلى وجوه من المعاني والاستنباطات البعيدة التي ظاهرها حق وباطنها باطل وجور.²

¹ السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، ص 50-51.

² النص القرآني ومنهج السياق، ص 03.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

-المبحث الرابع: ضوابط في التفسير بالسياق:

إنَّ ما مر معنا بيانه من أهمية السياق في تفسير القرآن الكريم، وتوضيح اهتمام علماء التفسير به؛ لا يعني ذلك اعتباره مطلقا وتقديمه كآلية للفهم تقدما مستقلا عن غيره من أصول التفسير، فينبغي مراعاة مجموعة من الضوابط تضبط تطبيقه تطبيقا سليما؛ يكون من خلاله صالحا للأخذ به واعتباره في مجاري تفسير كلام الله تعالى، والوصول إلى المعنى المراد من الآية، وهي كآتي:

-المطلب الأول: ضابط المنقول من القرآن وصحيح السنة والآثار

إنَّ الغاية الكبرى هي فهم النص، ومجموعة العوامل والمعالم التي تعين على فهمه ما هي إلا وسائل، وهي متفاوتة في قيمتها، فإذا كان أحد هذه المعالم نصًّا من آية تعدُّ تجاوزه، إذ ليس أحد أعلم بمراد الله من الله، وإن كان حديثا أهلا للاحتجاج به من حيث الثبوت والدلالة لم يمكن لأحد تجاهله كذلك؛ لأنَّه ليس أحد من البشر أعلم بمراد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم.¹

ومن أمثلة هذا الضابط ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ [الأنعام:152]، فعند التأمل في سياقها اللفظي لما دلت عليه حتى من معنى الغاية وهو الخروج بحكم مفاده: جواز قربان مال اليتيم بالتي هي أسوأ بدليل السياق سباقا ولحاقا، وهو ما قبل حتى وما بعده، وهذا المعنى من هذا السياق مردود وغير مراد من الآية، فالمقصود دفع مال اليتيم وتسليمه له إذا بلغ الغاية التي هي بلوغ الأشد وإيناس الرشد منه، فالغاية في الآية دفع المال له وليس قربانه، ويدل على ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء:06]، قال ابن عاشور: "و(حتى) غاية للمستثنى: وهو القربان بالتي هي أحسن، أي: التصرف فيه إلى أن يبلغ صاحبه أشده: أي: فيسلم إليه، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [الأنعام:06]."²

¹ السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، مرجع سابق، ص25.

² التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج8، ص164.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

- مثال تقدم الحديث الصحيح على السياق ما جاء في تفسير قوله تعالى ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُدْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿[الحج:1-2]﴾. فهذه الآية الكريمة تبين حدثا مهولا يفرع منه الناس، يتمثل في زلزلة الأرض مما يجعل الناس في فرع وخوف حتى أن المرضعة تتخلى عن رضيعها من شدة الفرع وتدهل عنه، وتُسقط الحامل ولدها من هول ما رأت، ويصير الناس في اضطراب يشبه حالهم حال السكارى.

وقد اختلف المفسرون¹ في وقت مجيء ذلك، فذهب طائفة منهم أن هذه الأحداث تكون في نهاية الدنيا وآخرها؛ إذ سياق الآية من وضع الحامل حملها، وترك المرضعة لولدها، يدل على أن هذه الزلزلة كائنة في الدنيا، لأن بعد البعث لا يكون حمل، ولا إرضاع وطفام.

وذهب بعض المفسرين² إلى أن ذلك واقع يوم القيامة بعد البعث من القبور والنشور وهذا هو الصحيح لمجيء حديث صحيح في تفسير هذه الآية وهو ما ثبت عن عمران بن حصين، قال: "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه، إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾. قال: فحُثُّوا المُطَيِّ، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " هل تدرّون أي يوم ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذلك يوم ينادى آدم، يناديه ربه: إبعث بعث النار، من كل ألف تسع

¹ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، طبعة: المكتب الإسلامي-زهير الشاويش-دمشق-الطبعة: الثالثة،

1403هـ-1983م، ج5، ص403. ومعالم التنزيل، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان

مسلم، دار طيبة، -الرياض-الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م من ج5، ص364.

² المصدر نفسه، ج5، ص402، ومعالم التنزيل، ج5، ص364.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

مائة وتسعة وتسعين إلى النار، قال: فأبلس القوم، فما ضحك منهم ضاحك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا اعملوا وأبشروا، فإن معكم خليقتين ما كانتا في قوم إلا كثرتهن، فمن هلك من بني آدم، ومن هلك من بني إبليس ويأجوج ومأجوج. قال: أبشروا، ما أنتم في الناس إلا كالشامة في جنب البعير، أو كالرقمة في جناح الدابة.¹

قال ابن جرير بعد ترجيحه لهذا القول مع استحسانه للقول الأول وبين أنه عدل عنه للحديث الصحيح: " وهذا القول...، قولٌ، لولا مجيء الصحاح من الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحي الله وتنزيله، والصواب من القول في ذلك ما صح به الخبر عنه."²

- مثال تقديم آثار الصحابة على السياق ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ، فَأَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأحقاف:10]، فقد اختلف أهل التفسير في تعيين (الشاهد) في الآية، وعلى عود الضمير في قوله ﴿ مِثْلِهِ ﴾ فقيل أن الشاهد هو نبي الله موسى عليه السلام، ومثل القرآن هو التوراة

¹ رواه الإمام أحمد في المسند، مصدر سابق، ج33، ص134-135. برقم: 19901. والطبراني في المعجم الكبير، مصدر سابق، ج18، ص144، برقم: 306، والحاكم في المستدرک على الصحيحين، مصدر سابق، ج2، ص417، كتاب التفسير، تفسير سورة الحج، حديث رقم: 3450، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وهو في كتاب: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمته من صحيحه، وشاذه من محفوظه، محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير- جدة- المملكة العربية السعودية- الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، ج10، ص362، كتاب مناقب الصحابة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن البعث وأحوال الناس، حديث رقم: 7310، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

² جامع البيان، الطبري، ج16، ص449.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

التي أنزلت على موسى عليه السلام، وهذا القول ذكره ابن جرير بقوله: " عن مسروق في هذه الآية ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ فخاصم به الذين كفروا من أهل مكة، ﴿مِثْلِهِ﴾: التوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمد صلى الله عليه وسلم.¹

وهذا القول يتطابق والسياق القرآني لمثل هذه الآيات في ذكر اليهود وما جاءهم به موسى من التوراة، وكيف أنهم كانوا يتحدثون عنها فرحين بما جاءهم به موسى، فكيف بكم أنتم - كفار قريش - وقد جاءكم القرآن وكفرتم به، قال ابن عاشور: " فإن المشركين كانت لهم مخالطة مع بعض اليهود في مكة ولهم صلة بكثير منهم في التجارة بالمدينة وخير فلما ظهرت دعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسألون من لقوه من اليهود عن أمر الأديان والرسول فكان اليهود لا محالة يخبرون المشركين ببعض الأخبار عن رسالة موسى وكتابه وكيف أظهره الله على فرعون. فاليهود وإن كانوا لا يقرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهم يتحدثون عن رسالة موسى عليه السلام بما هو مماثل لحال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه، وفيه ما يكفي لدفع إنكارهم رسالته.²

هذا، وقد جاءت آثار صحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم في تفسير هذه الآية، مخالفة للقول السابق وأن المقصود بالشاهد تعيينا هو عبد الله بن سلام رضي الله عنه، فقد روى عن نفسه ذلك، ورواه عنه ابن عباس، وعوف بن مالك الأشجعي³، وقد استحسّن ابن جرير القول الأول لموافقته للسياق القرآني، ثم بيّن أنه مخالف لصريح الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم فلا يؤخذ به، إذ فسروا الشاهد بأنه عبد الله بن سلام؛ فتقدّم آثار الصحابة حينئذ في تفسير الآية فقال: " والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل،... في سياق توبيخ الله تعالى

¹ جامع البيان، ج 21، ص 125.

² التحرير والتنوير، ج 26، ص 19.

³ جامع البيان، ج 21، ص 127-131.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

ذكره مشركي قريش، واحتجاجا عليهم لنبية صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها... غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن ذلك عُني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسبب الذي فيه نزل.¹

المطلب الثاني: ضابط موافقة السياق للغة العربية:

إنَّ الأخذ بالسياق ينبغي ألا يعارض اللغة العربية؛ إذ بها نزل القرآن الكريم فلا ينبغي أن يُنحى بتقديم السياق إلى مخالفة اللغة في ظاهر ألفاظها وفحوى معانيها.

فاللغة شرط أساسي، وضابط أصيل من ضوابط فهم السياق القرآني، والعدول عن الأخذ بها بعين الاعتبار، أو عدم إعطائها الأولوية التي تنسجم وتتناسب مع السياق القرآني، هو لون من ألوان إهدار المفاهيم اللغوية التي أفرها لسان العرب، فكانت الدقة اللغوية والاهتمام بمحمولات الألفاظ على الوجه الذي يقره السياق، من أشد الضرورات في فهم كتاب الله عزوجل.²

قال الإمام الشاطبي: "كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل."³

وقد ذكر الشاطبي مثالا على ذلك بقوله: "ومن أرباب الكلام من ادعى جواز نكاح الرجل منا تسع

نسوة حرائر مستدلا على ذلك بقوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَتِلْكَ وَرُبَعٌ﴾

[النساء:03]، ولا يقول مثل هذا من فهم وضع العرب في مثنى وثلاث ورباع."⁴

¹ جامع البيان، ج21، ص130.

² السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، ص107.

³ الموافقات، الشاطبي، مصدر سابق، ج4، ص224.

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص227.

الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق القرآني

ففي هذا المثال نظر فيه أصحابه إلى سياق الكلام وتتابعه فأفاد معنى غير مراد في جواز زواج الرجل من تسع نسوة؛ إذ فهموا العطف من مثنى وثلاث ورباع على نسق مجموعها فكان الحاصل تسعا، وهذا لا يسوغ في لغة العرب وليس في وضعهم، ولا أسلوب كلامهم الذي نزل به القرآن الكريم. وقد وضع ذلك الإمام القرطبي¹ بقوله: " اعلم أن هذا العدد مثنى وثلاث ورباع لا يدل على إباحة تسع، كما قال من بعد فهمه للكتاب والسنة، وأعرض عما كان عليه سلف هذه الأمة، وزعم أن الواو جامعة،... وذهب بعض أهل الظاهر أيضا إلى أقبح منها، فقالوا بإباحة الجمع بين ثمان عشرة، تمسكا منه بأن العدل في تلك الصيغ يفيد التكرار والواو للجمع، فجعل مثنى بمعنى اثنين اثنين وكذلك ثلاث ورباع، وهذا كله جهل باللسان والسنة، ومخالفة لإجماع الأمة،... وأما قولهم: إن الواو جامعة، فقد قيل ذلك، لكن الله تعالى خاطب العرب بأفصح اللغات، والعرب لا تدع أن تقول تسعة وتقول اثنين وثلاثة وأربعة."²

المطلب الثالث: ضابط موافقة السياق للعقل الصريح:

إنَّ التفكير الصحيح للمسلم يكون في تكامله بين عقله الصريح والوحي الذي نزل من رب العالمين، تحقيقا لسعادته في الدنيا والآخرة، وبلوغا لغاياته ومقاصده النبيلة، وذلك بأن يكون القرآن الكريم مصدرا للعلم والمعرفة، والعقل الصريح آليه لتوظيفها توظيفا صحيحا يضبط الفهم وينير الطريق. وبما أن السياق القرآني من أصول التفسير الصحيح فلا ينبغي أن يعارض العقل الصريح؛ إذ لا تعارض بين العقل الصريح، والنقل الصحيح، فالعقل ضابط مهم لفهم القرآن الكريم وفق سياقه، ومن

¹ الشيخ الإمام أبو عبد الله الأنصاري الأندلسي القرطبي المفسر كان من عباد الله الصالحين والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف، توفي سنة (671هـ) من تصانيفه (جامع أحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن)، (الأسنى في أسماء الله الحسنى) وكتاب (التذكار في أفضل الأذكار)، الديباج المذهب، ج2/ص308.

² الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد ابن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م، ج6، ص33-34.

الأمثلة على ذلك كما يذكره علماء الأصول من التخصيص بدلالة العقل للآيات التي ظاهر سياقها العموم.

قال ابن عقيل: "فدليل العقل يعمل في قوله ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: 62]، وإخراج صفاته سبحانه، وقوله: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: 25]، تعمل فيه دلالة العقل؛ بأنها ما دمّرت هودا ولا قومه ممن آمن به، وكان ذلك لدليل العقل المانع من كون صفاته اللازمة محدثة، لِمَا منع العقل منه؛ من خلّوه سبحانه من علم وقدرة وحياة، ومَنَعَ من إرسال الريح مهلكة لمن خالفه، ثم يهلك بها من تابعه، فلا يكون ذلك هدى، بل تضليلا وإعداما للثقة بالرسول.¹

فلاحظ كيف كان العقل دليلا لضبط العموم في سياق الآيتين الكريمتين، الأمر الذي يجعل الاستدلال بالنص لا يتصادم مع المعقول، مما يوهم الاختلاف والتعارض بين النصوص، وقد أشار إلى هذا المعنى الزركشي بقوله: "قال القاضي أبو بكر في (التقريب): لا يجوز تعارض آي القرآن والآثار وما توجهه أدلة العقل فلذلك لم يجعل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: 16] معارضا لقوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ إِفْكَاً﴾ [العنكبوت: 17] وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ [المائدة: 110] وقوله: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: 14] لقيام الدليل العقلي أنه لا خالق غير الله تعالى فيتعين تأويل ما عارضه فيؤول قوله: ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ بمعنى تكذبون لأن الإفك نوع من الكذب وقوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ﴾ أي تُصَوِّرُ.²

فيتبين مما سبق أنه لا بد من الأخذ بهذه الضوابط لاعتبار السياق في تفسير آيات القرآن الكريم، إذ يترتب على ذلك الفهم السليم للنص القرآني، وفق نظرة سياقية كاملة محيطية بالنص من جميع جوانبه، وبالتالي البعد عن الإغراب في تفسير الآيات، والسلامة من الوقوع في الشاذ من الأقوال، وتحميل الآيات ما لا تتحمله من المعاني الفاسدة، والتأويلات الخاطئة.

¹ الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م، ج5، ص468.

² البرهان في علوم القرآن، ص360.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وتحتها المباحث الآتية:

المبحث الأول: توظيف السياق الداخلي في بيان معاني المفردة القرآنية.

المبحث الثاني: توظيف السياق الداخلي في بيان المعاني ضمن السباق واللاحق

المبحث الثالث: توظيف السياق الداخلي في استنباط المعاني.

المبحث الرابع: توظيف السياق الداخلي الفهمي والمقاصدي.

المبحث الخامس: توظيف السياق الداخلي في التضعيف والترجيح.

المبحث السادس: توظيف السياق الداخلي على بعض علوم القرآن.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

إنَّ الكلام عن السياق الداخلي هو كلام عن بنية لغوية كلية تتركب من أجزاء متنوعة ومختلفة بين مفردات وتراكيب تُؤدّي كل واحدة منها المعنى المناسب والتفسير الصحيح للمفردة أو للآية القرآنية، وما الآية القرآنية إلا مفردات وتراكيب ضمن سياق منتظم بديع، وابن عطية أبدع في توظيف هذا النوع بجميع أصنافه وأنواعه ومن هنا نسلط الضوء على هذه الأنواع بدءاً بالمفردة إلى غاية السياق العام والكلّي للقرآن الكريم.

المبحث الأول: توظيف السياق الداخلي وبيان معاني المفردة القرآنية:

إنَّ علم المفردات هو العلم الوحيد الذي يستخدم في جميع الآيات، فما من آية إلا وفيها حاجة إلى معرفة معنى الكلمة، أما العلوم الأخرى فنحتاجها في آيات دون آيات، فأسباب النزول تأتي في بعض الآيات دون بعض، وقصص الآي في بعض الآيات دون بعض.¹

وقد اعتنى ابن عطية بالسياق في بيان المفردات القرآنية حال تفسيرها؛ لبيان المعنى الصحيح والمناسب لمساقات الآيات، ذلك ضمن تعامل سياقي متنوع مع المفردة؛ لغرض عدم اقتطاعها عن سياقها الذي بسببه يقع الخلل في تفسيرها الصحيح.

المطلب الأول: المفردة القرآنية والمشارك اللفظي:

المشارك لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: " الشين والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلافٍ انفراد... فالأول الشَّرْكَة، وهو: أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما."²

¹ شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: (1431هـ) ص136.

² معجم مقاييس اللغة، ج3، ص265.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

وفي لسان العرب: "طريق مشترك: يستوي فيه الناس، واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة كالعين ونحوها فإنه يجمع معاني كثيرة."¹

وعليه فيدور معنى المشترك في اللغة على الشَّرْكة والاتفاق والاتحاد، أي عدم الانفراد، سواء كان ذلك الشيء المشترك فيه حسياً أو معنوياً.

المشترك اصطلاحاً: هو: "اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً أولاً... وقلنا وضعاً أولاً

احترزنا به عما يدل على الشيء بالحقيقة وعلى غيره بالجاز" ²

فهو ما اتحد لفظه وتعدد معناه، مثل العين، فهي تطلق على العين الباصرة والعين الجارية.³

فالمشترك يتعدد فيه المعنى للفظ الواحد وهذا المعنى حقيقة في ذلك اللفظ الآخر لا مجازاً؛ لذلك فالتعريف

الدقيق للمشترك هو: "اللفظ الواحد المتعدد المعنى الحقيقي"⁴

وقد وقع خلاف بين أهل اللغة في وجود هذا النوع في دلالات الألفاظ، ولكلٍّ منزعٌ وأدلةٌ جنح إليها،

قال السيوطي⁶: "والأكثر على أنه واقع لنقل أهل اللغة ذلك في كثير من الألفاظ ومن الناس

¹ لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج10، ص449.

² المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تحقيق: جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1412هـ-1992م، ج1، ص261.

³ شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فخر الدين المحسي، تحقيق: مشهور حسن، الدار الأثرية-الأردن- الطبعة الأولى: 1428هـ-2007م، ص214.

⁴ المجلس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع، علي ابن آدم الأثيوبي، دار ابن الجوزي، السعودية-الطبعة الأولى، 1431هـ، ص100.

⁶ الإمام المحافظ عبد الرحمان ابن أبي بكر ابن سابق الدين الخضير السيوطي جلال الدين، إمام حافظ مؤرخ أديب ولد سنة 849هـ، كان يلقب بابن الكتب، لأن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب، ففاجأها المخاض، فولدته وهي بين الكتب، له نحو 600 مصنف، من كتبه (الإتقان في علوم القرآن)، و(إتمام الدراية لقراء النقاية) كلاهما له، في علوم مختلفة توفي سنة 911هـ، الأعلام للزركلي، ج3، ص301.

من أوجب وقوعه-قال: لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية، فإذا وُزِعَ لزم الاشتراك.¹

المطلب الثاني: المشترك اللفظي في علوم القرآن:

إن مصطلح المشترك اللفظي في علوم القرآن وفي علم التفسير هو ما يعرف كذلك بالوجوه والنظائر، لذلك نجدهم يعبرون عن اللفظ المشترك بـ(الوجه)، قال الزركشي: "فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ (الأمة)... وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل ولا يوجد ذلك في كلام البشر."² ويعتبر السياق هو علاقة الكلمة التي وقع فيها المشترك اللفظي مع ما قبلها وما بعدها من كلمات الجملة، وذلك لأن الكلمات ليست أجساماً بلا أرواح، ولكنها حية متحركة تعطي إشعاعات معينة للكلمات التي وقع فيها الاشتراك، وهي المفتاح الذي يفتح المعلق منها أو المصباح الذي يُهتدى بضوئه على تحديد معاني الكلمة المشتركة.³

وقد اعتنى ابن عطية بهذا النوع من المفردات القرآنية؛ كونه متضلعاً في علوم اللغة، ومعتنياً بالسياق لبيان المعنى الملائم لهذه المفردة ضمن سياقها الصحيح، وهذه بعض النماذج التطبيقية: في تفسيره تشهد على ذلك:

¹ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت، الطبعة الأولى: (1418هـ-1998م) ج1، ص292. المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الأولى: (1417هـ-1996م)، ص12-20.

² البرهان في علوم القرآن، ص81.

³ المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الأولى: (1417هـ-1996م)، ص12-20. المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، ص23.

- النماذج التطبيقية

النموذج الأول: لفظة: (الدين)

في تفسير قوله تعالى ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04].

قال ابن عطية: " و(الدين) لفظ يجيء في كلام العرب على أنحاء: منها: "الملة" قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، إلى كثير من الشواهد في هذا المعنى، وسمي حظُّ الرجل منها في أقواله وأعماله واعتقاداته "دينا" فيقال: "فلان حسن الدين"،... ومن أنحاء اللفظة: الدين بمعنى: "العادة". فمنه قول العرب في الريح: "عادت هيف لأديانها"... ومن أنحاء اللفظة الدين: "سيرة الملك ومملكته" ومنه قول زهير:

لئن حللت بجؤ في بني أسد في دين عمرو وحالت بيننا فذك.

أراد في موضع طاعة عمرو وسيرته، وهذه الأنحاء الثلاثة لا يفسرُ بها قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04]، ومن أنحاء اللفظة الدين: "الجزاء"، فمن ذلك قول الفند الزماني: ولم يبق سوى العدو دَنَاهُمْ كما دانوا. أي: جازيناهم. ومنه قول الآخر: واعلم يقينا أن ملكك زائل واعلم بأن كما تدين تدان

وهذا النحو من المعنى هو الذي يصلح لتفسير قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 04]، أي: يوم الجزاء على الأعمال والحساب بها، كذلك قال ابن عباس، وابن مسعود، وابن جريج، وقتادة، وغيرهم، قال أبو علي: ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر: 17]، ﴿الْيَوْمَ نُجْزِي مَنْ كَفَرَ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: 28]¹.

- الدراسة التحليلية:

يتبين من خلال ما أورده ابن عطية من معاني مشتركة للفظ "الدين" واستعمالاتها المختلفة في كلام العرب، تضلعه في معرفة لغة العرب وشواهداها في بيان الدلالات اللفظية في مختلف الاستعمالات البيانية،

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 79-81.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وأن ذلك لا يقوى على معارضة محل المفردة القرآنية في سياقها المحيط بها؛ ليتوج اختياره بما يناسب السياق العام والكلي للقرآن الكريم بعدما حكم بعدم صلاحية غيره، وذهب يستند إلى قول أبي علي الفارسي مدعماً به ما ذهب إليه من توظيف السياق العام؛ لبيان المعنى الصالح والصحيح للفظ والمفردة القرآنية، وذلك في سورتين من سور القرآن.

والذي اختاره ابن عطية من أن لفظة الدين " بمعنى الجزاء والحساب يوم القيامة، هو الذي اختاره ابن جرير الطبري في تفسيره حيث قال: " والدين " في هذا الموضع بتأويل الحساب والمجازاة بالأعمال...ومن ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿كَلَّا بَلْ تُكذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ [الإنفطار:9]، يعني بالجزاء ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ [الإنفطار:10]، يحصون ما تعملون من الأعمال. وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة:86]، يعني غير مجزيين بأعمالكم ولا محاسبين...وبما قلنا في تأويل قوله ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ جاءت الآثار عن السلف من المفسرين، مع تصحيح الشواهد وتأويلهم الذي تأولوه في ذلك...فعن عبد الله بن عباس: ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال: يوم حساب الخلائق، هو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه، فالأمر أمره.

وعن ابن مسعود عن ناس من أصحاب النبي ﷺ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ : هو يوم الحساب.

وعن قتادة في قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم يدين الله العباد بأعمالهم.

وعن ابن جريج: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: يوم يُدان الناس بالحساب.¹

ويمكن أن نعقد مقارنة صغيرة بين كيفية تفسير ابن عطية لمفردة "الدين" وتفسير ابن جرير لها؛ حيث إن كلاهما لجأ إلى السياق في تحديد المعنى المناسب لها، غير أن ابن جرير الطبري-- كان أكثر دقة في توظيف السياق، حيث جاء باللفظ المطابق لمفردة "الدين" في آيتين مختلفتين أولاهما في سورة الإنفطار

¹ جامع البيان ج1، ص158-159.

﴿ كَلَّا بَلْ تُكذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ [الإنفطار: 9]، والثانية من اشتقاقها وماذتها من سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة: 86]، ولا شك أن هذا السياق القريب من المفردة أولى بالتقديم من السياق البعيد؛ خاصة والكلام حول مشترك لفظي لغوي، ولكن يعتذر لابن عطية أن الذي وظّفه من السياق نقله عن أبي علي الفارسي للتدليل على المعنى الصحيح الملائم للآية؛ ينبه من خلاله إلى أهمية السياق في بيان معنى المشترك اللفظي.

- النموذج الثاني: لفظة: (الهدى)¹

قوله تعالى: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 06].

قال ابن عطية: " والهداية في اللغة: " الإرشاد" لكنها تتصرف على وجوه يعبر عنها المفسرون بغير لفظ الإرشاد، فالهدى يجيء بمعنى: " خلق الإيمان في القلب" ومنه قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾ [البقرة: 05]، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: 25]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَن أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [القصص: 56]، وقوله تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الأنعام: 125]، قال أبو المعالي: فهذه آيات لا يتجه حملها إلا على خلق الإيمان في القلب، وهو محض الإرشاد... وقد جاء الهدى بمعنى: " الدعاء" ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد: 07]، أي: داع، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: 52]، وهذا يبين فيه الإرشاد، لأنه ابتداءً إرشاد، أجاب المدعو أو لم يجب، وقد جاء الهدى بمعنى: " الإلهام"، من ذلك قوله تعالى: ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه: 50]،... وقد جاء الهدى بمعنى: " البيان" من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ ﴾ [فصلت: 17]، معناه: بيّنا لهم... قال

¹ ذكر الزركشي لفظة (الهدى) كأول مثال على المشترك اللفظي، والذي عبر عنه بالوجه، مبينا لهذه اللفظة سبعة عشر وجها. أنظر: البرهان في علوم القرآن، ص 81.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها: " إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان، والطرق المفضية إليها". من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين: ﴿فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ﴾¹ سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْمَمٍ ﴿﴾ [محمد: 4-5]. قال القاضي أبو محمد: وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا، وهي ضد الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. على صحيح التأويلات، وذلك يبين من لفظ الصراط".¹

-الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا الموضوع كلمة: "الهداية" بمختلف معانيها الدلالية المشتركة في لفظها اللغوي، وبين المعنى المناسب بعد ذكر المشترك اللفظي وذلك باستناده إلى السياق وتحديدًا لحاق الآية، فقد قال بعد اختياره لقول أبي المعالي من أن الهداية يكون من معانيها: قال أبو المعالي: وقد ترد الهداية والمراد بها: " إرشاد المؤمنين إلى مسالك الجنان، والطرق المفضية إليها" قال: " وهذه الهداية بعينها هي التي تقال في طرق الدنيا، وهي ضد الضلال، وهي الواقعة في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. على صحيح التأويلات، وذلك يبين من لفظ الصراط".²

فقد استند ابن عطية إلى اللحاق الذي هو لفظة ﴿الصِّرَاطَ﴾ في بيان معنى الهداية الذي يعتبر من المشترك اللفظي اللغوي في القرآن الكريم؛ إلا أن هذا التحديد للمعنى وقصره عليه قد يكون حجرًا لواسع من المعاني التي تتضمنها هذه اللفظة القرآنية وما تحملها من هدايات، ولتوضيح هذه اللفظة ضمن المعنى القرآني نشير إلى ما ذكره المفسرون حولها:

قال الراغب: " والهدى والهداية في موضوع اللغة واحد، لكن قد خص الله عزوجل لفظة الهدى بما تولاه وأعطاه، واختصَّ هو به دون ما هو إلى الإنسان".³

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 85.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 85.

³ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ص 839.

وقال النسفي¹: " ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاحة: 06]، أي: ثبتنا على المنهاج الواضح كقولك للقائم قم حتى أعود إليك أي: أثبت على ما أنت عليه"².
وقال أبو حيان: " ومضمون هذه الجملة طلب استمرار الهداية إلى طريق من أنعم الله عليهم، لأن من صدر منه حمد الله وأخبر بأنه يعبد ويستعينه فقد حصلت له الهداية، لكن يسأل دوامها واستمرارها"³.
نلاحظ من خلال هذه الأقوال إن الهداية تتضمن معنى الإرشاد إليها، والتوفيق من الله عزوجل، وسؤال الله الثبات عليها.

وقد يقال إن الأمر أوسع من ذلك فقد ذكر ابن القيم الجوزية في تفسيره لهذه الآية معاني ووجوه الهداية المتلازمة دون قصر لها على معنى معين مما تشترك فيه اللفظة اللغوية حيث قال: "الموضع السادس: من قوله ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ **فالهداية**: هي البيان والدلالة، ثم التوفيق والإلهام، وهو بعد البيان والدلالة، ولا سبيل إلى **البيان والدلالة** إلا من جهة الرسل، فإذا حصل البيان والدلالة والتعريف ترتب عليه **هداية التوفيق**، وجعل الإيمان في القلب وتحبيبه إلى، وترينه في قلبه، وجعله مؤثرا له، راضيا به، راغبا فيه، هما هدايتان مستقلتان، لا يحصل الفلاح إلا بهما، وهما متضمنتان تعريف ما لم نعلمه من الحق تفصيلا وإجمالا، **وإلهامنا له**، وجعلنا مرادين لاتباعه ظاهرا وباطنا، ثم خلق القدرة لنا على القيام لنا على القيام بموجب الهدى بالقول والعمل والعزم، ثم **إدامة ذلك لنا وتثبيتنا عليه** إلى الوفاة... فسؤال الهداية متضمن لحصول كل خير، والسلامة من كل شر"⁴.

¹ عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، أبو البركات، حافظ الدين: فقيه حنفي، مفسر، نسبته إلى "نسف" ببلاد السند، توفي سنة (710هـ). من مصنفاته: (مدارك التنزيل) في التفسير، (كنز الدقائق) في الفقه، و(المنار) في أصول الفقه. الأعلام، ج4، ص67.

² مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب-بيروت- الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، ج1، ص32.

³ تفسير البحر المحيط، ج1، ص148.

⁴ بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق ومراجعة: يسري السيد محمد، صالح الشامي، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى: 1427هـ، ج1، ص34-35.

وقد أبدع محمد الطاهر ابن عاشور عندما ربط معنى هذا اللفظ بحال الإنسان الداعي بهذا الدعاء، وواقعه حيث قال: "ولا شك أن المطلوب بقوله ﴿أَهْدِنَا﴾ الملقن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا إن كان باعتبار داعٍ خاص أو طائفة خاصة عند ما يقولون: ﴿أَهْدِنَا﴾، أو هو أنواع الهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تأهل لها بحسب أهليته إن كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرآن، وعلى كلا التقديرين فبعض أنواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ إليه، وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصلًا له خاصة أو لجميع الناس الحاصل لهم، وذلك كالهداية الحاصلة لنا قبل أن نسألها... أما إذا قال: أهدنا الصراط المستقيم من بلغ جميع مراتب الهداية ورفي إلى قمة غاياتها وهو النبي صلى الله عليه وسلم فإن دعاءه حينئذ يكون من استعمال اللفظ في مجاز معناه ويكون دعاءه ذلك اقتباسًا من الآية وليس عين المراد من الآية لأن المراد منها طلب الحصول بالمزيد مع طلب الدوام بطريقة الالتزام ولا محالة أن المقصود في الآية هو طلب الهداية الكاملة."¹

النموذج الثالث: لفظة: (الخير).

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نَفْسِكُمْ﴾ [البقرة: 272]. قال: "والخير في هذه الآية المال، لأنه اقترن بذكر الإنفاق، فهذه القرينة تدل على أنه المال، ومتى لم يقترن بما يدل على أنه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال نحو قوله تعالى: ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ [الفرقان: 24]، وقوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: 7]، إلى غير ذلك. وهذا الذي قلناه تحرز من قول عكرمة: "كل خير في كتاب الله فهو المال."²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج معنى لفظة "الخير" في الآية، مشيرًا إلى أنه المال مستندًا في ذلك إلى السياق وبالتحديد السباق وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فقال: والخير في هذه الآية المال،

¹ التحرير والتنوير، ج 1، ص 190.

² المحرر الوجيز، ج 2، ص 87.

لأنه اقترن بذكر الإنفاق " مع أن هذه اللفظة قد تشترك فيها عدة معاني يُفصح عنها السياق القرآني وبهذا الصدد قال: " ومتى لم يقترن بما يدل على أنه المال فلا يلزم أن يكون بمعنى المال".
وقد مثل ببعض الأمثلة القرآنية لمعنى هذه اللفظة حسب سياقها القرآني حيث قال: " نحو قوله تعالى: ﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا ﴾ [الفرقان:24]، وقوله تعالى: ﴿ مَثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة:7]، إلى غير ذلك."

فلاحظ كيف كان للسياق القرآني تأثيراً واضحاً على ابن عطية في توجيه معاني المشترك اللفظي؛ لدرجة أنه احترز بمنهجه هنا من كلام لعكرمة يُذكر على أنه من كليات الألفاظ في القرآن الكريم، مقدماً في ذلك السياق على كلامه، وهذا ينبىء عن أهمية السياق عنده؛ حيث قال: " وهذا الذي قلناه تحرز من قول عكرمة: " كل خير في كتاب الله فهو المال."¹

النموذج الرابع: لفظة: (الفتنة)²

قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:23].
قال ابن عطية: " والفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى: حب الشيء والإعجاب به كما تقول فُتنتُ بكذا، وتحتل الآية هنا هذا المعنى، أي: لم يكن حبهم للأصنام وإعجابهم بها واتباعهم لها لما سئلوا عنها ووقفوا على عجزها إلا التبري منها والإنكار لها، وهذا توبيخ لهم كما تقول لرجل كان يدعي مودة آخر ثم انحرف عنه وعاداه: يا فلان، لم تكن مودتك لفلان إلا أن شتمته وعاديته، ويقال: الفتنة في كلام العرب بمعنى: الاختبار، كما قال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿ وَفَنَّكَ فُتُونًا ﴾ [طه:40]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ [ص:34] وتحتل الآية هاهنا هذا المعنى لأن سؤالهم عن الشركاء وتوقيفهم اختبار، فالمعنى ثم لم يكن اختبارنا لهم- إذ لم يفد ولا أثمر-، إلا إنكارهم الإشراك، وتجيء الفتنة في اللغة على معان غير هذين لا مدخل لها في الآية."³

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص87.

² انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة: الطبعة الأولى: 1404هـ-1984م، ص477.

³ المحرر الوجيز، ج3، ص335.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج أن الفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة، حمالة معانٍ، كل معنى منها تحتمله الآية، إلا أن منها ما لا يليق حمل الآية عليها لبعده عن سياقها ومساقها، فقال: " والفتنة في كلام العرب لفظة مشتركة تقال بمعنى: حب الشيء والإعجاب به كما تقول فُتنتُ بكذا، وتحتمل الآية هنا هذا المعنى."

وكثيرا ما يذكر ما يدل على بعض معاني اللفظة ما جاء في سياق الاستعمال القرآني، حيث قال بعدما ذكر معنى آخر للفتنة: "ويقال: الفتنة في كلام العرب بمعنى: الاختبار، كما قال عز وجل لموسى عليه السلام: ﴿ وَفَنَّكَ فُنُونًا ﴾ [طه: 40]، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾ [ص: 34] وتحتمل الآية هاهنا هذا المعنى."

ثم بين أن اللفظة (الفتنة) معان كثيرة ولكن لا مدخل لها بالآية، يريد أنها لا علاقة لها بسياق الآية، فلم يذكرها اكتفاء بما يتناسب سياق الآية في حمل المعنى عليها؛ حيث قال: " وتجيء الفتنة في اللغة على معان غير هذين لا مدخل لها في الآية."¹

النموذج الخامس: لفظة (الفصيلة)

قوله تعالى: ﴿ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُؤَيِّدُ ﴾ [المعارج: 13].

قال ابن عطية: "و(الفصيلة)- في هذه الآية- قرابة الرجل الأدنون، مثال ذلك بنو هاشم مع النبي صلى الله عليه وسلم، والفصيلة في كلام العرب أيضا: الزوجة، ولكن ذكر (الصاحبة) في هذه الآية لم يُبق في معنى الفصيلة إلا الوجه الذي ذكرناه."²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج مدلول كلمة الفصيلة عند العرب، وأنها لفظ يشترك فيه كثير من المعاني، حيث قال: " و" الفصيلة"- في هذه الآية-: قرابة الرجل الأدنون... والفصيلة في كلام العرب أيضا: "الزوجة" مبينا أن الذي تحمل عليه اللفظة من المعنى، هو ما دل عليه السياق وتحديدًا

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص335.

² المحرر الوجيز، ج8، ص405.

سباق اللفظة، حيث قال: " والفصيلا في كلام العرب أيضا: الزوجة، ولكن ذكر " الصاحبة" في هذه الآية لم يُبق في معنى الفصيلا إلا الوجه الذي ذكرناه.¹"

ويقصد بالوجه الذي ذكره من معنى " الفصيلا" هو قرابة الرجل الأدنون، دون معنى الزوجة وغيره؛ لأن هذا المعنى دل عليه السباق وهو لفظ " الصاحبة" من قوله تعالى: ﴿يُودُّ الْمُجْرِمَ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ

يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ [المعارج: 11-12]، فحدد السياق معنى من المعاني التي اشترك فيها اللفظ، وأزاح غيره مما يحتمل الحمل عليه، وقد ذكر المفسرون هذا المعنى في الروايات التفسيرية لهذه

اللفظة، فقد قال ابن جرير: " قال ابن زيد، في قوله: (وصاحبتة) قال: الصاحبة الزوجة، ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي

تُؤَيِّبُهُ﴾ قال: فصيلته: عشيرته.²"

إلا أن ابن عطية زاد في بيانه توظيفه للسياق للخروج بالمعنى المناسب لها.

فوائد منهجية من خلال النماذج التطبيقية:

1- عرض الكلمة القرآنية وأثناء استعمالها في لغة العرب، مع ذكر الشواهد الشعرية على ذلك بنقس فيه دليل على تضلع ابن عطية في لغة العرب.

2- ذكر الآيات القرآنية التي أشارت إلى معنى كل كلمة، وهذا يوضح اعتناء ابن عطية بالسياق العام للقرآن الكريم.

3- الخروج بالمعنى الملائم والذي يؤيده السياق، بغض النظر عن تظافر الشواهد في لغة العرب على غيرها من المعاني.

4- التصريح برد بعض المعاني في تفسير الآية كما في النموذج الأول.

5- التصريح بما يصلح لتفسير الكلمة من المعنى الصحيح، كما في النموذج الأول.

6- الاستناد إلى أقوال المفسرين من السلف، ثم من بعدهم من علماء التفسير لدعم فيما ذهب إليه من توظيف السياق؛ لاختيار المعنى الصحيح حيث قال كما في النموذج الأول.

¹ المحرر الوجيز، ج8، ص405.

² جامع البيان، ج23، ص260.

المطلب الثالث: المفردة القرآنية وسباق الاستعمال

لا شك أن للقرآن الكريم في مفرداته وتراكيبه وأسلوبه استعمالات وعادات لتأدية المعنى المراد الصحيح، وتقديمه في صورة بلاغية إعجازية متناهية الحسن، في سياق منتظم يحفظ رونق الآية، وللمفردة القرآنية النصيب الأوفر من هذا النظم البديع، ويظهر ذلك من خلال تنوع استعمالات المفردة القرآنية في شتى سياقاتها؛ مما نتج عنه تنوع دلالاتها ومعانيها، والمقصود بالاستعمال القرآني الذي نحن بصدده أمران اثنان: -الأول: الاستعمال القرآني للمفردة القرآنية بشتى تصاريفها ودلالاتها في مواضع متعددة من القرآن الكريم؛ بحيث يشكل ذلك الاستعمال في بعض الأحيان كليات قرآنية مطردة، أو معانٍ أغلبية لا يمكن للمفسر صرف النظر عنها عند تفسير الآية القرآنية في سياقها المترابط معنويًا والذي تتابع الإتيان به واستعماله في آيات الذكر الحكيم.

-الثاني: الاستعمال اللغوي مما درج عليه علماء اللغة القدامى من العرب الفصحاء؛ مما هو محفوظ في دواوينهم الشعرية، وشتى الاستعمالات العربية الفصيحة والتي ينبغي الرجوع إليها لبيان المعنى الصحيح الذي تحمل عليه المفردة القرآنية.¹

وقد كان لابن عطية التفات بديع لهذين النوعين من الاستعمال القرآني متبعا له ضمن محيطه السياقي، وفيما يلي نماذج تطبيقية توضح ذلك:

النموذج الأول: استعمال لفظة: (الريح، والرياح)

قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ [البقرة: 164].

قال ابن عطية: "قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ [البقرة: 164]: إرسالها عقيما، وملقحة، وصرا، ونصرا، وهلاكًا، ومنه إرسالها جنوبًا وشمالًا وغير ذلك، والرِّيح جمع ريح، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى: ﴿ وَجَرَيْنَ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: 22] ، وهذا أغلب وقوعها في الكلام... وذلك لأن ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة

¹ ينظر للتفصيل أكثر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار المحدث-الرياض- الطبعة الأولى: 1425هـ، -المفردة القرآنية والمراحل التي تمر بها حال تفسيرها-ص171.

لينة متقطعة فلذلك هي رياح وهو معنى «نشراً»، وأفردت مع الفلك لأن رياح إجراء السفن إنما هي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين رياح العذاب.¹

فبيّن ابن عطية من خلال تتبعه لمفردة الرياح مجموعة ومفردة بعد أن بين مقاصد إرسالها عموماً وجهات هبوبها بقوله "إرسالها عقيماً، وملقحة، وصرأ، ونصرأ، وهلاكاً، ومنه إرسالها جنوباً وشمالاً وغير ذلك"، ثم عرج إلى بيان الاستعمال القرآني لها من ناحية الجمع والإفراد، وأن لكل منهما معنى مقصود حيث قال: والرياح جمع رياح، وجاءت في القرآن مجموعة مع الرحمة مفردة مع العذاب، إلا في يونس في قوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: 22]، وقد عبر عن سياق الاستعمال لهذه المفردة بقوله: "وهذا أغلب وقوعها في الكلام".

ثم في الأخير ختم هذا البيان بذكر المناسبة التي توضح المعنى السياقي للاستعمال القرآني لهذه اللفظة بقوله "وذلك لأن رياح العذاب شديدة ملتزمة الأجزاء كأنها جسم واحد، وريح الرحمة لينة متقطعة فلذلك هي رياح وهو معنى (نُشْرًا)، وأفردت مع الفلك لأن رياح إجراء السفن إنما هي واحدة متصلة، ثم وصفت بالطيب فزال الاشتراك بينها وبين رياح العذاب".²

وقد ذكر ابن الجوزي³ معنى تصريف الرياح بعدما أشار إلى قراءات القراء لهذه اللفظة بين من قرأ بالجمع ومن قرأها بالإفراد حيث قال: "فمن جمع فكل رياح تساوي أختها في الدلالة على التوحيد والنفع، ومن وحّد أراد الجنس. ومعنى تصريف الرياح: تقلّبها شمالاً مرة، وجنوباً مرة، ودبوراً أخرى، وعذاباً ورحمة".⁴

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص399-400.

² المصدر نفسه، ج1، ص399-400.

³ عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج ابن الجوزي، الإمام العلامة، حافظ العراق، وواعظ الآفاق، صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم، من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ والطب، وغير ذلك، ولد سنة (581هـ) ونشأ ببغداد، ورياه جده، وانتقل إلى دمشق، فاستوطنها وتوفي فيها سنة (654هـ). طبقات المفسرين للدواودي، ج1، ص275. الأعلام للزركلي، ج8، ص246.

⁴ زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، طبعة: المكتب الإسلامي-زهير الشاويش-دمشق-الطبعة: الثالثة، 1403هـ-1983م، ج1، ص169.

وبين السيوطي هذا المعنى للاستعمال القرآني فقال: " أما قوله تعالى: ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ [البقرة:164]... عن قتادة في قوله ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ ﴾ قال: إذا شاء جعلها رحمة لواقح للسحاب ونُشْرًا بين يدي رحمته وإذا شاء جعلها عذابا ريحا عقيما لا تُثْلَقُ... وعن أبي كعب قال: كل شيء في القرآن من الرياح فهي رحمة وكل شيء في القرآن من الريح فهو عذاب.¹"

وقال ابن عاشور: " وجمَعَ الرياح هنا لأن التصريف اقتضى العدد لأنها كلما تغير مهبها فقد صارت ريحا غير التي سبقت. وقرأه الجمهور (الرِّياح) بالجمع وقرأه حمزة والكسائي (الرَّيح) بالإفراد على إرادة الجنس، واستفادة العموم من اسم الجنس المعرف سواء كان مفردا أو جمعا سواء، وقد قيل إن الرياح بصيغة الجمع يكثر استعماله في ريح الخير وإن الريح بالإفراد يكثر استعماله في ريح الشر... وهي تفرقة أغلبية وإلا فقد عُيِّرَ بالإفراد في موضع الجمع، والعكس في قراءة كثير من القراء... وعلى القول بالتفرقة فأحسن ما يعلل به أن الريح النافعة للناس تهيء خفيفة وتتخلل موجاتها فجوات فلا تحصل منها مضرة فباعتبار تخلل الفجوات لهبوبها جمعت، وأما الريح العاصف فإنه لا يترك للناس فجوة فلذلك جعل ريحا واحدة.²"

فهذه إشارات من المفسرين فيها بيان الاستعمال السياقي لمفردة الرياح في القرآن الكريم، مجموعة ومفردة بحسب جهاتها ومنافعها ونفعها وضرها وسائر تصاريفها في الكون، مما علمنا منه ومما لم يبلغه علمنا، وهذا دليل على بديع خلق الله عزوجل، وكمال صنعته، وكمال ربوبيته عزوجل.

- النموذج الثاني: استعمال لفظة: (اللغو)

في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:225].

قال ابن عطية: " (اللغو): سقط الكلام الذي لا حكم له، ويستعمل في الحجر والرفث وما لا حكم له من الأيمان، تشبيها بالسقط من القول، يقال منه لَعَا يَلْعُو لَعْوًا ولغى يلغي لغيًا، ولغة القرآن بالواو، والمؤاخذة هي التناول بالعقوبة، واختلف العلماء في اليمين التي هي لغو، فقال ابن عباس وعائشة وعامر

¹ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، طبعة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية-

القاهرة- الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م، ج2، ص110-111

² التحرير والتنوير، ج2، ص86.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

الشعبي وأبو صالح ومجاهد: لغو اليمين قول الرجل في درج كلامه واستعجاله في المحاورة: لا والله، وبلى والله، دون قصد لليمين... وقال أبو هريرة وابن عباس أيضا والحسن ومالك بن أنس وجماعة من العلماء: لغو اليمين ما حلف به الرجل على يقينه فكشف العيب خلاف ذلك... وهذا اليقين هو غلبة ظن أطلق الفقهاء عليه لفضلة اليقين تجوزا، قال مالك: (مثله أن يرى الرجل على بعد فيعتقد أنه فلان لا يشك، فيحلف، ثم يجيء غير المحلوف عليه)، وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبد الله وعروة ابنا الزبير: لغو اليمين الحلف في المعاصي كالذي يحلف ليشرب الخمر أو ليقطع الرحم، فبره ترك ذلك الفعل ولا كفارة عليه... وقال ابن عباس أيضا وطاوس: لغو اليمين الحلف في حال الغضب... وقال ابن عباس أيضا والضحاك: لغو اليمين هو المكفرة، أي إذا كفرت اليمين فحينئذ سقطت وصارت لغوا، ولا يؤاخذ الله بتكفيرها والرجوع إلى الذي هو خير.

قال القاضي أبو محمد عبد الحق رضي الله عنه: وطريقة النظر أن يتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب، ويحكم موقعهما في اللغة، فكسب المرء ما قصده ونواه، واللغو ما لم يتعمده أو ما حقه لهجنته أن يسقط، فيقوى على هذه الطريقة بعض الأقوال المتقدمة ويضعف بعضها، وقد رفع الله عز وجل المؤاخذة بالإطلاق في اللغو، فحقيقته ما لا إثم فيه ولا كفارة، والمؤاخذة في الأيمان هي بعقوبة الآخرة في الغموس المصبورة، وفيما ترك تكفيره مما فيه كفارة، وبعقوبة الدنيا في إلزام الكفارة، فيضعف القول بأنها اليمين المكفرة، لأن المؤاخذة قد وقعت فيها، وتخصيص المؤاخذة بأنها في الآخرة فقط تحكم... وعَفُورٌ حَلِيمٌ صفتان لائقتان بما ذكر من طرح المؤاخذة، إذا هو باب رفق وتوسعة.¹

الدراسة التحليلية:

لقد شرع ابن عطية في تفسير الآية انطلاقا من لفظة "اللغو" ببيان المعنى اللغوي لها فبين أن اللغو هو "سقط الكلام الذي لا حكم له، ويستعمل في الهجر والرفث"، وبناء على هذا المعنى تطرق للغو في الأيمان على أنها ما لا حكم له تشبيها لها بالسقط من القول، وذكر الخلاف في المقصود بلغو اليمين إلى عدة أقوال مختلفة، ولكنه في الأخير جعل لها زماما يمكن من خلاله تقوية بعضها وتضعيف البعض؛ مرشدا إلى أعمال النظر والتأمل في الاستعمال اللغوي للفظي: "اللغو"، و"الكسب" وموقعهما في اللغة حيث قال:

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 449-552.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وطريقة النظر أن يتأمل لفظة اللغو ولفظة الكسب، ويحكم موقعهما في اللغة، فكسب المرء ما قصده ونواه، واللغو ما لم يتعمده أو ما حقه لهجته أن يسقط، فيقوى على هذه الطريقة بعض الأقوال المتقدمة ويضعف بعضها.¹

وقد ساق ابن الجوزي وهو بصدد تفسير الآية الاشتقاق اللغوي للفظة "اللغو" وما ورد عن علماء اللغة في ذلك حيث قال: "قال الزجاج: اللغو في كلام العرب: ما أطرح ولم يعقد عليه أمر، ويسمى ما لا يعتد به، لغواً. وقال ابن فارس: اشتقاق ذلك من قولهم لما لا يعدّ من أولاد الإبل في الدية أو غيرها لغو، يقال منه: لغا يلغو، وتقول: لغى بالأمر يلغى: إذا لهج به. وقيل: إن اشتقاق اللغة منه: أي يلهج صاحبها بها.² وقد رجح قول عائشة رضي الله عنها: وهو أنّ لغو اليمين " أنه: لا والله، وبلى والله، من غير قصد لعقد اليمين قال: "وقول عائشة أصح الجميع."³

ولعل الذي جعل ابن الجوزي ينجح إلى ترجيح قول عائشة رضي الله عنها أنه صح عنها رواية تعتبر سبب نزول هذه الآية فعن عائشة رضي الله عنها: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة: 225] قال: قالت: "أنزلت في قوله: لا والله، بلى والله."⁴

والملاحظ أن ابن عطية أشار إلى التأمل إلى لفظة: اللغو " و" الكسب " وموقعهما في اللغة، وهذا انتباه منه إلى السياق اللغوي للفظتين كونهما في سياق واحد أحدهما في بداية الآية وهي لفظة "اللغو"، والآخر في نهايته وهو "الكسب"؛ وبذلك يتم المعنى ويتضح ضمن سياقه الصحيح، وهذا ما تميز به ابن عطية في هذا الموضوع عن غيره من المفسرين.

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص552.

² زاد المسير في علم التفسير، ج1، ص254.

³ المصدر نفسه، ج1، ص255.

⁴ رواه مالك في الموطأ، تخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-طبعة:1406هـ-

1985م، ج2، ص477، كتاب النذور والأيمان، باب اللغو في اليمين، حديث رقم:9. وأبو داود في سننه، تحقيق:

محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية-بيروت-ج3، ص223، كتاب الأيمان والنذور، باب: لغو اليمين،

حديث رقم: 3254. والبخاري في صحيحه، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، 1422هـ، ج6، ص52، كتاب

تفسير القرآن، باب قوله: (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم)، حديث رقم: 4613.

النموذج الثالث: استعمال لفظة: (المحصنات)

تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء:24].

قال ابن عطية: "﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ عطف على المحرمات قبل، والتحصن: التمتع، يقال حصن المكان: إذا امتنع، ومنه الحصن، وحصنت المرأة: امتنعت بوجه من وجوه الامتناع، وأحصنت نفسها، وأحصنها غيرها، والإحصان تستعمله العرب في أربعة أشياء، وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل، فتستعمله في الزواج، لأن ملك الزوجة منعة وحفظ، ويستعملون الإحصان في الحرية لأن الإماء كان عرفهن في الجاهلية الزنا، والحرة بخلاف ذلك،... ويستعملون الإحصان في الإسلام لأنه حافظ،... ويستعملون الإحصان في العفة، لأنه إذا ارتبط بها إنسان وظهرت على شخص ما وتخلق بها، فهي منعة وحفظ، وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني، لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض، بحسب موضع وموضع." ¹

-الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذه الآية إلى تفسير لفظة ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ وذلك بالرجوع باللفظة إلى معناها المستعمل عند العرب؛ ليربط المعنى المستعمل في سياقه العربي بتفسيره في كتاب الله عز وجل حيث قال: والإحصان تستعمله العرب في أربعة أشياء، وعلى ذلك تصرفت اللفظة في كتاب الله عز وجل" ². وقد بين هذه المعاني مستندا في ذلك بشواهد متنوعة من الشعر والكلام العربي، وتلخصت هذه المعاني في أربعة أشياء:

أولاً: الزواج.

ثانياً: الحرية.

ثالثاً: الإسلام.

رابعاً: العفة.

وذكر لكل معنى شاهداً من كلام العرب، ثم ذكر في الأخير أن لفظة "الإحصان" متى ما وجدت في القرآن بجميع تصرفاتها وسياقاتها واستعمالاتها لا تخرج عن هذه المعاني، وعبر عن ذلك بكلام يكاد يشبه

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص511-512.

² المصدر نفسه، ج2، 511.

القاعدة الكلية السياقية لاستعمالات اللفظة في القرآن حيث قال: "وحيثما وقعت اللفظة في القرآن فلا تجدها تخرج عن هذه المعاني، لكنها قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض، بحسب موضع وموضع."¹

وقد أشار إلى هذا الاستعمال السياقي الذي نبه عليه ابن عطية بعض من علماء التفسير منهم:

1- محمد الأمين الشنقيطي حيث قال: "اعلم أولاً أن لفظ المحصنات أطلق في القرآن ثلاثة إطلاقات:

الأول: المحصنات العفاف، ومنه قوله تعالى: ﴿مُحْصَنَاتٍ غَيْرِ مُسَفِّحَاتٍ﴾ [النساء: 25] أي: عفاف غير زانيات.

الثاني: المحصنات الحرائر، ومنه قوله تعالى: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفٌ مَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [النساء: 25]، أي: على الإماء نصف ما على الحرائر من الجلد.

الثالث: أن يراد بالإحصان التزوج، ومنه على التحقيق قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ﴾ [النساء: 25] الآية، أي: فإذا تزوجن. وقول من قال من العلماء: إن المراد بالإحصان في قوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية؛ لأن سياق الآية في الفتيات المؤمنات حيث قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: 25] الآية.²

2- ابن كثير حيث قال: "والأظهر - والله أعلم - أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج؛ لأن سياق الآية يدل عليه، حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ والله أعلم. والآية الكريمة سياقها كلها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصَنَ﴾ أي: تزوجن، كما فسره ابن عباس ومن تبعه.³

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 512.

² أضواء البيان، ج 1، ص 375.

³ تفسير القرآن العظيم، ج 3، ص 434.

فتبين أن تفسير الإحصان بالإسلام في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ﴾ مخالف للسياق كما أشار إليه الإمام الشنقيطي، وابن كثير، مرجحين أن المعنى: الزواج، وهذا الترجيح منهم لهذا المعنى هو الذي أشار إليه ابن عطية حيث بين أن بعض المعاني تقوى دون بعض بسبب اختلاف المواضع السياقية حيث ذكر أن لفظة "الإحصان" قد تقوى فيها بعض هذه المعاني دون بعض، بحسب موضع وموضع.¹

النموذج الرابع: استعمال لفظة ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ [الأعراف: 202].

قال ابن عطية: " وقرأ جميع السبعة غير نافع: ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ من مَدَدْتُ، وقرأ نافع وحده ﴿يُمِدُّوهُمْ﴾ بضم الياء من أمددت، فقال أبو عبيدة وغيره: مدَّ الشيء إذا كانت الزيادة من جنسه، وأمدّه إذا كانت شيء آخر. قال القاضي أبو محمد: وهذا غير مطرد. وقال الجمهور هما بمعنى واحد إلا أن المستعمل في المحبوب (أمدد) فمنه قوله تعالى: ﴿أَتَمَامُ نِيَّتِهِمْ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ﴾ [المؤمنون: 55]، وقوله ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: 22]، وقوله ﴿أَتَمِدُّونَ بِمَالٍ﴾ [النمل: 36]، والمستعمل في المكروه (مدد)، فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [البقرة: 15] ومد الشيطان للكفرة في الغي هو التزيين لهم والإغواء المتتابع: فمن قرأ في هذه الآية ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ بضم الميم فهو على المنهاج المستعمل، ومن قرأ «يُمِدُّوهُمْ» فهو مقيد بقوله ﴿فِي الْغَيِّ﴾.²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج قوله تعالى: ﴿يَمُدُّوهُمْ﴾ وما فيها من المعنى المستعمل في القرآن الكريم، فهي تحمل معنيين كلاهما مستعمل وأحدهما أكثر استعمالاً، فأشار إلى قول من أراد أن يفرق بينهما تفريقاً لا يطرد لغوياً، وغير موافق للاستعمال القرآني حيث قال: " فقال أبو عبيدة وغيره: مدَّ الشيء

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 511-512.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 122.

إذا كانت الزيادة من جنسه، وأمدّه إذا كانت شيء آخر، قال القاضي أبو محمد: وهذا غير مطرد.¹ فذكر أن قول أبا عبيدة وغيره غير مطرد من ناحية المعنى في التفريق بين (مدّ) و (أمدّ) باعتبار الجنس في الزيادة، وباعتبار أنه غير شائع في الاستعمال القرآني، ثم ذكر قول الجمهور بأنهما بمعنى مع إمكانية التفريق بين الاستعمالين باعتبار الأمر المحبوب والمكروه فتكون الزيادة والمد وذكر لذلك شواهد الاستعمال القرآني على ذلك فقال: " وقال الجمهور هما بمعنى واحد إلا أن المستعمل في المحبوب (أمدّ) فمنه قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا نُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ﴾ [المؤمنون: 55]، وقوله ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ﴾ [الطور: 22]، وقوله ﴿أَتَمُدُّونِنِ بِمَالٍ﴾ [النمل: 36]، والمستعمل في المكروه (مدّ)، فمنه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [البقرة: 15] ومدّ الشيطان للكفرة في الغي هو التزيين لهم والإغواء المتتابع.²

وقد كان لهذا التفريق في الاستعمال القرآني تأثيرا في اختلاف القراءة في الآية، فمن قرأ بضم الميم فقد لازم الاستعمال القرآني، ومن قرأ بفتح الميم احتاج إلى قرينة سياقية لحاقية تبين المعنى المراد، وأشار إلى ذلك بقوله: "فمن قرأ في هذه الآية ﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ بضم الميم فهو على المنهاج المستعمل، ومن قرأ «يُمَدُّونَهُمْ» فهو مقيد بقوله ﴿فِي الْغِيِّ﴾.³

النموذج الخامس: استعمال لفظة (المغرم)

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمُ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: 98].

قال ابن عطية: " وأصل (المغرم) الدّين، ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم، ولكن كثر استعمال المغرم فيما يؤديه الإنسان مما لا يلزمه بحق، وفي اللفظ معنى اللزوم، ومنه قوله

تعالى: ﴿إِنَّكَ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] أي مكروها لازما.⁴

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص122.

² المصدر نفسه، ج4، ص122.

³ المصدر نفسه، ج4، ص122.

⁴ المحرر الوجيز، ج4، ص389.

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى لفظة (المغرم) من حيث الأصل اللغوي والاستعمال القرآني، فذكر أن كثرة استعماله في التعبير القرآني على خلاف ما وُضع له في الأصل اللغوي فقال: " وأصل (المغرم) الدّين، ومنه تعوذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المغرم والمأثم، ولكن كثر استعمال المغرم فيما يؤديه الإنسان مما لا يلزمه بحق."¹

ثم ذكر مثالا للاستعمال القرآني يبين المعنى المراد حيث قال: " ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ عَدَاِبُهَا كَانِ غَرَامًا﴾ [الفرقان: 65] أي مكروها لازما."²

-الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- التعبير عن سياق الاستعمال بقوله (وهذا أغلب وقوعها في القرآن) كما في النموذج الأول.
- التصريح بلفظ (الاستعمال) كما في النموذج الثاني والثالث.
- استخدامه لمصطلح (لغة القرآن) لبيان الاستعمال القرآني للمفردة.
- الإرشاد إلى النظر والتأمل في الألفاظ بحكم الموقع اللغوي.
- بيان العلاقة بين الاستعمال اللغوي، وتصرف اللفظة في تفسير القرآن الكريم كما في النموذج الثالث
- تعبيره عن سياق الاستعمال بـ (المنهاج المستعمل) كما في النموذج الرابع.

¹ المحرر الوجيز، ج 4، ص 389.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 389.

المطلب الرابع: المفردة القرآنية والسياق الاشتقائي والصرفي¹:

- الصرف لغة:

مر معنا الفصل الثاني مفهوم السياق لغة، لذلك نقتصر هنا على المعنى اللغوي لكلمة (الصرف). جاء في معجم مقاييس اللغة: "الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل على رَجَعِ الشَّيْءِ، من ذلك صرفت القومَ صرفاً وانصرفوا، إذا رَجَعْتَهُمْ فرجعوا...والصرف في القرآن التوبة؛ لأنه يُرْجَعُ به عن رتبة المذنبين... ومعنى الصرف عندنا أنه شيءٌ صُرِفَ إلى شيءٍ، كأنَّ الدينار صُرفَ إلى الدرهم، أي رُجِعَ إليها، إذا أَخَذْتَ بدله... قال أبو عبيد: صرفُ الكلام: تزيينه والزيادة فيه، وإنما سمي بذلك لأنه إذا زين صرف الأسماع إلى استماعه."²

وفي لسان العرب: "الصرف: ردُّ الشيء عن وجهه، صرفه يَصْرِفُهُ صرفاً فانصرف والصَّرْفُ: فضلُ الدرهم على الدرهم، والدينار على الدينار لأن كل واحد منهما يصرف عن قيمة صاحبه... وصَرَفَ الشيءَ: أَعْمَلَهُ فِي غَيْرِ وَجْهِ كَأَنَّهُ يَصْرِفُهُ عَنِ وَجْهِ إِلَى وَجْهِ."³

وقال الراغب: "الصَّرْفُ ردُّ الشيء من حالةٍ إلى حالةٍ، أو إبداله بغيره، يقال صَرَفْتُهُ فانصرفت، قال تعالى ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ﴾ [آل عمران: 152]،... وقوله ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: 19]، أي: لا يقدرُونَ أن يصرفوا عن أنفسهم العذاب، أو أن يصرفوا أنفسهم عن النار، وقيل: أن يصرفوا الأمر من حالةٍ إلى حالةٍ في التغيير... وقوله ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الأحقاف: 29]، أي: أقبلنا بهم إليك وإلى الاستماع منك."⁴

¹ ينظر للفائدة مقالنا: السياق الصرفي وأثره في تفسير القرآن عند ابن عطية الأندلسي-نماذج ونتائج-، بوعكاز علي، بلخير عثمان، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي-تبسة-الجزائر، المجلد الثامن، العدد الأول/أفريل 2023م، صص 366-376، تاريخ النشر: 2023/04/30، رابط المقال:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/223/8/1/219739>

² معجم مقاييس اللغة، ج3، ص342.

³ لسان العرب، ج9، ص189.

⁴ معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص210.

يتضح من خلال النصوص اللغوية أن الصرف يحمل معنى الرجوع والانصراف، والتغيير، والإبدال، والتحوُّل من شيء إلى شيء، ومن حالة إلى حالة، وتزيين الكلام والزيادة فيه.

- الصرف اصطلاحاً:

التصريف أو الصَّرْف هو: "علم بأبنية الكلمة، وبما يكون لحروفها من أصالة وزيادة وحذف وصحة

وإعلال وإدغام وإمالة، وبما يعرض لآخرها مما ليس بإعراب ولا بناء من الوقف وغير ذلك."¹

واصطلاحاً بالمعنى العملي: "تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعان مقصودة، لا تحصل إلا بها،

كاسمي الفاعل والمفعول، واسم التفضيل، والثنية والجمع، إلى غير ذلك."²

هذا، والسياق الصرفي ينطلق في عملياته التفهيمية للخطاب من أصل لغوي لا مناص من الارتكاز عليه وهو ركنه الأساس، وهو ما يعرف بالاشتقاق اللغوي للمفردة.

فالاشتقاق: "أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقهما معنى، ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلها اختلفا حروفاً أو هيئته، كضارب من ضَرَبَ، وحَدِرَ من حَدَرَ."⁵

ثم إنه يجب على مفسر القرآن معرفة الأصل اللغوي والاشتقاقات للمفردات وقد أشار إلى ذلك الزركشي بقوله "... وأول ما يجب البداءة به تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن، من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه... فالنظر في التفسير بحسب الأفراد فمن وجوه ثلاثة:

¹ شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإسترابادي، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفاف، محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، 1395هـ-1957م، ج1، ص7.

² شذا العرف في فن الصرف، أحمد بن محمد الحماوي، مراجعة: حجر عاصي، دار الفكر العربي-بيروت-الطبعة الأولى: 1999م، ص9.

⁵ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية - بيروت-1418هـ-1998م، ج1، ص275.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

- من جهة المعاني التي وُضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة.
- من جهة الهيئات والصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف.
- ومن جهة ردّ الفروع المأخوذة من الأصول إليها وهو من علم الاشتقاق.¹¹
وقد كان لابن عطية الأندلسي الاعتناء الكبير بالسياق الصرفي الاشتقاقي في تفسيره؛ فقد تنوع توظيفه له فيه بما يدل على أهمية السياق الصرفي عنده ومدى اهتمامه به، وهذه بعض النماذج التطبيقية التي فيها يبان ذلك:

- النماذج التطبيقية²:

النموذج الأول: السياق الصرفي الاشتقاقي لمفردة: (الذُرِّيَّة)

ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: 34].

قال ابن عطية: " والذرية في عرف الاستعمال تقع لما تناسل من الأولاد سفلا، واشتقاق اللفظة في اللغة يعطي أن تقع على جميع الناس، أي كل أحد ذرية لغيره، فالناس كلهم ذرية بعضهم لبعض، وهكذا استعملت الذرية في قوله تعالى: ﴿ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴾ [يس: 41] أي ذرية هذا الجنس، ولا يسوغ أن يقال في والد: هذا ذرية لولده وإذ اللفظة من "ذر" إذا "بث" فهكذا يجيء معناها، وكذلك إن جعلناها من "ذرا" وكذلك إن جعلت من "ذرا" أو من "الذر" الذي هو صغار النمل.¹¹

- الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج إلى معنى "الذرية" في الآية مُمَهِّدًا ببيان معناها في عرف الاستعمال وأنها تقع لما تناسل من الأولاد سفلا، أي: ما كان من نسله من أبنائه وبناته مهما سفلوا، إلا أنه استند

¹ البرهان في علوم القرآن، ص 431.

² ينظر للفائدة والاطلاع على نماذج أخرى مقالنا: السياق الصرفي وأثره في تفسير القرآن عند ابن عطية الأندلسي - نماذج ونتائج -، بوعكاز علي، بلخير عثمان، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر، المجلد الثامن، العدد الأول/أفريل 2023م، ص 366-376، تاريخ النشر: 2023/04/30،

رابط المقال: <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/223/8/1/219739>

¹¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 199.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

إلى الاشتقاق اللغوي للفظ لبيان المعنى المراد والذي فيه نوع عموم يناسب الاستعمال السياقي للقرآن الكريم في موضع آخر حيث قال: "اشتقاق اللفظة في اللغة يعطي أن تقع على جميع الناس، أي كل أحد ذرية لغيره، فالناس كلهم ذرية بعضهم لبعض، وهكذا استعملت الذرية في قوله تعالى: ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: 41] أي ذرية هذا الجنس."¹

قال أبو حيان: "الذرية: النسل، مشتقة من ذرّوث، أو ذرّيث، أو ذرّاً الله الخلق، أو الذرّ. ويضم ذالها، أو يكسر، أو يفتح."²

ثم ذكر اشتقاق كل منها ضمّاً وكسراً وفتحاً على تطويل يمكن أن نلخصه من خلال كلام ابن عاشور حيث قال: "والذرية نسل الرجل وما توالد منه ومن أبنائه وبناته، وهي مشتقة إما من الذرّ اسماً وهو صغار النمل، وإما من الذرّ مصدراً بمعنى التفريق، وإما من الذرّي والذرّو (بالياء والواو) وهو مصدر ذرت الريح إذا سفت، وإما من الذرء بالهمز وهو الخلق، فوزنها إما فعلية بوزن النسب إلى ذر وضم الذال في النسب على غير قياس كما قالوا في النسب إلى دهر دهرّي بضم الدال، وإما فعيلة أو فعولة من الذرى أو الذرو أو الذرء بإدغام اليائين أو الياء مع الواو أو الياء مع الهمزة بعد قلبها ياء وكل هذا تصريف لاشتقاق الواضع فليس قياس التصريف."³

فقد بين ابن عطية في هذا النموذج أن الاشتقاق اللغوي يقضي ببيان المعنى الصحيح وهو مقدم على الاستعمال العرفي، بحيث يكون إرادة العموم في معنى الذرية بشموله الأبناء والآباء هو الظاهر والمقدم على عرف الاستعمال بأنه المقصود به الفروع من الأبناء والبنات دون غيرهم، إلا أنه نفى إطلاق لفظ الذرية على الآباء لأن الاشتقاق كذلك لا يساعد عليه حيث قال: "ولا يسوغ أن يقال في والد: هذا ذرية لولده وإذ اللفظة من "ذرّ" إذا "بتّ" فهكذا يجيء معناها، وكذلك إن جعلناها من "ذرا" وكذلك إن جعلت من "ذراً" أو من "الذر" الذي هو صغار النمل."⁴

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 199.

² تفسير البحر المحيط، ج 1، ص 542-543.

³ التحرير والتنوير، ج 1، ص 705.

⁴ المحرر الوجيز، ج 2، ص 199.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

قال أبو حيان: "...وقال الراغب: الذرية يقال للواحد والجمع والأصل والنسل كقوله ﴿حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [يس:41]، أي: آباءهم، ويقال للنساء: الذراري، وقال صاحب النظم: الآية توجب أن تكون الآباء ذرية للأبناء والأبناء ذرية للآباء، وجاز ذلك لأنه من ذرأ الله الخلق، فالأب ذرئ من الولد، والولد ذرئ من الأب، وقال معناه النقاش.¹

وقد أوضح معنى هذه الآية الشيخ ابن عثيمين² - في تفسيره لها بذكر اشتقاق آخر للفظه حيث قال:

"وذريّة: مأخوذة من (ذَرَأَ) بمعنى خلق؛ لقوله تعالى: ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى:11] أي: يخلقكم. وقيل: من (وَذَرَ) بمعنى ترك، فعلى الأول: تكون الذرية شاملة للأصول والفروع؛ لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون، أمّا إذا جعلناها من (وذر): بمعنى ترك فهي للفروع فقط، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع، يعني من نشؤوا عن الإنسان وتركهم بعده.³

فتبين من خلال هذه الدراسة لهذا النموذج كيف أن ابن عطية قدّم السياق الاشتقائي اللغوي ضمن الاستعمال القرآني، على ما تعارف عليه الناس في استعمالهم للفظ الذرية من أنها تقع على الفروع دون الأصول وهذا يدل على أن ابن عطية لم يكن ينظر إلى الاستعمال الصرفي للمفردة اللغوية بعيداً عن استعمالها السياقي في القرآن الكريم، وكذلك الأخذ بعين الاعتبار الاستعمال الذي تعارف عليه الناس ليضع اللفظة المفسرة ضمن محيطها المتكامل للخروج بالمعنى الصحيح المدلل والمدعم بشواهد الاعتبارية ضمن السياق القرآني.

¹ تفسير البحر المحيط، ج2، ص454.

² الإمام الفقيه أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين المقبل الوهبي التميمي، ولد في مدينة عنيزة سنة (1347هـ) في أسرة يعرف عنها الدين والاستقامة، واستفاد في طلبه للعلم من عدة مشايخ بعضهم في عنيزة وبعضهم في الرياض منهم: الشيخ عبد الرحمن السعدي، أخذ عنه ولازمه قرابة إحدى عشرة سنة، ويعتبر الشيخ من أبرز طلابه، والشيخ عبد العزيز بن باز، قرأ عليه من صحيح البخاري وبعض كتب الفقه، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب التفسير المشهور. توفي سنة (1421هـ)، من مؤلفاته: (فتح رب البرية بتلخيص الحموية)، و(شرح الواسطية لابن تيمية)، و(الشرح الممتع على زاد المستقنع)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، -مصر- الطبعة الأولى، دت، ج10، ص435.

³ تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، سورة آل عمران، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1435هـ، ج1، ص207.

النموذج الثاني: السياق الصرفي الاشتقائي لمفردتي: (المكأء-التصدية)

تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35].

قال ابن عطية: " والمكأء على وزن المُعَال: الصفير، قاله ابن عباس والجمهور... قال القاضي أبو محمد: ومن هذا قيل للطائر المكأء؛ لأنه يمشو أي يصفر في تغريده، ووزنه فعَال بشد العين كخطَّاف، والأصوات في الأكثر تجيء على فعَال بتخفيف العين كالبكأء والصراخ والدعاء والجؤار والنباح ونحوه.. و(التصدية) عبر عنها أكثر الناس بأنها التصفيق... وقتادة: بأنه الضجيج والصياح، وسعيد بن جبير بأنها الصد والمنع. ومن قال إنها "التصفيق" قال: إنما كان للمنع عن ذكر الله ومعارضة لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن. و (التصدية) يمكن أن تكون من صدى يصدى إذا صَوَّت والصدى الصوت، ومنه قول الطرمح يصف الأروية: لها كلما ريعت صدأة وركدة... بمصران أعلى ابني شمام البوائن

فيلتئم -على هذا الاشتقاق- قول من قال: هو التصفيق، وقول من قال الضجيج، ولا يلتئم عليه قول من قال هو الصد والمنع إلا أن يجعل التصويت إنما يقصد به المنع، ففسر اللفظ بالمقصود لا بما يخصه من معناه، ويمكن أن تكون (التصدية) من صدَّ يصدُّ استعمل الفعل مضعفا للمبالغة والتكثير لا ليعدى فقيل: صدَّد، وذلك أن الفعل الذي يتعدى إذا ضعف فإنما يضعف للتكثير، إذ التعدي حاصل قبل التضعيف، وذلك نحو قوله ﴿وَعَلَقَتِ الْأَبُوبَ﴾ [يوسف: 23]، والذي يضعف ليعدى هو كقولهم علمٌ وعزمٌ، فإذا قلنا في صدَّ صدَّد، ففعلٌ في الصحيح يجيء مصدره في الأكثر على تفعيل، وفي الأقل على تفعلة مثل كمل تكميلا وتكملة وغير ذلك، بخلاف المعتل فإنه يجيء في الأكثر على تفعلة، مثل عزى تعزية، وفي الشاذ على تفعيل، مثل قول الشاعر: بات ينزي دلوه تنزيا..... وإذا كان فعلٌ في الصحيح يتسق فيه المثان رُفض فيه تفعلة مثل قولنا: تصدية وصير إلى تفعيل لتحول الياء بين المثلين كتخفيف وتشديد، فلما سلكوا مصدر صدَّد المسلك المرفوض أصلح ذلك بأن أبدل أحد المثلين ياءً كبدهم في تظنيت ونحوه، فجاء (تصدية)، فعلى هذا الاشتقاق يلتئم قول من قال التصدية الصد عن البيت والمنع.¹

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص181-183.

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج مفردتين مختلفتين مبينا الخلاف في معنيهما والذي ترتب عن الخلاف في الاشتقاق الصرفي لهما؛ فبدأ بلفظة (المكاء) وبين أن معناها الصغير وهو قول ابن عباس والجمهور مستندا إلى الوزن الصرفي لها حيث قال: " والمكاء على وزن الفُعال: الصغيرُ قاله ابن عباس والجمهور... والأصوات في الأكثر تجيء على فُعال بتخفيف العين كالبكاء والصراخ والدعاء والجؤار والنباح ونحوه." ¹ وقد أشار إلى ذلك ابن جرير بقوله: " ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾ [الأنفال: 35] وهو الصغير، يقال منه: مكا يمكو مكوا ومكاء، وقد قيل: إن المكو: أن يجمع الرجل يديه ثم يدخلهما في فيه ثم يصيح." ² ثم ساق بسنده على أنه قول لابن عمر -رضي الله عنه- حيث قال: " عن عطية، عن ابن عمر، في قوله: " ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35] قال: المكاء: الصغير، والتصدية: التصفيق. وقال قره: وحكى لنا عطية فعل ابن عمر، فصفر وأمال خده وصفق بيديه " ³ وذكر كذلك أنه قول مجاهد، وسعيد ابن جبير والضحاك وقتادة والسدي وابن زيد. ⁴ وقال القرطبي: " قال النحاس: المعروف في اللغة ما روي عن ابن عمر." ⁶ وقد تطرق ابن عطية إلى لفظة (التصدية) فذكر تفسيرها مشيرا إلى الخلاف فيها حيث قال: " و (التصدية) عبر عنها أكثر الناس بأنها: التصفيق. وقتادة: بأنه الضحيج والصياح، وسعيد بن جبير: بأنها الصد والمنع." ⁷ ثم بين أن هذا الخلاف مبني على الاشتقاق اللغوي للفظ (تصدية) وأن لكل اشتقاق ما يلائمه في المعنى حيث قال: " و (التصدية) يمكن أن تكون من صدى يصدى إذا صَوَّت والصدى الصوت، ومنه قول الطرمّاح يصف الأروية: لها كلما ريعت صدّاء ورُكّدة ... بمضّران أعلى ابني شمام البوائن

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص181-183.

² جامع البيان، ج11، ص161.

³ المصدر نفسه، ج11، ص163.

⁴ المصدر نفسه، ج11، ص164-166.

⁶ الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج9، ص499.

⁷ المحرر الوجيز، ج4، ص183.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

فيلتئم -على هذا الاشتقاق- قول من قال: هو التصفيق، وقول من قال الضجيج، ولا يلتئم عليه قول من قال هو الصد والمنع إلا أن يجعل التصويت إنما يقصد به المنع، ففسر اللفظ بالمقصود لا بما يخصه من معناه.¹

فالجامع للمعنى الذي ذهب إليه من قال بأن التصدية هي التصفيق والضجيج والصياح، هو الاشتقاق الصرفي للكلمة على أنها تكون من صدَّى يصدَّى إذا صَوَّت وصدَّى هو الصوت.

ثم وجَّه ابن عطية قول من ذهب إلى أن (التصدية) هي الصد والمنع، وأن لذلك وجهها صحيحا في الاشتقاق العربي يلتئم به من ذهب إلى هذا المعنى حيث قال: "ويمكن أن تكون (التصدية) من صدَّ يصدُّ استعمل الفعل مضعفا للمبالغة والتكثير." "إلى أن قال: "وإذا كان فعَل في الصحيح يتسق فيه المثالان رُفُض فيه تفعلة مثل قولنا: تصدية، وصير إلى تفعيل لتحول الياء بين المثليين كتخفيف وتشديد، فلما سلكوا مصدر صدَّد المسلك المرفوض أصلح ذلك بأن أبدل أحد المثليين ياءً كبذلهم في تظنَّيت ونحوه، فجاء (تصدية)، فعلى هذا الاشتقاق يلتئم قول من قال التصدية الصد عن البيت والمنع."²

ولكلا المعنيين وجهٌ في استعمال السياق القرآني بناء على الاشتقاق الصرفي أشار إليه السمين الحلبي⁴ بقوله: "والتصدية فيها قولان أحدهما: أنها من الصدى وهو ما يسمع من رجع الصوت في الأمكنة الخالية الصلبة يقال منه: صدى يصدي تصدية، والمراد بها هنا ما يسمع من صوت التصفيق بإحدى اليدين على الأخرى... وقيل: هي مأخوذة من التصدِّة وهي الضجيج والصياح والتصفيق، فأبدلت إحدى الدالين ياء تخفيفا، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: 57] في قراءة من كسر الصاد أي: يضحون ويلغظون. وهذا قول أبي عبيدة... والثاني: أنها من الصدِّ وهو المنع والأصل: تصدِّة بدالين أيضا، فأبدلت ثانيتها ياء. ويؤيد هذا قراءة من قرأ "يصدُّون" بالضم أي: يمنعون."⁵

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص183.

² المصدر نفسه، ج4، ص183.

⁴ أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالسمين: مفسر، عالم بالعربية والقراءات. شافعي، من أهل حلب، استقر واشتهر في القاهرة. توفي سنة (756هـ). الأعلام ج1، ص274.

⁵ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم-دمشق-دط، دت،

النموذج الثالث: السياق الصرفي الاشتقاقي لمفردة: (التوراة والإنجيل)

قوله تعالى: ﴿زَلَّ عَلَيْكَ الْكَتَبَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [آل عمران:3] قال ابن عطية: " والتوراة والإنجيل اسمان أصلهما عبراني لكن النحاة وأهل اللسان حملوها على الاشتقاق العربي فقالوا في التوراة: إنها من وَرَى الزناد يَرِي إذا قدح وظهرت ناره يقال أَوْرَيْتَهُ فَوْرِي، ومنه قوله تعالى: ﴿فَالْمُورِبَتِ قَدْحًا﴾ [العاديات: 2] وقوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ [الواقعة: 71] قال أبو علي، فأما قولهم: وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي عَلَى وَزْنٍ، فَعَلْتُ فزعم أبو عثمان أنه استعمل في هذا الكلام فقط ولم يجاوز به غيره، وتوراة عند الخليل وسيبويه وسائر البصريين فوعلة كحوقلة وَوْرِيَةٌ قلبت الواو الأولى تاء كما قلبت في "تولج" وأصله "وولج" من: ولجت، وحكى الزجاج عن بعض الكوفيين: أن توراة أصلها تَفْعَلَةٌ بفتح العين، من: وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي.

قال القاضي أبو محمد: وإنما ينبغي أن تكون من: أَوْرَيْتُ قَالَ فِيهَا تَوْرِيَةٌ... وقالوا في الإنجيل: إنه إفعيل من النجل وهو الماء الذي يَنْزُ من الأرض، قال الخليل: استنجلت الأرض وبها أنجال إذا خرج منها الماء والنجل أيضا الولد والنسل قاله الخليل وغيره، ونجله أبوه أي ولده.¹

-الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج الاشتقاق العربي لمفردتي التوراة والإنجيل، فذكر أن أصلهما عبراني ولكن المعنى فيهما على ما ذكره أهل اللسان من الاشتقاق اللغوي فهو الفاصل في بيان المعنى بشتى دلالاته.

فالتوراة ذكر أن اشتقاقها من وري الزناد وهو ما تُشعل به النار ويظهر من خلالها ضياؤها ولهيها. فكأن التوراة ضياء من الضلال، وهذا الاشتقاق قول الجمهور.²

وقال آخرون: بل هي مشتقة من «وريت في كلامي» من التورية وهي التعريض، وسميت التوراة بذلك لأن أكثرها تلويحات ومعاريض، وإلى هذا ذهب المؤرخ السدوسي وجماعة.³

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص151.

² تفسير البحر المحيط، ج2، ص386.

³ الدر المصون، ج3، ص16.

والإنجيل: قيل: إفعيل كإجفيل، وفي وزنه أقوال، أحدها: أنه مشتق من النجل وهو الماء الذي يَنْزُّ من الأرض ويخرج منها، ومنه: النجل للولد، وسمي الإنجيل لأنه مستخرج من اللوح المحفوظ. وقيل: من النجل وهو التوسعة، ومنه: العين النجلاء لسعتها، وسمي الإنجيل بذلك؛ لأن فيه توسعة لم تكن في التوراة، إذ حلل فيه أشياء كانت محرمة. وقيل: هو مشتق من التناجل وهو التنازع، يقال: تناجل الناس أي: تنازعوا، وسمي الإنجيل بذلك لاختلاف الناس فيه قاله أبو عمرو الشيباني. وقيل: هو إفعيل من النجل وهو الأصل: فالإنجيل أصل لعلوم وحكم.¹

فلاحظ كيف أن ابن عطية ذهب إلى القول باشتقاق اللفظتين وبني عليه ما يترتب عليه من المعاني، مستعرضاً أوزانهما مما ذكره علماء اللغة رغم أنه وقع خلاف بين علماء اللغة في هاتين اللفظتين: هل يدخلهما الاشتقاق والتصريف أم لا يدخلانها؟²، فحسم الخلاف في أول تفسيره لهما بأنه يرى اشتقاقهما وما يجري عليهما من المعاني فهذه إشارة منه إلى اعتبار السياق الاشتقاقي وأنه لا ينبغي إهماله في التفسير مبينا ذلك بقوله: " والتوراة والإنجيل اسمان أصلهما عبراني لكن النحاة وأهل اللسان حملوها على الاشتقاق العربي... " مبينا اختياره في معنى التوراه، فقد اختار المعنى الثاني وأنها من التورية والتعريض حيث قال: " وإنما ينبغي أن تكون من: أوريت قال فهي تورية.³

وقد استند ابن عطية كذلك إلى سياق الاستعمال القرآني لما ذهب إليه من اختياره للمعنى الاشتقاقي بقوله تعالى: ﴿ فَالْمُورِبَاتِ قَدْحًا ﴾ [العاديات: 2] وقوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ [الواقعة: 71].

¹ زاد المسير، ج 1، ص 349.

² الدر المصون، ج 3، ص 16.

³ المحرر الوجيز، ج 2، ص 151.

النموذج الرابع: السياق الاشتقائي لمفردة (البرية)

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُم شُرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة:6]

قال ابن عطية: "... و(البرية) جميع الخلق؛ لأن الله تعالى برأهم أو أوجدهم بعد العدم... وقال بعض النحويين: (البرية) مأخوذ من البري وهو التراب، وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأً وغلطاً، وهو اشتقاق غير مرضي¹."

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج الاشتقاق اللغوي لمفردة البرية بعدما بين أن المقصود بها جميع الخلق، وعلل ذلك التفسير بما اختاره من اشتقاقها اللغوي بأنها من (براً) لأن الله تعالى برأهم وأوجدهم بعد العدم، ومرجع الخلاف على ما ذكره السمين الحلبي إلى الهمز الذي في الكلمة فقيلاً: هو الأصل، من برأ الله الخلق ابتداءً واختاره فيه فعلية بمعنى مفعولة، وإنما خففت، والتزم تحفيفها عند عامة العرب... وقيل: بل البرية دون همزة مشتقة من البرا، وهو التراب، فهي أصل بنفسها.²

وقد رد ابن عطية الاشتقاق الثاني من أنه من البرا وهو التراب، وقال إن هذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأً وغلطاً، وهو اشتقاق غير مرضي، ورده هذا نتج عن توهم رده السمين الحلبي بعدما استعرضه مبيناً منشأه حينما قال: "...إلا أن ابن عطية غض من هذا فقال: «وهذا الاشتقاق يجعل الهمزة خطأً وهو اشتقاق غير مرضي» انتهى. يعني أنه إذا قيل بأنها مشتقة من البرا وهو التراب فمن أين يجيء في القراءة الأخرى؟ وهذا غير لازم لأنهما قراءتان مستقلتان، لكل منهما أصل مستقل، فقيلاً: من برأ، أي: خلق، وهذه من البرا؛ لأنهم خلقوا منه، والمعنى بالقراءتين شيء واحد، وهو جميع الخلق.³

¹ المصدر نفسه، ج8، ص664.

² الدر المصون، ج11، ص70-71.

³ المصدر نفسه، ج11، ص71.

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

-إهتمام ابن عطية بالسياق الصرفي وعلم الاشتقاق اللغوي، وهذا نتيجة لتمكنه في علوم اللغة العربية.
-تقديم السياق الصرفي الاشتقاقي للفظه ضمن سياقها في الاستعمال القرآني على المعنى المتعارف عليه للفظه اللغوية كما في النموذج الأول.

-تنوع مجال استعماله للسياق الصرفي سواء أكان في المسائل اللغوية، أو العقديّة والتعبديّة كما في النموذج الثاني.

-الربط بين الاشتقاق الصرفي للفظه وما نتج عنه من التفسير ومن قال به من المفسرين مع الاستشهاد لكل قول بما جاء من كلام العرب.

المطلب الخامس: المفردة القرآنية والسياق النحوي:

مر في الباب الأول في الدراسة النظرية ذكر مفهوم السياق النحوي، وقد اعتنى ابن عطية بالنحو بجميع دلالاته أيما اعتناء، وتفسيره مليء بالإعراب؛ فهو من المعربين المحيدين فيما يتطرق إليه في التفسير سواء أكان الإعراب متعلق بالمفردات أو التراكيب؛ كل ذلك بغرض إضاءة المعنى وتحليلته بالبيان على أكمل وجه وأتمه، وقد كان للسياق عنده دورا فعّالا فيما يتطرق إليه من المسائل النحوية بمختلف دلالاتها، فلا يجعل النحو بمنأى عن السياق، بل كان على منهج السياق النحوي بشتى دلالاته، وهذه بعض النماذج التطبيقية شاهدة على ذلك:

-النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق النحوي للفظه (مَنْ) الموصولية.

في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّٰبِغِينَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 62].

قال ابن عطية: "وجمع الضمير في قوله تعالى ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ بعد أن وحده في ﴿ءَامَنَ﴾ لأنَّ ﴿مَنْ﴾ تقع على الواحد والتثنية والجمع، فحائز أن يخرج ما بعدها مفردا على لفظها، أو مثني أو مجموعا على معناها، كما قال عز وجل ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ [يونس: 42] فجمع على المعنى، ... وإذا جرى ما

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

بعد (مَنْ) على اللفظ فجائز أن يخالف به بعد على المعنى، وإذا جرى ما بعدها على المعنى فلم يستعمل أن يخالف به بعد على اللفظ، لأن الإلباس يدخل في الكلام.¹

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذه الآية لفظة (مَنْ) الموصولية وما يترتب عليها في السياق من الجمع والإفراد والتثنية بالنظر إلى لفظها أو معناها؛ فبين أنها تقع على الواحد والتثنية والجمع وما بعدها يكون مفردا بالنظر إلى لفظها، أو مثني أو مجموعا بالنظر إلى معناها؛ فلهذا أثر لها في لحاق الآية، وقد استند فيما ذهب إليه إلى السياق القرآني لهذه اللفظة في الجمع على المعنى من مواضع متفرقة من كتاب الله - عز وجل - حيث قال: " كما قال عز وجل ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾ [يونس: 42] فجمع على المعنى، وكقوله ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾ [النساء: 13] ثم قال ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ [النساء: 13] فجمع على المعنى.²

قال أبو حيان: " وقد حمل الصلة أو فعل الشرط والمعطوف على لفظ (مَنْ)، فأفرد الضمير في (أمن) و(عَمِل) ثم قال: فلهم أجرهم إلى آخر الآية، فجمع حملا على المعنى. وهذان الحملان لا يتمان إلا بإعراب (مَنْ) مبتدأ، وأما على إعراب (مَنْ) بدلا، فليس فيه إلا حمل على اللفظ فقط. وللحمل على اللفظ والمعنى قيود ذكرت في النحو.³

وقد أشار الإمام محمد الطاهر ابن عاشور إلى هذا السياق النحوي مبيناً الوجه البلاغي له، حيث قال: " وإنما جمع الضمير في قوله: ﴿ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ مراعاة لما صدق (مَنْ)، وأفرد شرطها، أو صلته مراعاة للفظها، ومما حسن ذلك هنا وجعله في الموقع الأعلى من البلاغة أن هذين الوجهين الجائزين عربية في معاد الموصولات وأسماء الشروط قد جمع بينهما على وجه أنبأ على قصد العموم في الموصول أو الشرط فلذلك أتى بالضمير الذي في صلته أو فعله مناسبا للفظه لقصد العموم ثم لما جيء بالضمير مع الخبر أو الجواب جمع ليكون عودا على بدء فيرتبط باسم (إِنَّ) الذي جيء بالموصول أو الشرط بدلا منه أو خبرا عنه حتى

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص238.

² المحرر الوجيز، ج1، ص238.

³ البحر المحيط، ج1، ص405.

يعلم أن هذا الحكم العام مراد منه ذلك الخاص أولاً، كأنه قيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ إلتخ كل من آمن بالله وعمل إلتخ فلأولئك الذين آمنوا أجرهم فعلم أنهم مما شمله العموم على نحو ما يذكره المناطقة في طي بعض المقدمات للعلم به، فهو من العام الوارد على سبب خاص.¹

وقد أشار ابن عطية في آخر هذا النموذج إلى قاعدة سياقية نحوية وهي قوله: "وإذا جرى ما بعد (من) على اللفظ فجائز أن يخالف به بعدُ على المعنى، وإذا جرى ما بعدها على المعنى فلم يستعمل أن يخالف به بعدُ على اللفظ، لأن الإلباس يدخل في الكلام."²

وقد رد هذا الكلام أبو حيان في البحر المحيط حيث قال: "وليس كما ذكر، بل يجوز إذا راعيت المعنى أن تراعي اللفظ بعد ذلك. لكن الكوفيين يشترطون الفصل في الجمع بين هذين الحملين فيقولون: من يقومون في غير شيء، وينظر في أمورنا قومك، والبصريون لا يشترطون ذلك، وهذا على ما قرر في علم العربية: تروي الأحاديث عن كلِّ مُسَامِحَةٍ... وإنما لمعانيها معانيها."³

فيلاحظ أن ابن عطية بين المعنى النحوي للمفردة مستندا في ذلك إلى سياق الاستعمال القرآني، ثم صاغ شبه قاعدة نحوية ضمن قالبها السياقي الذي دل عليه الاستعمال القرآني، غير أن هذا المسلك كثيرا ما يُرد كما صنع أبو حيان في هذا النموذج برد المسألة وبيان صحتها ضمن الخلاف بين المدارس النحوية.

النموذج الثاني: السياق النحوي لـ(ما) بين المصدرية والموصولية

قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79].

قال ابن عطية: "وقوله: ﴿بِمَا كُنْتُمْ﴾ معناه: بسبب كونكم عالمين دارسين، فـ(ما) مصدرية، ولا يجوز أن تكون موصولة، لأن العائد الذي كان يلزم لم يكن بدُّ أن يتضمنه: ﴿كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾، ولا يصح شيء من ذلك لأن (كان) قد استوفت خبرها ظاهراً، وهو: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾، وكذلك ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قد استوفى مفعوله وهو ﴿الْكِتَابَ﴾ ظاهراً، فلم يبق إلا أن ما مصدرية، إذ لا يمكن عائد، و: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بمعنى تعرّفون، فهي متعدية إلى مفعول واحد."⁴

¹ التحرير والتنوير، ج1، ص540.

² المحرر الوجيز، ج1، ص238.

³ تفسير البحر المحيط، ج1، ص405.

⁴ المحرر الوجيز، ج2، ص269.

-الدراسة التحليلية:

ذهب ابن عطية إلى أن (ما) في هذه الآية مصدرية وليست موصولية، واستند إلى ما ذهب إليه إلى السياق وبالتحديد لحاق الآية، حيث إنَّ ما جاء بعد (ما) يعيّن معناها وهو قوله تعالى ﴿كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ لأنها لا تتضمن عائداً ومتعلقاً يرجع على (ما) الموصولية وهو ما بينه بقوله: " لأن العائد الذي كان يلزم لم يكن بدُّ أن يتضمنه: ﴿كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾، ولا يصح شيء من ذلك." ¹ ثم ذهب إلى تعليل عدم صلاحية (ما) أن تكون موصولية بلحاق الآية كذلك بأنَّ (كان) تحتاج إلى خبر و(تعلمون) تحتاج لمفعول وكل ذلك يقضي عليه لحاق الآية تباعا بما لا مجال لأن تكون (ما) موصولية، وقد بين ذلك فيما يخص خبر (كان) بقوله: " لأن (كان) قد استوفت خبرها ظاهراً، وهو: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾." ² ثم ذكر ما يخص مفعول (تعلمون) بقوله: " وكذلك ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ قد استوفى مفعوله وهو ﴿الْكِتَابَ﴾ ظاهراً، فلم يبق إلا أن ما مصدرية، إذ لا يمكن عائداً، و: ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بمعنى تعرّفون، فهي متعدية إلى مفعول واحد." ³

وقد أشار أبو حيان إلى ذلك دون الجزم به حيث قال: " الباء للسبب و: (ما)، الظاهر أنها مصدرية." ⁴ إلا أن السمين الحلبي عقّب على كلام أبي حيان حيث قال: "و(ما) مصدرية، وظاهر كلام الشيخ أنه يجوز أن تكون غير ذلك، فإنه قال: "و(ما) الظاهر أنها (مصدرية) فهذا يجوز غير ذلك، وجوازه فيه بعد، وهو أن تكون موصولة، وحينئذ تحتاج إلى عائد وهو مقدر، أي: بسبب الذي تعلمون به الكتاب، وقد نقص شرط وهو اتحاد المتعلق فلذلك لم يظهر جعلها غير مصدرية." ⁵

وقد ذهب جمع من المفسرين إلى ما ذهب إليه ابن عطية من كون ما (مصدرية) وليست (موصولية) وذلك لأنها تنسب مع الفعل بعدها بمصدر، ومن ذكر ذلك:

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص269.

² المحرر الوجيز، ج2، ص269.

³ المصدر نفسه، ج2، ص269.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج2، ص530.

⁵ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، مصدر سابق، ج3، ص276.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

- ابن عادل الحنبلي¹ حيث قال: " و «ما» مصدرية، فتكون مع الفعل بتأويل المصدر، أي: بسبب

كونكم عالمين، نظيره قوله: ﴿الْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ﴾ [الجاثية: 34].²

- البيضاوي³ في تفسيره حيث قال: " ﴿يَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَيَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب كونكم معلمين الكتاب وبسبب كونكم دارسين له، فإن فائدة التعليم والتعلم معرفة الحق والخير للاعتقاد والعمل.⁴

- الرازي في تفسيره حيث قال: " المسألة الثالثة (ما) في القراءتين، هي التي بمعنى المصدر مع الفعل، والتقدير كونوا ربانيين بسبب كونكم عالمين ومعلمين وبسبب دراستكم الكتاب، ومثل هذا من كون (ما) مع الفعل بمعنى المصدر قوله تعالى ﴿فَالْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِنَنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: 51].⁵

فالملاحظ أن ابن عطية عندما ذكر أن (ما) مصدرية، ذكر التعليل والتوضيح لذلك بالسياق وتحديدًا بالحق وهو الذي لم يتطرق إليه على حسب البحث من فسر الآية وهذا يعد منهجا له في تحديد المعنى المناسب بالسياق وتعليقه لما عدل عنه من المعنى كذلك كان بالسياق.

¹ عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي، أبو حفص، سراج الدين صاحب التفسير الكبير (اللباب في علوم الكتاب) توفي سنة (880هـ). الأعلام، ج5، ص58.

² اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م، ج5، ص349.

³ عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي، أبو سعيد، ناصر الدين البيضاوي: قاض، مفسر، علامة، من تأليفه (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، (منهاج الوصول إلى علم الأصول)، توفي سنة (685هـ)، الأعلام، ج4، ص110.

⁴ أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان-، الطبعة الأولى: 1418هـ، ج2، ص25.

⁵ مفاتيح الغيب، مصدر سابق، ج8، ص124.

النموذج الثالث: السياق النحوي لقوله تعالى: ﴿وَعَدَّا﴾.

قوله تعالى: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [التوبة: 111].

قال ابن عطية: "وقوله سبحانه ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد؛ لأن ما تقدم من الآية هو في

معنى الوعد فجاء هو مؤكدا لما تقدم من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ لَهْمُ الْجَنَّةِ﴾ [التوبة: 111]."¹

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا الموضوع إلى بيان المعنى النحوي لقوله تعالى ﴿وَعَدَّا﴾ بأنها مصدر مؤكد، مستندا في ذلك إلى السياق وتحديدًا بسباق الآية وما فيها من معنى الوعد الذي يكون محل التوكيد بقوله:

﴿وَعَدَّا﴾ حيث قال: "وقوله سبحانه ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد"، ثم ذكر التعليل مستندا فيه إلى

سياق الآية بقوله "لأن ما تقدم من الآية هو في معنى الوعد فجاء هو مؤكدا لما تقدم من قوله: ﴿يَا أَيُّهَا

لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: 111]."²

وقد صرح أبو حيان بنفس ما ذهب إليه ابن عطية من الإعراب حيث قال: "وانتصب ﴿وَعَدَّا﴾

على أنه مصدر مؤكد لمضمون الجملة، لأن معنى ﴿أَشْتَرَى﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَكُمْ لَهْمُ الْجَنَّةِ﴾ وعدمهم الله الجنة

على الجهاد في سبيله."³

وقال السمين الحلبي: "قوله: ﴿وَعَدَّا﴾ منصوب على المصدر المؤكد لمضمون الجملة لأن معنى ﴿

أَشْتَرَى﴾ معنى وعدمهم بذلك فهو نظير «هذا ابني حقا»."⁴

وهذا المعنى الذي أشار إليه ابن عطية على أنه مرجح لأن يكون (وعدا) مصدر مؤكد؛ جاء مصرحا

به من كلام المفسرين منهم:

¹ المحرر الوجيز، ج 4، ص 416.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 416.

³ تفسير البحر المحيط، ج 5، ص 106.

⁴ الدر المصون، ج 6، ص 128.

1- ابن جرير: " ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾، يقول: وعدهم الجنة، جل ثناؤه وعدا عليه حقا أن يُوفي لهم به، في كتبه المنزلة التوراة والإنجيل والقرآن.¹"

2- ابن كثير حيث قال: " وقوله تعالى: ﴿وَعَدَّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ تأكيد لهذا الوعد وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة، وانزله على رسله في كتبه الكبار، وهي التوراة

المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.²"

النموذج الرابع: السياق النحوي لـ(ما) بين معنى التوكيد والزيادة.

في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا تَتَّبِعُنِ﴾ [طه:93].

قال ابن عطية: "واختلف الناس في وجه دخول (لا) فقالت فرقة هي زائدة، وذهب حذاق النحاة إلى أنها مؤكدة وأنَّ في الكلام فعلاً مقدرًا كأنه قال: ما منعك ذلك أو حضك أو نحو هذا على (أن لا تتبعين)، وما قبل وما بعد يدل على هذا ويقتضيه.³"

—الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف النحاة حول (لا) من قوله تعالى: ﴿أَلَّا﴾ فمنهم من قال إنها زائدة، و ذكر أن حذاق النحاة ذكروا أنها مؤكدة، ثم ذكر أن السياق يدل على ما ذهب إليه الحذاق من النحاة من أنها مؤكدة وليست بزائدة حيث قال: "وذهب حذاق النحاة إلى أنها مؤكدة وأن في الكلام فعلاً مقدرًا كأنه قال ما منعك ذلك أو حضك أو نحو هذا على (أن لا تتبعين)، وما قبل وما بعد يدل على هذا ويقتضيه.⁴"

¹ جامع البيان، ج12، ص05.

² تفسير القرآن العظيم، ج7، ص292.

³ المحرر الوجيز، ج6، ص126.

⁴ المصدر نفسه، ج6، ص126.

ومقصوده بـ (ما قبل) وهو السباق من قوله تعالى ﴿ قَالَ يَهْرُونَ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ [طه:92] حيث تتضمن الآية الفعل المقدر الذي ذكره على أنه مؤكد للمعنى وهو ﴿ مَانَعَكَ ﴾، ومقصوده بـ (ما بعد) هو اللحاق من قوله تعالى ﴿ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه:93]؛ فذكر أن هناك أمرا بالفعل مقدر أكدته (لا) دل عليه اللحاق، وهذا الأمر جاء في قوله تعالى: ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف:142].

وقد أشار أبو حيان في تفسيره إلى القولين موضحاً ذلك بقوله: " و (لا) زائدة كهي في قوله ﴿ مَانَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف:03]، وقال علي بن عيسى دخلت (لا) هنا لأن المعنى ما دعاك إلى أن لا تتبعني، وما حملك على أن لا تتبعني بمن معك من المؤمنين أفعصيت أمري يريد قوله ﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ الآية.¹"

فلاحظ كيف أن ابن عطية استند إلى السياق سابقا ولحاقا لبيان المعنى النحوي لمسألة خلافية في الآية. وقد يفهم من ظاهر ذكره للقول الأول أن (لا) زائدة لا معنى لذكرها وهذا في الحقيقة مستبعد ومستحيل وحاشاه أن يكون في القرآن الكريم، وقد أجاد التعبير المفسر اللغوي محمد الأمين الشنقيطي عندما عبر عن (لا) هنا بقوله: "زائدة مؤكدة"، وفصل في هذه المسألة بتفصيل بديع حيث قال: "قال بعض أهل العلم: (لا) في قوله: ﴿ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ﴾ زائدة للتوكيد، واستدل من قال ذلك بقوله تعالى في (الأعراف): ﴿ قَالَ مَا مَانَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ [الأعراف:12]، قال لأن المراد: ما منعك أن تسجد إذ أمرتك؛ بدليل قوله في القصة بعينها في سورة (ص): ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَانَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ [ص:75] الآية؛ فحذف لفظة (لا) في (ص) مع ثبوتها في (الأعراف)، والمعنى واحد؛ فدل ذلك على أنها مزيدة للتوكيد.

قال مقيده - عفا الله عنه وغفر له - : قد عرف في اللغة العربية أن زيادة لفظة (لا) في الكلام الذي فيه معنى الجحد لتوكيده مطردة؛ كقوله هنا: ﴿ مَانَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴾ [١٢] أَلَّا تَتَّبِعَنِ : أي: ما منعك أن تتبعني، وقوله: ﴿ قَالَ مَا مَانَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾ بدليل قوله في (ص) : ﴿ مَا مَانَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ

¹ تفسير البحر المحيط، ج6، ص253.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

﴿يَدَى﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ الآية [الحديد: 29]، أي: ليعلم أهل الكتاب، وقوله ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [النساء: 65]، أي فوربك لا يؤمنون، وقوله: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ [فصلت: 34] أي: والسيئة، وقوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: 95]، على أحد القولين، وقوله:

﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: 109]، على أحد القولين، وقوله: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا﴾ الآية [الأنعام: 151] على أحد الأقوال فيها. ونظير ذلك من كلام العرب قول امرئ القيس: فلا وأبيك ابنة العامري ... لا يدعي القوم أني أفر يعني فوأبيك. وقول أبي النجم:

فما ألوم البيضَ ألا تسخرأ ... لما رأين الشَّمَطَ القَفَنَدْرَا
يعني أن تسخر. وقول الآخر:

ما كان يرضى رسول الله دينهم ... والأطيان أبو بكر ولا عمر
يعني وعمر. وقول الآخر:

وتلحيني في اللهو ألا أحبه ... وللهو داع دائب غير غافل

يعني أن أحبه، و(لا) مزيدة في جميع الأبيات لتوكيد الجحد فيها، وقال الفراء: إنها لا تزداد إلا في الكلام الذي فيه معنى الجحد كالأمثلة المتقدمة، والمراد بالجحد النفي وما يشبهه كالمنع في قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ [طه: 92]، ونحو ذلك، والذي يظهر لنا، والله تعالى أعلم: أن زيادة لفظة «لا» لتوكيد الكلام وتقويته أسلوب من أساليب اللغة العربية، وهو في الكلام الذي فيه معنى الجحد أغلب مع أن ذلك مسموع في غيره.¹

فيلاحظ أن محمد الأمين الشنقيطي تعرض لهذه المسألة النحوية بالتفصيل والتأصيل مستندا في أول كلامه كذلك إلى سياق الاستعمال القرآني، وذكر الشواهد من كلام العرب بعيدا عن الإجمال الذي نحا إليه ابن عطية الأندلسي في تناوله لهذه المسألة.

¹ أضواء البيان، ج4، ص626-628.

النموذج الخامس: السياق النحوي وإعراب قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12].

قال ابن عطية: "وقوله ﴿وَكُلَّ﴾ نصب بفعل مضمر يدل عليه ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ كأنه قال: وأحصينا كل شيء أحصيناه."¹

الدراسة التحليلية:

بين ابن عطية في هذا النموذج إعراب لفظة ﴿وَكُلَّ﴾ وأنها منصوبة بفعل مضمر يدل عليه السياق

وبالتحديد لحاق الآية وهو قوله تعالى: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ وقد ذكر ذلك المعربون من المفسرين منهم:

-النحاس² حيث قال: "﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ منصوب على إضمار فعل، ويجوز رفعه بالابتداء إلا أنّ نصبه أولى ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل. وهذا قول الخليل وسيبويه رحمهما الله."³

-القرطبي حيث قال: "﴿وَكُلَّ﴾ نصب بفعل مضمر يدل عليه "أحصيناه" كأنه قال: وأحصينا كل شيء أحصيناه."⁴

وهذا الذي ذكره المعربون من نصب (كل) هو ما يعرف في علم النحو بالاشتغال وابن عطية لم يشير إلى ذلك، ومن المفسرين من أشار إلى ذلك وصرح به منهم:

-أبو حيان حيث قال: "وقرأ الجمهور: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ بالنصب على الاشتغال."⁵

¹ المخرر الوجيز، ج7، ص238.

² أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس: مفسر، أديب. مولده ووفاته بمصر، سنة

(338هـ)، وصنف (تفسير القرآن)، و(إعراب القرآن). الأعلام، ج1، ص208.

³ إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: خالد العلي، دار المعرفة بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1429هـ-

2008م، ص816.

⁴ الجامع لأحكام القرآن، ج17، ص422.

⁵ تفسير البحر المحيط، ج7، ص312.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

-السمين الحلبي: " قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ العامة على نصبه على الاشتغال. وأبو السمال قرأه مرفوعا بالابتداء. والأرجح قراءة العامة لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية.¹

والاشتغال: " هو: ما أضمر عامله على شريطة التفسير، وهو كل اسم بعده فعل أو شبهه مشتغل عنه بضميره أو متعلقه، لو سُلِّط عليه هو أو مناسبه لنصبه، مثل: (زيدا ضربته)، و (زيدا مررت به)، و (زيدا ضربت غلامه)، و (زيدا حبست عليه)، ينصب بفعل يفسره ما بعده، أي: (ضربت) و(جاوزت)، و(أهنت) و(لابست)، ويختار الرفع بالابتداء عند عدم قرينة خلافه، أو عند وجود أقوى منها، ك (إمّا) مع غير الطلب، و(إذا) للمفاجأة. ويختار النصب بالعطف على جملة فعلية للتناسب.²

وقد وقع الخلاف بين القراء كذلك في رفع (كل) أو نصبها وممن ذكر هذا الخلاف:

-الفراء³: حيث قال: " وقوله ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ القراء مجتمعون على نصب (كل) لِمَا وقع من الفعل على راجع ذكرها. والرفع وجه جيّد؛ قد سمعت ذلك من العرب؛ لأن (كل) بمنزلة النكرة إذا صحبها الجحد؛ فالعرب تقول: هل أحد ضربته، وفي (كل) مثل هذا التأويل، ألا ترى أن معناه: ما من شيء إلا قد أحصيناه.⁴

وكذلك السمين الحلبي في كلامه السابق مرجحا قراءة الجمهور بالنصب حيث قال: " قوله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ العامة على نصبه على الاشتغال. وأبو السمال قرأه مرفوعا بالابتداء، والأرجح قراءة العامة لعطف جملة الاشتغال على جملة فعلية.⁵

¹ الدر المصون، ج9، ص250.

² الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، جمال الدين ابن الحاجب، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب-القاهرة-الطبعة الأولى: 2010م، ص21.

³ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، أبو زكرياء، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، كان يقال: الفراء أمير المؤمنين في النحو، ولد بالكوفة سنة (144هـ)، وانتقل إلى بغداد، وتوفي في طريق مكة سنة (207هـ)، من كتبه (معاني القرآن)، (ما تلحن فيه العامة)، (آلة الكتاب). الأعلام، ج8، ص145.

⁴ معاني القرآن، أبو زكرياء الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة-مصر-، الطبعة الأولى، دت، ج2، ص373.

⁵ الدر المصون، ج9، ص250.

-الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

-بيان المعاني النحوية للمفردات القرآنية بالنظر إلى السياق المحيط بها.

- الإشارة إلى المواضع القرآنية التي أُستعمل فيها المعنى المراد بيانه كما في النموذج الأول.

-تنوع السياق المستعمل في بيان المعنى النحوي فتارة بالسباق كما في النموذج الثالث، وتارة باللاحق كما

في النموذج الثاني، وتارة بهما جميعاً كما في النموذج الرابع.

-صياغة قواعد نحوية ضمن بيان معاني الألفاظ خلال تفسير الآية بالنظر إلى السياق.

-ندرة الرجوع إلى المدارس النحوية عند التعرض للخلاف النحوي حول المفردة القرآنية، بخلاف غيره من

المفسرين كأبي حيان مثلاً فإنه يذكر في كثير من المواضع ما يذهب إليه البصريون أو الكوفيون في المسألة.

-عدم التنصيص في كثير من المواضع على الآية القرآنية السابقة أو اللاحقة والتي بها بيان السياق المُستند

إليه.

المبحث الثاني: توظيف السياق الداخلي في بيان المعاني ضمن السياق واللاحق

إنَّ المقصود ببيان المعاني هو التفسير المرتكز على السياق سباقاً أو لاحقاً، بحيث يتجلى معنى الآية ويتضح من خلال السباق أو اللاحق أو كلاهما، وفي هذا المبحث بيان لذلك من خلال ما انتهجه ابن عطية في تفسيره لهذا الأسلوب في تفسيره من التفسير وبيان المعاني.

المطلب الأول: بيان المعنى بالسباق:

لقد مر الكلام في تعريف السباق وبيّنا حينها مفهومه لغة، واصطلاحاً وأنه أحد ركني السياق، وهنا نبين النماذج الدالة على تأثير هذا الركن من السياق على تفسير ابن عطية من خلال عرض نماذج لذلك ودراستها:

-النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السباق وبيان معنى قوله تعالى: ﴿مُفَصَّلًا﴾

قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام:114].

قال ابن عطية: "و﴿مُفَصَّلًا﴾ معناه: مزال الإشكال قد فصلت آياته. وهذه الآية - وإن كان معناها يعم في أن الله لا يبتغي سواه حكماً في كل شيء وفي كل قضية- فإننا نحتاج في وصف الكلام واتساق المعاني أن ننظر فيما تقدم إلى قضية تكون سبباً إلى قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾؟ فهي - والله أعلم- حكمه عليهم بأنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كل الآيات، وحكمه بأن جعل للأنبياء أعداء من الجن والإنس."¹

الدراسة التحليلية:

تعرض ابن عطية في هذه الآية إلى بيان معنى قوله تعالى ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ بأنه سبحانه لا يطلب ولا يحتاج حكماً في كل شيء على سبيل العموم، فهو المتصرف في الكون سبحانه الحكم العدل، غير أنه أراد أن يبين المعنى أكثر بياناً ما سبق هذه الآية لينتظم الكلام ويتسق المعنى أكثر ويرتبط مع قوله تعالى هنا ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾ فأحال إلى السباق وهو قوله تعالى:

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص446.

﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [الأنعام: 111-112]، فقال مبينا هذا السياق بقوله: " فإننا نحتاج في وصف الكلام واتساق المعاني أن نُنظر فيما تقدم إلى قضية تكون سببا إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾؟ فهي -والله أعلم- حكمه عليهم بأنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كل الآيات، وحكمه بأن جعل للأنبياء أعداء من الجن والإنس.¹"

وقد بين أبو حيان هذا السياق وعبر عنه بالنظم، وذكر أن تعلقها بما قبلها على وجهين، الوجه الثاني منها ذكره على أنه سبب نزول الأمر الذي فاق به ابن عطية في توضيح الآية، حيث إن التعبير عن السياق في قول ابن عطية بالقضية ينطبق على هذا اللفظ ذكر سبب نزول الآية لتوضيحها، ففاق أبو حيان ابن عطية باستعماله نوعين من السياق وهما: السياق الداخلي المتمثل للحاق، والسياق الخارجي المتمثل في سبب النزول؛ حيث قال: " قال مشركو قريش للرسول: " اجعل بيننا وبينك حكما من أحبار اليهود، وإن شئت من أساقفة النصارى ليخبرنا عنك بما في كتابهم من أمرك؟ فنزلت. ووجه نظمها بما قبلها: أنه لما حكى حلف الكفار، وأجاب بأنه لا فائدة في إظهار الآيات المقترحة لهم أنهم لا ييقنون مصرين على الكفر بين الدليل على نبوته بإنزال القرآن عليه، وقد عجز الخلق عن معارضته، وحكم فيه بنبوته، وباشتمال التوراة والإنجيل على أنه رسول حق، وأن القرآن كتاب من عند الله حق، ووجه آخر: وهو أنه لما ذكر العداوة وتهددهم، قالوا: ما ذكرناه في سبب النزول. وكان من عادتهم إذا التبس عليهم أمر واختلفوا فيه جعلوا بينهم كاهنا حكما، فأمره الله أن يقول: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا ﴾؟ وهذا استفهام معناه النفي. أي: لا أبتغي حكما غير الله.²"

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص446.

² تفسير البحر المحيط، ج4، ص211.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

ولعل ابن عطية لم يذكر سببا لنزول الآية لأنه لم يثبت عنده شيء مما يعتبر سبباً لنزول الآية، لذلك أعرض عن ذكره.

وقد أجاد الإمام البقاعي في بيان معنى الآية بما يربط سباقها بلحاقها، يظهر من خلاله ما عبر عنه ابن عطية باتساق المعاني حيث قال: " لما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب، وهو أنهم لا يؤمنون عند مجيء الآيات المقترحة، وكانت عادة العرب دعاء الأعداء والمخالفين إلى حاكم يفصل بينهم، وكانوا إنما يفزعون في الأمور المغيبة إلى الكهان لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف إليهم إخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع، فيزيدونه كذباً كثيراً، ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل الذي يصدقون فيه - كما ابتلينا به في هذا الزمان من الافتتان بمن يفعل مثل ذلك من المجانين والمتشبهين بهم، وكانت الآيات التي فرغ منها قد أثبتت أن اتخاذهم غرور، سبب عن ذلك وجوب نفي اتخاذهم غير الله لما اتصف به من إيجاء ما خالف إيجاءهم... فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم إلى أوليائهم ببلغ الإنكار... ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال... ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ ﴾ أي خاصة نعمة علي بالقصد الأول وعليكم بالقصد الثاني ﴿ الْكِتَابَ ﴾ أي الأكمل المعجز... ﴿ مُفَصَّلًا ﴾ أي: مميّزاً فيه الحلال والحرام، وغير ذلك من جميع الأحكام، مع ما تفيده فواصل الآيات من اللطائف والمعارف الكاشفة لحقائق البدايات والنهايات." ¹

النموذج الثاني: السباق وبيان معنى قوله تعالى: ﴿ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾.

قال تعالى: ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 67].

قال ابن عطية: " فقله سبحانه: ﴿ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ يريد: في الحكم والمنزلة من الكفر، وهذا نحو قولهم: " الأذنان من الرأس " يريدون: في حكم المسح، وإلا فمعلوم أنهما من الرأس، ولما تقدم من قبل:

﴿ وَمَا هُمْ بِمَنَّكُ ﴾ [التوبة: 56]، حَسَنَ هذا الإخبار." ²

¹ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج7، ص234-236.

² المحرر الوجيز، ج4، ص375.

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج إلى تفسير قوله تعالى ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 67]، فبين أنهم سواء في كفرهم، يسري عليهم الحكم في ذلك، ولا يستثنى بعضهم فيدخل في جملة المؤمنين وهو باق على نفاقه، لما قد يفهم من إفادة (من) التبعية، فـ " (من) في قوله: ﴿ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ اتصالية دالة على معنى اتصال شيء بشيء وهو تبعية مجازي معناه الوصلة والولاية.. وقد شمل قوله: ﴿ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ جميع المنافقين والمنافقات، لأن كل فرد هو بعض من الجميع، فإذا كان كلُّ بعضٍ متصلاً ببعض آخر، عُلم أنهم سواء في الأحوال.¹

وقد استند ابن عطية في بيان هذا الحكم إلى سباق الآية حيث قال: " ولما تقدم من قبل: ﴿ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ ﴾ [التوبة: 56]، حَسُنَ هذا الإخبار.²

وهذا الذي ذهب إليه ابن عطية من تفسيره لهذه الآية بسباقها قد فسرها به بعض المفسرين منهم:

- الزجاج³ حيث قال: " ﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾ [التوبة: 67]، هذا يتلو قوله تعالى: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ ﴾ [التوبة: 56]، أي: ليس المنافقون من المؤمنين.⁴ فأشار إلى سباق الآية لبيان معناها.

- أبو حيان حيث قال: " بين تعالى أن ذكورهم وإناثهم ليسوا من المؤمنين كما قال تعالى ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ ﴾ [التوبة: 56]، بل بعضهم من بعض في الحكم والمنزلة والنفاق، فهم

¹ التحرير والتنوير، ج 10، ص 254.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 357.

³ إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج: عالم بالنحو واللغة، ولد ببغداد سنة (241هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد، توفي سنة (311هـ)، من كتبه (معاني القرآن) و(الاشتقاق) و(خلق الإنسان) و(الأمال) في الأدب واللغة. الأعلام، ج 1، ص 40.

⁴ معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلي، طبعة: دار عالم الكتب، -بيروت- الطبعة الأولى: 1408هـ، 1988م، ج 2، ص 460.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

على دين واحد. وليس المعنى على التبعض حقيقة لأن ذلك معلوم، ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من أنهم يأمرن بالمنكر وهو الكفر وعبادة غير الله والمعاصي، وينهون عن المعروف.¹

- محمد الأمين الشنقيطي: " قوله: ﴿بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ هذه الآية تضمنت تكذيب المنافقين المذكور في قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِّنكُمْ﴾ [التوبة: آية 56] وصدقت قوله: ﴿وَمَا هُمْ مِّنكُمْ﴾ [التوبة: 56] كأن الله يقول: المنافقون يحلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم. الحقيقة هم ليسوا منكم ولكن بعضهم من بعض، وليسوا منكم ولستم منهم، بل هم بعضهم من بعض؛ لأنهم هم المتشابهون في الأخلاق والأهداف، أخلاقهم واحدة وغرضهم واحد، فبعضهم من بعض وبعضهم أولياء بعض، وليسوا منكم ولستم منهم، فهذا معنى قوله ﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 67]، ثم بين صفاتهم التي يجتمعون فيها وهي ضد صفات المؤمنين، على خط مستقيم، وهي قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 67] والمؤمنون يأمرن بالمعروف ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ والمؤمنون ينهون عن المنكر.²

فيلاحظ من كلام أبي حيان ومحمد الأمين الشنقيطي زيادة على استنادهما إلى السباق لبيان معنى الآية؛ فإنهما كذلك أشارا إلى لحاق الآية لتوضيح المعنى أكثر وتأكيد، حيث قال أبو حيان: " وليس المعنى على التبعض حقيقة لأن ذلك معلوم، ووصفهم بخلاف ما عليه المؤمنون من أنهم يأمرن بالمنكر وهو الكفر وعبادة غير الله والمعاصي، وينهون عن المعروف.³

ووصف الأمين الشنقيطي للحاق بأنه خط مستقيم حيث قال: " ثم بين صفاتهم التي يجتمعون فيها وهي ضد صفات المؤمنين، على خط مستقيم، وهي قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: 67] والمؤمنون يأمرن بالمعروف ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ والمؤمنون ينهون عن المنكر.⁴

¹ تفسير البحر المحيط، ج5، ص68.

² العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، دار ابن القيم، -الدمام-السعودية، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م ج5، ص491.

³ تفسير البحر المحيط، ج5، ص68.

⁴ العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، مصدر سابق، ج5، ص491.

هذا التوضيح الذي لم يشر إليه ابن عطية هنا؛ حيث ترك الاستناد إلى اللحاق مع أنه يجلي المعنى أكثر ويوضحه.

النموذج الثالث: السباق ومعنى (الظن) في الآية

قال تعالى: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: 42].

قال ابن عطية: "وقوله: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ ﴾ الآية. (الظن) هاهنا-بمعنى اليقين، لأن ما تقدم من قوله: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [يوسف: 41] يلزم ذلك."¹

الدراسة التحليلية:

بين ابن عطية في هذه الآية معنى الظن فيها من قوله تعالى ﴿ ظَنَّ ﴾ وقال إنها بمعنى اليقين مستندا

في ذلك إلى السباق حيث قال: " (الظن) هاهنا-بمعنى اليقين، لأن ما تقدم من قوله ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾: يلزم ذلك."²

إلا أن ابن عطية لم يتعرض إلى كيفية استفادته لهذا المعنى من السباق، بل اكتفى بمجرد الإشارة إليه فقط على أن هذا المعنى يلزم من سباق الآية، وقد بين هذا المعنى ابن جرير الطبري عندما فسّر الآية وهو في معرض رد قول لقتادة فيما ذهب إليه من تفسيره للظن بغير اليقين حيث قال: " وكان قتادة يوجه معنى "الظن" في هذا الموضع، إلى "الظن"، الذي هو خلاف اليقين... عن قتادة: ﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: 42]، وإنما عبارة الرؤيا بالظن، فيحقُّ الله ما يشاء ويبطل ما يشاء. وهذا الذي قاله قتادة، من أن عبارة الرؤيا ظن، فإن ذلك كذلك من غير الأنبياء، فأما الأنبياء فغير جائز منها أن تخبر بخبر عن أمر أنه كائن ثم لا يكون، أو أنه غير كائن ثم يكون، مع شهادتها على حقيقة ما أخبرت عنه أنه كائن أو غير كائن؛ لأن ذلك لو جاز عليها في أخبارها، لم يؤمن مثل ذلك في كل أخبارها، وإذا لم يؤمن ذلك في أخبارها، سقطت حجتها على من أرسلت إليه، فإذا كان ذلك كذلك، كان غير جائز عليها أن تخبر بخبر إلا وهو حق وصدق؛ فمعلوم، إذ كان الأمر على ما وصفت، أن

¹ المحرر الوجيز، ج 5، ص 91.

² المحرر الوجيز، ج 5، ص 91.

يوسف لم يقطع الشهادة على ما أخبر الفتيين اللذين استعبراه أنه كائن، فيقول لأحدهما: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ [يوسف: 41]، ثم يؤكد ذلك بقوله: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ عند قولهما: (لم نر شيئا)، إلا وهو على يقين أن ما أخبرهما بحدوثه وكونه، أنه كائن لا محالة، لا شك فيه، وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾. فبيِّن إذن بذلك فسأد القول الذي قاله قتادة في معنى قوله: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: 42].¹

فلاحظ كيف وضَّح ابن جرير معنى الظن بأنه اليقين، وردَّ قول قتادة، وهو في تبيانه للمعنى استند كذلك إلى السباق من قوله تعالى ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾، وكذلك زاد المعنى بيانا عندما أكده بالحق حيث قال: "وليقينه بكون ذلك، قال للناجي منهما: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾. [يوسف: 42]."² الأمر الذي لم يشر إليه ابن عطية.

النموذج الرابع: السباق ودلالته على اتصال المعنى في الآية

قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنِي فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ [آية [غافر: 11].

قال ابن عطية: "وهذه الآية يظهر منها أن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: 10]، وليس الأمر كذلك، بل الآيتان متصلتا المعنى، وذلك أن كفرهم في الدنيا كان أيضا بإنكارهم البعث واعتقادهم أنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم أنفسهم إنما عظَّمه، لأن هذا المعتقد كذبهم، فلما تقرر مقتهم لأنفسهم ورأوا حزيا طويلا عريضا رجعوا إلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث وخرج الوجود مقترنا بعذابهم فأقروا به على أتم وجوهه، أي قد كنا كفرنا بإنكارنا البعث ونحن اليوم نقر أنك أحييتنا اثنتين وأمتنا اثنتين، كأنهم قصدوا تعظيم قدرته تعالى واسترضاءه بذلك."³

¹ جامع البيان، ج 13، ص 171-172.

² المصدر نفسه، ج 13، ص 171-172.

³ المحرر الوجيز، ج 7، ص 426.

الدراسة التحليلية:

اعتمد ابن عطية في تفسير هذه الآية وبيان معناها بسباقها، وإلا فالناظر فيها لا يتبين له المعنى ويظن أنه لا علاقة بين هذه الآية والتي قبلها، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "وهذه الآية يظهر منها أن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿إِذْ نَادَوْا إِلَى الْأَيْمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: 10]، وليس الأمر كذلك، بل الآيتان متصلتا المعنى"¹.

وقد وضّح وجه اتصالهما بقوله: "وليس الأمر كذلك، بل الآيتان متصلتا المعنى، وذلك أن كفرهم في الدنيا كان أيضا بإنكارهم البعث واعتقادهم أنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم أنفسهم إنما عظّمه، لأن هذا المعتقد كذبهم."²، فيشير ابن عطية بهذا الكلام إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ نَادَوْا إِلَى الْأَيْمَنِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: 10].

قال ابن سعدي: "﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أطلقه ليشمل أنواع الكفر كلها، من الكفر بالله، أو بكتبه، أو برسله، أو باليوم الآخر."³

ثم بين ابن عطية وجه اتصال الآية السابقة باللاحقة وكيف تبين بها المعنى بقوله: "فلما تقرر مقتهم لأنفسهم ورأوا خزيا طويلا عريضا رجعوا إلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث وخرج الوجود مقترا بعدابهم فأقروا به على أتم وجوهه، أي قد كنا كفرنا بإنكارنا البعث ونحن اليوم نقر أنك أحييتنا اثنتين وأمتنا اثنتين، كأنهم قصدوا تعظيم قدرته تعالى واسترضاءه بذلك."⁴ وقد أشار إلى هذا الاتصال وبين معناه بعض المفسرين منهم:

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 426.

² المصدر نفسه، ج 7، ص 426.

³ تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: عبد الرحمان اللويحق، مكتبة العبيكان-الرياض-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م، ص 733.

⁴ المحرر الوجيز، ج 7، ص 426.

- الإمام الثعالبي¹ حيث قال: " وهذه الآية متصلة المعنى بالتي قبلها." ²
- الإمام البقاعي حيث قال: " ولما كان من أعظم ذنوبهم إنكار البعث، وكانوا قد استقروا العوائد، وسبروا ما جرت به الأقدار في الدهور والمدائد، من أن كل ثان لا بد له من ثالث، وكان الإحياء لا يطلق عرفاً إلا من كان عن موت، حكى سبحانه جوابهم بقوله الذي محطه الإقرار بالبعث والترفق بالاعتراف بالذنب حيث لا ينفع لفوات شرطه وهو الغيب." ³
- الإمام ابن عادل بقوله: " إن قيل: الفاء في قوله: «فاعترفنا» يقتضي أن تكون الإمامة مرتين (والإحياء مرتين) سببا لهذا الاعتراض فما وجه هذه السببية؟ فالجواب: لأنهم كانوا منكرين البعث فلما شاهدوا هذا الأحياء بعد الإمامة مرتين لم يبق لهم عذر في الإقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا الإقرار كالمسبب عن تلك الإمامة والإحياء." ⁴

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- عدم ذكر سبب النزول الذي أشار إليه كثير من المفسرين.
- الاعتماد على السياق في بيان معنى الآية والإعراض عن ذكر سبب النزول.
- الإشارة إلى السباق بذكر معنى الآية دون التنصيص عليها كما في النموذج الأول.
- التصريح بأن اعتبار السباق مهم جدا ومحتاج إليه في وصف الكلام واتساق المعاني.

¹ عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري، أبو زيد: مفسر، من أعيان الجزائر، ولد سنة (786هـ) زار تونس والمشرق، توفي سنة (875هـ)، من كتبه (الجواهر الحسان في تفسير القرآن)، (جامع الأمهات في أحكام العبادات). الأعلام، ج3، ص331.

² الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي المالكي، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربيين بيروت-لبنان- الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م، ج5، ص107.

³ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج17، ص17-18.

⁴ اللباب في علوم الكتاب، ج17، ص20-21.

المطلب الثاني: بيان المعنى باللحاق

بما أنه مر بيان معنى اللحاق في الباب الأول، الفصل الثاني، وأنه أحد ركني السياق والذي من خلاله يتبين المعنى المراد ويتضح فنقتصر هنا على توظيف هذا الركن على تفسير ابن عطية ويتبين ذلك من خلال النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: اللحاق وبيان معنى قوله تعالى: ﴿كَلِمَةٍ﴾

قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَاهَلُ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: 64]

قال ابن عطية: " و ﴿كَلِمَةٍ﴾ هنا عبارة عن الألفاظ التي تتضمن المعاني المدعو إليها، وهي ما فسر بعد ذلك بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾... الآية، وهذا كما تسمى العرب القصيدة كلمة، وجمهور المفسرين على أن الكلمة هي ما فسر بعد، وقال أبو العالية: الكلمة السواء: لا إله إلا الله، والقولان مجتمعان، لأن كل ما فسر ينطبق عليه معنى: لا إله إلا الله.¹

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا الموضوع إلى تفسير قوله تعالى ﴿كَلِمَةٍ﴾ مستندا في ذلك إلى اللحاق حيث

قال: "وهي ما فسر بعد ذلك بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾... الآية."²

يشير بذلك إلى قوله تعالى بتمامه: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ وذكر أن جمهور

المفسرين فسروا هذه الكلمة باللحاق حيث قال: "وجمهور المفسرين على أن الكلمة هي ما فسر بعد."³

ثم أشار إلى أنه عُبر عن اللحاق وهو مجموعة كلمات ب ﴿كَلِمَةٍ﴾ بسبب أن العرب تسمى القصيدة

كلمة، وهذا مستعمل في كلام العرب وقد أشار إلى ذلك:

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 245.

² المصدر نفسه، ج 2، ص 245.

³ المصدر نفسه، ج 2، ص 245.

السمين الحلبي بقوله: "و﴿كَلِمَةٍ﴾ مفسرة بما بعدها من قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ فالمراد بها كلام كثير، وهذا من باب إطلاق الجزء، والمراد به الكل... ويقولون: (كلمة الشهادة) يعنون: لا إله إلا الله محمد رسول الله."¹

إلا أن أبا حيان ذكر وجهاً آخر لهذا الإطلاق فيه التفات كذلك إلى السياق سباقاً ولحاقاً متعلق بكلمة التوحيد خاصّة، قلّ من نبّه إليه من المفسرين، ولم يشر إليه حتى ابن عطية حيث قال بعدما ذكر الوجه الأول: "... وإما لكون الكلمات مرتبطة بعضها ببعض، فصارت في قوة الكلمة الواحدة إذا اختل جزء منها اختلت الكلمة، لأن كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، هي كلمات لا تتم النسبة المقصودة فيها من حصر الإلهية في الله إلا بمجموعها."²

ثم ذكر ابن عطية عن أبي العالية تفسيره للكلمة السواء بأنها كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهو مروي كذلك عن مجاهد بأنها (لا إله إلا الله).³

وقد نفى ابن عطية أن يكون تعارض بين ما فسرت به الكلمة باللحاق، وبين ما روي عن أبي العالية وكذلك مجاهد؛ لأن كلا القولين يتضمنهما معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وهذا الذي أشار إليه جمع من المفسرين منهم:

-أبو حيان بقوله: "والكلمة هي ما فسرت به بعد. وقال أبو العالية: لا إله إلا الله، وهذا تفسير المعنى."⁴

-ابن كثير بقوله: "والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ﴾ أي: عدل ونصف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ

بِهِ شَيْئًا﴾ لا وثناً، ولا صنماً، ولا صليباً ولا طاغوتاً، ولا ناراً، ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا

شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى:

¹ الدر المصون، ج3، ص231.

² تفسير البحر المحيط، ج2، ص506.

³ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج3، ص615.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج2، ص506.

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: 25] . وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: 36] .¹ النموذج الثاني: اللحاق وبيان معنى قوله تعالى: ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ .

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٦٦] ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 62-63] .

قال ابن عطية: "و﴿أَيْدِكَ﴾ معناه: قَوَاك، و﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: بالأنصار بقرينة قوله: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، وهذه إشارة إلى العداوة التي كانت بين الأوس والخزرج في حروب بعاث، فألف الله تعالى قلوبهم على الإسلام، وردَّهم متحابين في الله، وعددت هذه النعمة تائيساً لمحمد صلى الله عليه وسلم، أي كما لطف بك رُبُّكَ أولاً فكذلك يفعل آخراً."² الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذه الآية المقصود بقوله تعالى: ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ وبين أنهم الأنصار خاصة مستندا في ذلك إلى لحاق الآية حيث قال: "و﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ يريد: بالأنصار بقرينة قوله: ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ الآية."³

وقد أشار إلى هذا التفسير شيخ المفسرين ابن جرير الطبري حيث قال: "﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِبَصِيرَةٍ﴾ يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ ، يعني: بالأنصار."⁴

¹ تفسير القرآن العظيم، ج3، ص82-83.

² المحرر الوجيز، ج4، ص232.

³ المصدر نفسه، ج4، ص232.

⁴ جامع البيان، ج11، ص255.

ثم ساق بسنده عن السدي: ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ﴾ قال: بالأنصار.¹
وقد ذكر السيوطي أنه مروى عن ابن عباس، والنعمان بن بشير على أنه سبب نزول الآية حين قال:
"... عن النعمان بن بشير رضي الله عنه في قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية قال: نزلت
في الأنصار. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾
قال: هم الأنصار.²

وكذلك هو مروى عن مقاتل ابن سليمان بقوله: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ﴾ يعني: هو الذي
قَوَّكَ ﴿بِنَصْرِهِ﴾ يعني بجبريل عليه السلام وبمن معه، ﴿وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ من الأنصار يوم بدر.³
ثم ذكر ما يشير إلى السياق الذي استند إليه ابن عطية: فقال: "ثم ذكر الأنصار فقال: ﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ
قُلُوبِهِمْ﴾ بعد العداوة التي كانت بينهم."⁴

والسياق الذي عبّر عنه ابن عطية بـ"القرينة" واستند إليه في تفسيره وتعيينه للمؤمنين وتخصيصهم بالأوس
والخزرج، ذهب إليه كذلك جمع من المفسرين منهم: ابن جرير الطبري حيث قال: "يريد جل ثناؤه بقوله:
﴿وَأَلْفَ بَيْتٍ قُلُوبِهِمْ﴾: وجمع بين قلوب المؤمنين من الأوس والخزرج، بعد التفرق والتشتت، على دينه
الحق، فصيرهم به جميعاً بعد أن كانوا أشتاتاً، وإخواناً بعد أن كانوا أعداء."⁵

-أبو حيان حيث قال: "والمؤمنون هنا الأوس والخزرج وكان بين الطائفتين من العداوة للحروب التي جرت
بينهم ما كان لولا الإسلام لينقضي أبداً ولكنه تعالى من عليهم بالإسلام فأبدلهم بالعداوة محبة وبالتباعد

¹ جامع البيان، ج 11، ص 256.

² الدر المنثور، ج 7، ص 189.

³ تفسير مقاتل ابن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان-الطبعة الثانية:

1423هـ-2002م، ج 2، ص 124.

⁴ المصدر نفسه، ج 2، ص 124.

⁵ جامع البيان، ج 11، ص 256.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

قربا، ومعنى ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ على تأليف قلوبهم، واجتماعها على محبة بعضهم بعضا. وكونها في الأوس والخزرج تظاهر به أقوال المفسرين.¹

هذا، وقد ذهب ابن عطية إلى إمكانية حمل الآية على عموم المؤمنين؛ ذلك العموم الذي استحسنته بعدما ذكر أثرًا لابن مسعود على أنه سبب نزول الآية، لكنه جرى على قول جمهور المفسرين وبالاستناد إلى لحاق الآية، فقدم قول الجمهور وسياق الآية على سبب نزول الآية حيث قال: " وقال ابن مسعود: نزلت هذه الآية في المتحابين في الله، وقال مجاهد: إذا تراءى المتحابان فتصفاحا وتضحكا، تحاتت خطاياهم، فقال له عبدة بن أبي لبابة: إن هذا ليسير، فقال له: لا تقل ذلك، فإن الله يقول: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، قال عبدة فعرفت أنه أفقه مني.

قال القاضي أبو محمد: وهذا كله تمثُّلٌ حسن بالآية، لا أن الآية نزلت في ذلك، بل تظاهرت أقوال المفسرين أنها في الأوس والخزرج كما ذكرنا، ولو ذهب ذاهب إلى عموم المؤمنين في المهاجرين والأنصار، وجعل التأليف ما كان بين جميعهم من التحاب حتى تكون ألفة الأوس والخزرج جزءا من ذلك لساغ ذلك، وكل تألف في الله فتابع لذلك التألف الكائن في صدر الإسلام.²

إلا أن بعض المفسرين ذهب إلى حمل الآية على عموم المؤمنين، مستندا في ذلك إلى السياق الاجتماعي السائد في العرب آنذاك قبل الإسلام، وقد أشار إلى ذلك: -الشوكاني³ حيث قال: " وقال جمهور المفسرين: المراد: الأوس، والخزرج، فقد كان بينهم عصبية شديدة، وحروب عظيمة، فألف الله بين قلوبهم بالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل: أراد التأليف بين

¹ تفسير البحر المحيط، ج4، ص510.

² المحرر الوجيز، ج4، ص232-233.

³ محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني: فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد ببحرّة شوكان (من بلاد خولان، باليمن) سنة: 1173 هـ، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة: 1229هـ، ومات حاكما بها سنة: 1250هـ، له 114 مؤلفا، منها: (نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار)، (فتح القدير) في التفسير، (إرشاد الفحول) في أصول الفقه. الأعلام، ج6، ص298.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

المهاجرين والأنصار، والحمل على العموم أولى، فقد كانت العرب قبل البعثة المحمدية يأكل بعضهم بعضاً، ولا يحترم ماله، ولا دمه، حتى جاء الإسلام، فصاروا يدا واحدة، وذهب ما كان بينهم من العصبية، وجملة لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم مقررته لمضمون ما قبلها.¹

فلاحظ كيف قدم ابن عطية قول الجمهور المبني على السياق على غيره من الأقوال وحتى على ما ذكر أنه سبب لنزول الآية.

- النموذج الثالث: اللحاق وبيان معنى العموم في قوله تعالى: ﴿لِلنَّاسِ﴾

قال تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: 01].

قال ابن عطية: "وقوله تعالى: ﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ عام في جميع الناس وإن كان المشار إليه في ذلك الوقت كفار قريش، وبدل على ذلك ما بعده من الآيات."²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية أن المقصود ب(الناس) في هذه الآية هم جميع الناس، إلا أنه استدرك بذكر المشار إليهم وقت نزول الآيات بأنهم كفار قريش والدليل على ذلك ما بعده من الآيات، غير أنه لم ينص عليها وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ (٢) لَاهِيَةً قُلُوبِهِمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ (٣) قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤) بَلْ قَالُوا أَضْغَثُ أَحْلَمٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ [الأنبياء: 2-5]، فلاحظ كيف استند إلى لحاق الآية لبيان ما ذهب إليه في تحديد المخاطبين الذين نزلت فيهم الآيات، وقد أكد هذا الاختصاص وصرح به بقوله: "وقوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ وما بعده مختص بالكفار."³

¹ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد ابن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق- الطبعة الثانية: 1419هـ-1998م، ج 2، ص 369.

² المحرر الوجيز، ج 6، ص 151.

³ المحرر الوجيز، ج 6، ص 151.

وقد ذكر ذلك جمع من المفسرين منهم:

- مقاتل ابن سليمان بقوله: "﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾" نزلت في كفار مكة ﴿ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴾ لا يؤمنون به يعني بالحساب يوم القيامة، ثم نعتهم فقال سبحانه ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾...¹

- الألويسي قائلا: "﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾" روي عن ابن عباس كما قال الإمام، والقرطبي، والزمخشري أن المراد (بالناس) المشركون ويدل عليه ما ستسمعه بعد إن شاء الله من الآيات فإنها ظاهرة في وصف المشركين.²

وقد ذكر ابن الجوزي تفصيلا يمكن الجمع به بين العموم والخصوص بقوله: " وهذه الآية نزلت في كفار مكة... وقيل: ﴿ أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ ﴾ عام، والغفلة والإعراض خاص في الكفار، بدلالة قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ﴾ [الأنبياء:2]."³

النموذج الرابع: اللحاق وبيان المعنى بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب:38].

قال ابن عطية: " و﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ هم الأنبياء، بدليل وصفهم بعد بقوله: ﴿ الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب:39]."⁴

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج المقصودين بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ خَلَوْا ﴾ وبيّن أنهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، مستندا في ذلك إلى اللحاق في الآية بعدها، والمتمثل في وصف لهم ألا وهو تبليغ الرسالة، حيث

¹ تفسير مقاتل ابن سليمان، ج3، ص69.

² روح المعاني، الألويسي، ج9، ص04.

³ زاد المسير، ج5، ص339.

⁴ المحرر الوجيز، ج7، ص124.

قال: " و﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ هم الأنبياء، بدليل وصفهم بعد بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: 39].¹"

وقد ذهب إلى تفسير الآية استناداً إلى اللحاق كلاً من القرطبي، وأبي حيان، إلا أنهما لم ينسباها لابن عطية فقال القرطبي: " و﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ هم الأنبياء، بدليل وصفهم بعد بقوله: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾."²

وكذلك أبو حيان بقوله: " و﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ : الأنبياء، بدليل وصفهم بعد قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾."³

وقال ابن الجوزي: " و﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ : هم النبيون فالمعنى: أن سنة الله عز وجل في التوسعة على محمد فيما فرض له، كسنته في الأنبياء الماضين. قال ابن السائب: هكذا سنة الله في الأنبياء، كداود، فإنه كان له مائة امرأة، وسليمان كان له سبعمائة امرأة وثلاثمائة سُرَّة،... ثم أثنى الله تعالى على الأنبياء بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ أي: لا يخافون لائمة الناس وقولهم فيما أُجِّلَ لهم."⁴

إلا أن ابن عطية وهو بصدد بيان لحاق الآية لم يذكر تفسير هذا اللحاق ليتبين المراد أكثر، ونذكر هنا ما جاء في تفسيرها لابن سعدي في بيان ذلك بقوله: " هذا دفع لظعن من طعن في الرسول صلى الله عليه وسلم، في كثرة أزواجه، وأنه طعن، بما لا مطعن فيه، فقال: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: إثم وذنوب. ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ أي: قدر له من الزوجات، فإن هذا، قد أباحه الله للأنبياء قبله، ولهذا قال: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ أي: لا بد من وقوعه. ثم ذكر من هم الذين

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 124.

² الجامع لأحكام القرآن، ج 17، ص 164.

³ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 228.

⁴ زاد المسير، ج 6، ص 392-393.

من قبل قد خلوا، وهذه سنتهم وعاداتهم، وأنهم ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ﴾ فيتلون على العباد آيات الله، وحججه وبراهينه، ويدعونهم إلى الله ﴿وَيَحْشَوْنَهُ﴾ وحده لا شريك له ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾ إلا الله.

فإذا كان هذا، سنة في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها، أتم القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله، والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل محظور، دل ذلك على أنه لا نقص فيه بوجه... وعلم من هذا، أن النكاح، من سنن المرسلين.¹

وقد أجاد الإمام ابن عاشور حين فسر الآية وبين المقصود بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾ وأنهم الأنبياء مستندا في ذلك على السباق واللحاق بقوله: " والمراد بـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾: الأنبياء بقرينة سياق لفظ ﴿النَّبِيِّ﴾، أي: الذين خلوا من قبل النبوة، وقد زاده بيانا قوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ﴾، فالأنبياء كانوا متزوجين وكان لكثير منهم عدة أزواج، وكان بعض أزواجهم أحب إليهم من بعضهن... ثم إن جملة الذين يبلغون إلى آخرها يجوز أن تكون في موضع الصفة لـ ﴿خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾، أي الأنبياء. وإذا قد علم أن النبي صلى الله عليه وسلم متبع ما أذن الله له اتباعه من سنة الأنبياء قبله علم أنه متصف بمضمون جملة الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله بحكم قياس المساواة.² فنلاحظ كيف أن الإمام ابن عاشور وظف السياق سباقا ولحاقا في بيان معنى الآية، فاستعمل لفظة:

﴿النَّبِيِّ﴾ كسباق للآية المفسرة وسماها قرينة سياق، ثم أتبع ذلك باللحاق زيادة في البيان والتوضيح حيث قال: " والمراد بـ ﴿الَّذِينَ خَلَوْا﴾: الأنبياء بقرينة سياق لفظ ﴿النَّبِيِّ﴾، أي: الذين خلوا من قبل النبوة، وقد زاده بيانا قوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ﴾.³

¹ تيسير الكريم الرحمان، ص 666.

² التحرير والتنوير، ج 22، ص 41-42.

³ التحرير والتنوير، ج 22، ص 42.

- النموذج الخامس: اللحاق وبيان المراد بـ: ﴿الْإِنْسَانَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوَ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ [الزمر: 8].

قال ابن عطية: " الإنسان في هذه الآية يراد به الكافر بدلالة ما وصفه به آخرا من اتخاذ الأنداد لله تعالى، وقوله: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾¹.

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية تفسير لفظة الإنسان المساقاة في هذه الآية مستندا في ذلك إلى لحاقها، فقد ذكر أن المقصود بـ ﴿الْإِنْسَانَ﴾ فيها هو الكافر بدليل وصفه في آخر الآية من اتخاذ الأنداد وذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الزمر: 8]، وكذلك قوله تعالى: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾، وقد ذهب إلى هذا التفسير جمع من المفسرين مستنديين في ذلك إلى السياق منهم:

القرطبي حيث قال: " قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ يعني الكافر.²

ثم ذكر اللحاق الدال على ما ذهب إليه وهو قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ [الزمر: 9]، بقوله: " بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره.³

وكذلك أبو حيان بقوله: " الظاهر أن ﴿الْإِنْسَانَ﴾ هنا جنس الكافر.⁴ فقد استند على اللحاق كذلك كابن عطية قائلا: " ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾: أي تلذذ واصنع ما شئت قليلا، أي عمرا قليلا، والخطاب للكافر جاعل الأنداد لله. ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾: أي من سكانها المخلدين فيها.⁵

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 376.

² الجامع لأحكام القرآن، ج 18، ص 252.

³ المصدر نفسه، ج 18، ص 253.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج 7، ص 401.

⁵ المصدر نفسه، ج 7، ص 401.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

ثم انتقل إلى سياق آخر والمتمثل في اللحاق كذلك يؤكّد من خلاله ويقرر أن المقصود بالإنسان في الآية هو الكافر حين قال: "ولما شرح تعالى شيئاً من أحوال الظالمين الضّالّين المشركين أردفه بشرح أحوال المهتدين الموحدين فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِيْتُ ءَأَنَاءَ الْيَلِّ﴾ [الزمر:09]،... والظاهر أن الهمزة لاستفهام التقرير، ومقابله محذوف لفهم المعنى. والتقدير: أهذا القانت خير أم الكافر المخاطب بقوله ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ﴾ ويدل عليه قوله ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:09]."¹

وقد بين الشيخ ابن عثيمين في تفسيره لهذه الآية، أن المقصود بالإنسان فيها هو الكافر وصرح بلفظ السياق الدال على ذلك قائلا: "و﴿الْإِنْسَانَ﴾ المراد به الكافر، وإنما جعل هذا العام خاصاً لظاهر سياق الآية كما يتبين، وإلا فالأصل أن الإنسان من ألفاظ العموم، (فأل) فيه لاستغراق الجنس. وعلامة (أل) التي لاستغراق الجنس أن يحلّ محلها (كلّ) أي: كلّ إنسان، لكنه عام أريد به الخاص لقريئة السياق، فإن السياق يدل على ان المراد به الكافر؛ لأنه لا يمكن أن يتأتى ما يدل عليه السياق من مؤمن."²

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- تقديم ابن عطية لقول جمهور المفسرين المبني على السياق على غيره من الأقوال، حتى على ما ذكر أنه سبب لنزول الآية. كما في النموذج الثاني

- عدم التنصيص على الآيات المستند عليها في اللحاق كما في النموذج الثالث

- عدم التعرض لتفسير وبيان اللحاق لتوضيح المراد وتحلية المعنى أكثر كما في النموذج الرابع.

- اعتماد ابن عطية كثيراً على سياق اللحاق في التفسير، ويلاحظ ذلك في كثرة المواضع التي وظف فيها هذا الركن من السياق في تفسيره، وقد تعددت عباراته في استعمال اللحاق، ومن تلك العبارات قوله: (بقريئة الآية)، (هذه الآية وما بعدها)، (لأن الآية سياقها)، (وهذا لازم لقوله في الآية).³

¹ تفسير البحر المحيط، ج7، ص402.

² تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، سورة الزمر، طبعة: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى: 1436هـ، ص82، بتصرف يسير.

³ ينظر لمزيد من النماذج حول بيان المعنى باللحاق، المحرر الوجيز، (2/369، 24)، (3/19، 316، 497)، (4/95، 199، 219، 377)، (5/226)، (6/313، 495، 500)، (7/50، 74، 79، 300، 362)، (8/433، 437، 636).

المطلب الثالث: بيان المعنى بالسباق واللاحق:

لقد كان ابن عطية بالإضافة إلى توظيفه للسباق وحده، واللاحق كذلك على حدة في تفسيره للآيات؛ فإنه قد ضرب بالنصيب الأوفر في توظيف هذين الركنين مجتمعين في بيان معاني الآيات فقد كان للسياق سباقا ولاحقا الأثر الواضح في تفسيره، ويتبين ذلك من خلال النماذج التطبيقية الآتية:
النماذج التطبيقية:

- النموذج الأول: السباق واللاحق وبيان معنى قوله تعالى: ﴿لَكُمْ﴾.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]

قال ابن عطية: " و﴿لَكُمْ﴾ : معناه للاعتبار، ويدل على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر: الإحياء، والإماتة، والخلق، والاستواء إلى السماء وتسويتها.¹
الدراسة التحليلية:

في هذا النموذج بين ابن عطية المعنى المتعلق بقوله تعالى ﴿لَكُمْ﴾ وذكر أن معناه الاعتبار مستندا في ذلك إلى السياق سباقا ولاحقا، إلا أنه لم ينصص على هذا السياق وأشار إلى ما يدل عليه فقط فقال: " معناه للاعتبار، ويدل على ذلك ما قبله وما بعده من نصب العبر: الإحياء، والإماتة، والخلق، والاستواء إلى السماء وتسويتها.²

والمقصود بقوله " ويدل على ذلك ما قبله"³ مما فيه معنى الاعتبار والتفكر وما نصبه الله من الآيات الدالة على القدرة الإلهية وذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: 28]، ومقصوده بقوله " وما بعده"⁴ قوله تعالى:

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 162.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 162.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 162.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 162.

﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 29].

ولم يذكر ابن عطية جهة الاعتبار المرادة في الآيات، وقد ذكره جمع من المفسرين منهم: -الزمخشري¹ بقوله: " فإن قلت: من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الله، لأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر، أم على نعم جسام حقها أن تشكر ولا تكفر؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعا، لأن ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم. لكم لأجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم ودينكم. أما الانتفاع الدنيوي فظاهر. وأما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم، وما فيه من التذكير بالآخرة وبنواها وعقابها، لاشتماله على أسباب الأناج واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناجح والمراكب والمناظر الحسنة البهية، وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاه كالنيران والصواعق والسباع والأحناش والسموم والغموم والمخاوف.² -أبو حيان حيث قال: " ولكم: متعلق بخلق، واللام فيه، قيل: للسبب، أي لأجلكم ولانتفاعكم، وقدر بعضهم لاعتباركم. وقيل: للتمليك والإباحة، فيكون التمليك خاصا، وهو تمليك ما ينتفع الخلق به وتدعو الضرورة إليه. وقيل: للاختصاص، وهو أعم من التمليك، والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من أجله لأنه بما في الأرض يحصل الانتفاع الديني والدنيوي، فالديني: النظر فيه وفيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته ومن التذكير بالآخرة والجزاء، وأما الدنيوي: فظاهر، وهو ما فيه من المأكول والمشرب والملبس والمنكح والمركب والمناظر البهية وغير ذلك.³

¹ محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، أبو القاسم: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة (467هـ)، وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فللقب بجار الله، توفي سنة (538هـ) من أشهر كتبه (الكشاف) في تفسير القرآن، و(أساس البلاغة). الأعلام، ج7، 178.

² الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العبيكان-الرياض-الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م، ج1، ص24-249.

³ تفسير البحر المحيط، ج1، ص279.

النموذج الثاني: السباق واللاحق وبيان معنى (الثواب) في الآية.

قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: 145].

قال ابن عطية: " وقرينة الكلام تقتضي أنه لا يؤتى شيئاً من الآخرة، لأن من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له في الآخرة، والأعمال بالنيات، وقرينة الكلام في قوله ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ لا تمنع أن يؤتى نصيباً من الدنيا."¹

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا الموضوع بيان المعنى بالسباق واللاحق وقد عبر عن كل واحد منهما بـ " قرينة الكلام"²، فذكر وهو بصدد الكلام عن الثواب في الدنيا والآخرة فذكر أن مرید ثواب الدنيا بعمله لا شيء له في الآخرة؛ إذ كانت نيته طلب الدنيا فقط، مستدلاً على ذلك بالسباق حيث قال: " وقرينة الكلام تقتضي أنه لا يؤتى شيئاً من الآخرة، لأن من كانت نيته من عمله مقصورة على طلب الدنيا فلا نصيب له في الآخرة، والأعمال بالنيات"³.

ثم عقب ذلك بأن من أراد بعمله الآخرة فالله عزوجل يؤتيه نصيبه من الدنيا لا محالة، مستنداً في ذلك إلى اللاحق بقوله: " وقرينة الكلام في قوله ﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ﴾ لا تمنع أن يؤتى نصيباً من الدنيا."⁴

وقد ذكر هذا المعنى شيخ المفسرين ابن جرير الطبري دون ذكر لقرينة السياق بقوله: " يعني بذلك تعالى ذكره: من يرد منكم، أيها الناس، بعمله جزاءً منه، بعض أعراض الدنيا، دون ما عند الله جل وعز من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده، ﴿ نُؤْتِهِ ﴾ . يقول: نعطه ﴿ مِنْهَا ﴾ ، يعني: من الدنيا، يعني أنه يعطيه منها ما قسم له منها من رزق الله أيام حياته، ثم لا نصيب له في كرامة الله تبارك وتعالى التي أعدها

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص375.

² المصدر نفسه، ج2، ص375.

³ المصدر نفسه، ج2، ص375.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص375.

لمن أطاعه، وطلب ما عنده في الآخرة. ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ . يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ منكم بعمله جزاءً منه ﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ﴾ . يعني: ما عند الله من كرامته التي أَعَدَّهَا للعاملين له في الآخرة ﴿نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ . يقول: نعطه ﴿مِنْهَا﴾ ، يعني من الآخرة، والمعنى: من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة، فخرج الكلام على الدنيا والآخرة، والمعنى: ما فيهما... عن ابن إسحاق ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ ، أي: فمن كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة في الآخرة، نُؤْتِيهِ ما قسم له منها من رزق، ولا حظَّ له في الآخرة، ومن يرد ثواب الآخرة نُؤْتِيهِ ما وعده، مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه.¹

وقد أشار أبو حيان كذلك إلى هذا المعنى إلا أنه ذكر أقوالاً للمفسرين بأنها نزلت في غزوة أحد في الصحابة الذين تعجلوا الغنيمة ونزلوا من الجبل فوق ما وقع للمسلمين بقوله: " وظاهر التقسيم يقتضي اختصاص كل واحد بما أراد، لأن من كانت نيته مقصورة على طلب دنياه لا نصيب له في الآخرة، لكن من كانت نيته مقصورة على طلب الآخرة قد يؤتى نصيباً من الدنيا.

وللمفسرين فيها أقوال: نُؤْتِيهِ نصيباً من الغنيمة لجهاده الكفار، أو لم نحرمه ما قسمناه له إذ من طلب الدنيا بعمل الآخرة نُؤْتِيهِ منها، ﴿وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى:20]، أو هي خاصة في أصحاب أحد أو من أراد ثواب الدنيا بالتعرض لها بعمل النوافل مع مواجعة الكبائر جوزي عليها في الدنيا والآخرة.²

هذا، وقد تناول جمال الدين القاسمي³ تفسير الآية مع توظيف السياق كذلك، مع مراعاة ذكر ما وقع في غزوة أحد، ثم بيّن أنه وإن كان السياق في تلك الحادثة إلا أن العموم أولى بالحمل عليها فقال: " ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ أي بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا﴾ أي ما نشاء أن نُؤْتِيَهُ، ولم يكن له في الآخرة من

¹ جامع البيان، ج6، ص108.

² تفسير البحر المحيط، ج3، ص76-77.

³ جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي، الحلاق، ولد بدمشق سنة (1283هـ) وتعلم فيها، رحل إلى مصر، وزار المدينة المنورة، عكف في بيته على التصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة، في التفسير والتوحيد والحديث والأخلاق والتاريخ، توفي سنة (1332هـ). معجم المفسرين، ج1، ص127.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

نصيب، وهو تعريض بمن حضر لطلب الغنائم ﴿وَمَنْ يُرِدْ﴾ أي: بعمله ﴿ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا^ع وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ^ط فِي حَرْثِهِ^ط وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ^ط فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: 20]. وقوله سبحانه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ^ط فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ^ط جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴿ [الإسراء: 18-19] ، واعلم أن الآية، وإن كان سياقها في الجهاد ولكنها عامة في جميع الأعمال؛ وذلك لأن المؤثر في جلب الثواب أو العقاب هو النيات والدواعي، لا ظواهر الأعمال.¹

فلاحظ كيف أجاد القاسمي في تفسير الآية بتوظيف حدثها السياقي التاريخي لغزوة أحد، ثم توظيف سياق الاستعمال القرآني بذكر نظائر الآية التي تحمل نفس المعنى، ثم بيان أن الآية عامة في جميع الأعمال دون قصرها على الجهاد في سبيل الله.

النموذج الثالث: السباق واللحاق وبيان معاني إنهزام (فرعون) من خلال الآيات.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ^ط إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ (٣٧) وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ^ط وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ^ط وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 26-28].

قال ابن عطية: "الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرت آيات موسى عليه السلام أخذ ركنه، واضطربت معتقدات أصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره، وذلك بين من غير ما موضع من قصتهما،

¹ محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمين تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة

الثانية: 1424هـ-2003م، ج2، ص424.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وفي هذه الآية على ذلك دليان: أحدهما قوله: ﴿ذُرُوبِي أَقْتَلْ مُوسَى﴾، فليست هذه من ألفاظ الجبارة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم، والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مساترته، وحكمه بنبوّة موسى عليه السلام أظهر من توريته في أمره.¹

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج الصورة التي آلت إليه حالة فرعون من الانهزام والتقهر، الذي لحقه وقومه بسبب الآيات الباهرة التي جاء بها موسى عليه السلام، وقد استند ابن عطية في تصوير هذه الحالة إلى السياق سباقا ولحاقا معبرا عنهما بالدليل، نصّ على الدليل الأول الذي هو السباق بالآية مباشرة، حيث قال: " وفي هذه الآية على ذلك دليان: أحدهما قوله: ﴿ذُرُوبِي أَقْتَلْ مُوسَى﴾، فليست هذه من ألفاظ الجبارة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم."²

ثم أشار إلى الدليل الثاني دون التنصيص على الآية التي تعتبر لحاقا بقوله: " والدليل الثاني: مقالة المؤمن وما صدع به، وأن مكاشفته لفرعون أكثر من مساترته، وحكمه بنبوّة موسى عليه السلام أظهر من توريته في أمره."³

ونذكر هنا هذا اللحاق للتوضيح، وإكمال الاستشهاد؛ لتجلية المعنى السياقي أكثر، وهو مقالة مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: 28].

قال ابن كثير في تفسيره هذا المعنى الذي أشار إليه ابن عطية من ضعف أمر فرعون بدليل مقالة هذا المؤمن فقال: " وقد كان هذا الرجل يكتُم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون: ﴿ذُرُوبِي أَقْتَلْ مُوسَى﴾، فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل، و"أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 435.

² المصدر نفسه، ج 7، ص 435.

³ المصدر نفسه، ج 7، ص 435.

جائر¹، كما ثبت بذلك الحديث، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: ﴿أَنْقُتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر: 28].²

النموذج الرابع: السباق واللحاق وبيان معاني قدرة الله الموجبة لتوحيده.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23].

قال ابن عطية: "وقوله تعالى: وإنا لنحن نحيي ونميت الآيات، هذه الآيات مع الآيات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته، فمعنى هذه: وإنا لنحن نحيي من نشاء بإخراجه من العدم إلى وجود الحياة، ويرده عند البعث من مرقدته ميتا، ونميت بإزالة الحياة عمن كان حيا، ونحن الوارثون، أي لا يبقى شيء سوانا، وكل شيء هالك إلا وجهه لا رب غيره."³

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج دلائل قدرة الله عزوجل، وقد استند لجمع هذه الآيات وبيان معانيها إلى السياق سباقا ولحاقا، فذكر اللحاق وهو قوله تعالى ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ [الحجر: 23]. ثم أشار إلى السباق دون تنصيص عليه كذلك هنا فعبّر عن ذلك بقوله: "هذه الآيات مع الآيات التي قبلها تضمنت العبرة والدلالة على قدرة الله تعالى وما يوجب توحيده وعبادته."⁴

ونذكر اللحاق هنا كذلك تنصيحا عليه وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ ١٦ ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ١٧ ﴿إِلَّا مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ، شِهَابٌ مُبِينٌ﴾ ١٨ ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ ١٩ ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرِزْقِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾

¹ كما جاء في الحديث الذي أخرجه أبو داود في سننه رقم: 4344، في باب: الأمر والنهي، وابن ماجه

برقم: 4011، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من حديث أبي سعيد أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر".

² تفسير القرآن العظيم، ج 12، ص 186.

³ المحرر الوجيز، ج 5، ص 285.

⁴ المصدر نفسه، ج 5، ص 285.

﴿ ٢١ ﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَّاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِمُخَزِنِينَ ﴿ [الحجر: 16-22].

وقد لخص ابن عاشور هذه المعاني ضمن السباق واللحاق بقوله: " لَمَّا جَرَى الْكَلَامُ السَّابِقُ فِي شَأْنِ تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ بِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا تَوَرَّكُوا بِهِ فِي ذَلِكَ، وَكَانَ الْأَصْلُ الْأَصِيلُ الَّذِي بَنُوا عَلَيْهِ صِرْحَ التَّكْذِيبِ أَصْلَيْنِ هُمَا إِبْطَالُهُ إِلهِيَّةُ أَصْنَامِهِمْ، وَإِثْبَاتُهُ الْبَعْثُ، انْبَرَى الْقُرْآنُ بَيْنَ لَهُمْ دَلَائِلُ تَفْرُدُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِلهِيَّةِ، فَذَكَرَ الدَّلَائِلَ الْوَاضِحَةَ مِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ أَعْقَبَهَا بِدَلَائِلِ إِمْكَانِ الْبَعْثِ مِنْ خَلْقِ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَانْقِرَاضِ أُمَّمٍ وَخَلْفِهَا بِأُخْرَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ مُخِيءٌ وَنَمِيتٌ وَمُخَنُّ الْوَارِثُونَ ﴾ [الحجر: 23] الْآيَةِ، وَصَادَفَ ذَلِكَ مَنَاسِبَةَ ذِكْرِ أَبْوَابِ السَّمَاءِ فِي تَصْوِيرِ غُلُوبَاتِهِمْ بَعْنَادِهِمْ، فَكَانَ الْإِنْتِقَالَ إِلَيْهِ تَخْلُصًا بِدِيْعَاءٍ، وَفِيهِ ضَرْبٌ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ عَلَى مَكَابِرَتِهِمْ فَإِنَّهُمْ لَوْ أَرَادُوا الْحَقَّ لَكَانَ لَهُمْ فِي دَلَالَةِ مَا هُوَ مِنْهُمْ غَنِيَةٌ عَنِ تَطَلُّبِ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ، وَالْخَبْرُ مُسْتَعْمَلٌ فِي التَّذْكِيرِ وَالْإِسْتِدْلَالِ لِأَنَّ مَدْلُولَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ مَعْلُومٌ لَدَيْهِمْ.¹

النموذج الخامس: السباق واللحاق وبيان اتصال معنى الآيات.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ [غافر: 11].

قال ابن عطية: " وهذه الآية يظهر منها أن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَدَعُونَ إِلَى الْأَيْمَنِ فَتَكْفُرُونَ ﴾ وليس الأمر كذلك، بل الآيتان متصلتا المعنى، وذلك أن كفرهم في الدنيا كان أيضا بإنكارهم البعث واعتقادهم أنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم أنفسهم إنما عظّمه، لأن هذا المعتقد كذبهم، فلما تقرر مقتهم لأنفسهم ورأوا حزيا طويلا عريضا، رجعوا إلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث، وخرج الوجود مقترنا بعذابهم، فأقرّوا به على أتم وجوهه، أي: قد كنا كفرنا بإنكارنا البعث، ونحن اليوم نُقرُّ أنك أحييتنا اثنتين وأمّتنا اثنتين.²

الدراسة التحليلية:

¹ التحرير والتنوير، ج 14، ص 27.

² المحرر الوجيز، ج 7، ص 426.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

يظهر من خلال هذا النموذج مدى اعتناء ابن عطية بالسياق سباقا ولحاقا، خاصة وقد ذكر أنه قد يظهر من الآية الانقطاع في المعنى عما سبقها مما لا ينبغي أن يكون، حيث قال: " وهذه الآية - يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا آتَيْنِي وَأَحْيَيْتَنَا آتَيْنِي فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: 11] - يظهر منها أن معناها منقطع من معنى قوله تعالى: ﴿ إِذْ نَادَعَوْكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكَفَّرُونَ ﴾ [غافر: 10]."¹

ثم استدرك بذكر اتصال المعنى الذي يدل عليه السباق والذي لم ينصص عليه هنا كذلك، بل اكتفى بذكر معناه فقط فقال: " وليس الأمر كذلك، بل الآيتان متصلتا المعنى."²

ونذكر السباق هنا كذلك تنصيحا عليه، للتوضيح أكثر وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقَّتْ لَٰهُ أَكْبَرُ مِنْ مَّقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ نَادَعَوْكَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكَفَّرُونَ ﴾ [غافر: 10]

وفي الأخير ذكر هذا الارتباط في المعنى بين السباق واللحاق مفسرا الآيات بما يجمع بينهما بقوله: " وذلك أن كفرهم في الدنيا كان أيضا بإنكارهم البعث واعتقادهم أنه لا حشر ولا عذاب، ومقتهم أنفسهم إنما عظّمه، لأن هذا المعتقد كذبهم، فلما تقرر مقتهم لأنفسهم ورأوا خزيا طويلا عريضا، رجعوا إلى المعنى الذي كان كفرهم به وهو البعث، وخرج الوجود مقترنا بعذابهم، فأقروا به على أتم وجوهه، أي: قد كنا كفرنا بإنكارنا البعث، ونحن اليوم نُقر أنك أحييتنا اثنتين وأمّتنا اثنتين."³

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- استعماله لمصطلح (ما قبل وما بعد) للتعبير عن السياق سباقا ولحاقا.
- توظيف لاصطلاح (قرينة الكلام) للتعبير عن السياق كما في النموذج الثاني.
- التعبير عن السباق واللحاق بـ (الدليل) كما في النموذج الثالث.
- التنصيص على الآية التي تُعتبر سباقا أو لحاقا، وتارة يكتفي بالإشارة إليها بذكر تفسيرها فقط.

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 426.

² المصدر نفسه، ج 7، ص 426.

³ المصدر نفسه، ج 7، ص 426-427.

المبحث الثالث: السياق الداخلي واستنباط المعاني:

إن تفسير ابن عطية تفسير أعمل فيه جهده لاستحضار المعاني، مستعينا في ذلك بشتى الدلالات، فلم يدخر جهدا لاستعمال كل الطرق والوسائل للغوص في معاني القرآن، واستخراج درر التفسير، وقد كان للسياق الداخلي دورا مهما في عملية الاستنباط عنده؛ لذلك نبين في هذا المبحث كيف كان للسياق الداخلي أثرا في ذلك من خلال النماذج التطبيقية وذلك بعد التعرّيج على مفهوم الاستنباط:

المطلب الأول: مفهوم الاستنباط

- الاستنباط لغة:

الاستنباط وزنٌ استفعال من نَبَطَ، والألف والسين والتاء زائدة لمعنى الطلب، وأصل الفعل (نَبَطَ) جا في مقاييس اللغة: "النون والباء والطاء، كلمة تدل على استخراج شيء. واستنبطت الماء: استخرجته، والماء نفسه إذا استُخرج نَبَطَ. ويقال: إن النَبَطَ سُمُّوا به لاستنباطهم المياه." ¹ وفي تهذيب اللغة: "قال الليث: النَّبَطُ: الماء الذي يَنْبُطُ من قعر البئر إذا حُفرت؛ وقد نَبَطَ ماؤها يَنْبُطُ نَبْطًا ونُبُوطًا وأنْبَطنا الماء، أي: استنبطناه وانتهينا إليه... واستنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه. وقال الله تعالى: ﴿لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: 83]، وقال الزجاج: معنى يستنبطونه في اللغة: يستخرجونه." ²

وفي الصحاح: "نَبَطَ الماءُ يَنْبُطُ وَيَنْبُطُ نبوطا: نَبَعَ. وأنبط الحفار: بلغ الماء. والاستنباطُ: الاستخراج." ³ وفي لسان العرب: "نبط: النبط: الماء الذي ينبط [ينبط] من قعر البئر إذا حُفرت، وقد نبط ماؤها ينبط وينبط نبطا ونبوطا، وأنبطنا الماء أي استنبطناه وانتهينا إليه... وكل ما أظهر، فقد أنبط، واستنبطه واستنبط منه علما وخبرا ومالا: استخرجه، والاستنباط: الاستخراج، واستنبط الفقيه إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه." ⁴

¹ معجم مقاييس اللغة، ج5، ص381.

² تهذيب اللغة، ج13، ص370.

³ الصحاح، ج3، ص1162.

⁴ لسان العرب، ج7، ص418.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

وفي تاج العروس: " وكل ما أظهر بعد خفاء فقد أنبط، واستنبط، وفي البصائر: وكل شيء أظهرته بعد خفائه فقد أنبطه واستنبطته." ¹

تبين من خلال النصوص اللغوية السابقة أن الاستنباط فيه معنى الاستخراج والإظهار، وإبراز ما هو في الباطن حسياً كان أو معنوياً، بعدما كان ذلك الشيء خفياً غامضاً، ويصاحب ذلك الذكاء، كاستخراج الماء من البئر ففيه معالجة بذكاء وفطنة، خاصة إذا كان الماء قليلاً فيحتاج إلى ذكاء للحصول عليه وإدارة الدلو بتقنيات معينة تُمكن من الحصول عليه والظفر به.

- الاستنباط اصطلاحاً:

بناء على التعريف اللغوي من أن الاستنباط هو استخراج المعاني وتوضيحها بعد خفائها وغموضها، وذلك باستعمال الذكاء وقوة الفكر؛ يكون التعريف الاصطلاحي له كالآتي:

ففي التعريفات: " الاستنباط: اصطلاحاً: استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن، وقوة القريحة." ³ وبما أننا نتكلم عن الاستنباط في علم التفسير وعلوم القرآن؛ فينبغي أن نشير إلى هذا الاصطلاح علماء التفسير وعلوم القرآن:

فقد تكلم الزركشي عن الاستنباط من القرآن الكريم في كتابه (البرهان في علوم القرآن)، النوع الثاني والثلاثين: معرفة أحكامه حيث قال: " ثم هو قسمان: أحدهما: ما صرح به في الأحكام؛ وهو كثير وسورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام مشتملة على كثير من ذلك.

والثاني: ما يؤخذ بطريق الاستنباط. ثم هو على قسمين:

أحدهما: ما يستنبط من غير ضمنية إلى آية أخرى.

والثاني: ما يستنبط مع ضمنية آية أخرى، كاستنباط علي وابن عباس رضي الله عنهما أن أقل الحمل ستة

أشهر من قوله تعالى: ﴿ وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ [الأحقاف: 15] مع قوله: ﴿ وَفِصْلُهُ فِي

¹ تاج العروس، ج20، ص133.

³ التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: 1424هـ-2002م،

عَامِينَ ﴿ [لقمان: 14]؛ وعليه جرى الشافعي واحتج بها أبو حنيفة على أن أكثر الرضاع سنتان ونصف ثلاثون شهرا.¹

وذكر السيوطي كذلك في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) "النوع الخامس والستين: في العلوم المستنبطة من القرآن الكريم."²

وعرفه الزمخشري: "الاستنباط ما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يُعْضَل ويهم."⁴

وعرفه الرازي: "استنبط الفقيه: إذا استخرج الفقه الباطن باجتهاده وفهمه."⁵

وقال ابن القيم: "الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن يخفى على غير مستنبطه."⁶

فظهر لنا أن الاستنباط هو استخراج المعاني الغامضة من النصوص، والتي تخفى معانيها على غير المستنبط بحيث يعمل المفسر فكره في إظهارها بجهد وذكاء عن طريق التأمل والتدبر في المعنى، ويربط الكلام بعضه ببعض بطرق الربط الصحيحة.

المطلب الثاني: مراحل الاستنباط وأدواته:

إن المفسر يبدأ بتفسير ألفاظ القرآن وبيان المراد منها؛ إمّا مطابقة أو تضمناً، وهذا من باب دلالة اللفظ في محل النطق، والمعبر عنه عند الأصوليين بالمنطوق، وبعد أن تثقُر الفاظ الآية بحسب منطوقها، ينتقل إلى تقرير معانيها بحسب لازمها، وهذا من باب دلالة اللفظ في غير محل النطق، وهو المعبر عنه عند الأصوليين بالمفهوم.

¹ البرهان في علوم القرآن، ص332.

² الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، طبعة: مجمع الملك فهد، -المملكة العربية السعودية- تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة: 1434هـ-2013م، (5/1906).

⁴ الكشاف للزمخشري، ج2، ص117.

⁵ مفاتيح الغيب، ج10، ص205.

⁶ أعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية-بيروت- دط، 1417هـ-1996م، ج1، ص172.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

ففي النوع الأول: يسلك المفسر كل طرائق الاستنباط والاستدلال الأصولية المعروفة، من إعمال الدلالات اللفظية مطابقة وتضمنا، وفي النوع الثاني: يُعمل ما يتعلق بدلالة اللفظ في غير محل النطق. وهذا هو الاستنباط عند المفسرين.¹

نستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن عملية الاستنباط من النص القرآني تمر بمراحل:

- مرحلة تفسير اللفظ الظاهر وبيان معناه المتبادر الواضح والذي يكون قاعدة إنطلاقية لعملية الاستنباط.
- مرحلة التدبر والتأمل وإعمال الفكر في فهم النص القرآني والذي تخفى معانيه على غير المتأمل المستنبط.
- الاعتماد على الطرائق المعروفة الصحيحة عند العلماء في الدلالة على المعنى، واستنباطه وفق هذه القواعد فيكون حينئذ الاستنباط: " استخراج دلالة الآية على الشيء بالطرائق المقررة عند الأصوليين."²

- ربط المعنى المستنبط بمدلول الآية دون إغراب عنها وخروج عن سياقها، وذلك في شتى المواضيع القرآنية فالاستنباط: " ربط كلام له معنى بمدلول الآية، بأي نوع من أنواع الربط، كأن يكون بدلالة إشارة أو دلالة مفهوم، أو غيرها... وقد يكون استنباط حكم فقهي أو أدب تشريعي، أو استنباط أدب أخلاقي في معاملة الناس، أو يكون استنباط فوائد تربوية تتعلق بتزكية النفوس، أو يكون استنباط فائدة علمية."³

المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والاستنباط:

قبل الكلام عن الفرق بين التفسير والاستنباط ينبغي أن نشير إشارة موجزة إلى مفهوم التفسير ليتضح الفرق، فالتفسير لغة: وزن تفعيل، من الفعل (فَسَّرَ) جاء في معجم مقاييس اللغة: " الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه."⁶

¹ الاستنباط عند المفسرين، محمد بن عمر بازمول، ص 19-20.

² المصدر نفسه، ص 9.

³ مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1427هـ، ص 161.

⁶ معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 504.

وفي القاموس: " الفسر: الإبانة، وكشف المغطى، كالتفسير."¹

وقال الراغب: " الفَسْرُ: إظهار المعنى المعقول."²

فيتضح أن التفسير في اللغة فيه معنى الإيضاح، والبيان، والكشف، والإظهار.

التفسير اصطلاحاً: لقد تعددت تعاريف العلماء للتفسير اصطلاحاً وكل واحد نظر إلى جانب من جوانب علوم القرآن بنى عليه تعريفه³ وقد تحاشيت ذكرها خشية الإطالة، ولعل أوجز تعريف للتفسير وبه يتم

الغرض هو تعريف الشيخ ابن عثيمين حيث قال: " التفسير: بيان معاني القرآن الكريم."⁴

وقبل التطرق للفرق بين التفسير والتأويل ينبغي التنبيه إلى أنه يوجد وجه اتفاق بينهما من جهة النص؛

فكلاهما يعالج النص القرآني ويدور عملهما في فلك بيان المعاني، ولكن يتضح مما سبق من المعنى اللغوي

والاصطلاحى للاستنباط، وبيان مراحل وطريقته أن هناك فرقا بين التفسير والاستنباط، وقد أشار إلى ذلك

ابن القيم فقال: " وقد مدح الله تعالى أهل الاستنباط في كتابه وأخبر أنهم أهل العلم؛ ومعلوم أن الاستنباط

إنما هو استنباط المعاني والعلل ونسبة بعضها إلى بعض، فيعتبر ما يصح منها بصحة مثله ومشبهه ونظيره،

ويلغى ما لا يصح، هذا الذي يعقله الناس من الاستنباط... ومعلوم أن ذلك قدر زائد على مجرد فهم

اللفظ، فإن ذلك ليس طريقة الاستنباط؛ إذ موضوعات الألفاظ لا تنال بالاستنباط، وإنما تنال به العلل

والمعاني والأشباه والنظائر ومقاصد المتكلم... ويوضحه أن الاستنباط استخراج الأمر الذي من شأنه أن

يخفى على غير مستنبطه."⁵

¹ القاموس المحيط، الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث-مؤسسة الرسالة-إشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، 1426هـ-2005م، ص456.

² معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص287.

³ لمعرفة التعاريف والتفصيل فيها ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من العلماء المتخصصين، إشراف:

محمد حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية-مصر-، دط، 1423هـ-2002م، ص241

⁴ أصول في التفسير، ابن عثيمين، المكتبة الإسلامية، -عين شمس-السعودية-الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م، ص23.

⁵ أعلام الموقعين عن رب العالمين، مصدر سابق، ج1، ص172.

فنستخلص مما سبق أن هناك فرقا بين التفسير والاستنباط في النقاط الآتية:

- الاستنباط يكون لما خفي من المعاني ولم يظهر فيشترط فيه خفاء، بخلاف التفسير فقد يكون المعنى ظاهر وواضح من اللفظ.

- التفسير مرحلة من مراحل الاستنباط التي يمر عليها، فينبغي للمستنبط معرفة المعنى الواضح الظاهر أولا ثم ينطلق في استخراج المعنى الخفي من الآية.

- الاستنباط يكون عن طريق التدبر والتأمل وبذل الجهد وإعمال الفكر، بخلاف التفسير فقد لا يتطلب ذلك.

- الاستنباط عملية متواصلة مع القرآن الكريم جيلا بعد جيل لأنه متعلق باستخراج المعاني الخفية والعلل، بخلاف التفسير الذي يعنى بالألفاظ فقد ضبط أمره علماء التفسير.

وقد كان لابن عطية النصيب الوافر من عملية الاستنباط بشتى طرائقها وأنواعها ودلالاتها، والغوص في معاني الآيات واستخراج ما خفي منها ومن بين الدلالات الموظفة في الاستنباط عنده؛ دلالة السياق؛ فقد كان للسياق تأثيرا في عملية الاستنباط عنده، ويتجلى ذلك من خلال النماذج التطبيقية التالية:

النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق واستنباط حكم عقدي: (الولاء والبراء)

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ۗ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ۗ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ۗ ﴾ [النساء: 44-45]

قال ابن عطية: "وهذه الآية وما بعدها تقتضي توبيخا للمؤمنين على استنمامة قوم منهم إلى أحبار اليهود

في سؤال عن دين، أو في موالاة، أو ما أشبه ذلك، وهذا بين في ألفاظها، فمن ذلك:

﴿ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا ﴾، أي: تدعوا الصواب في اجتنابهم، وتحسبهم غير أعداء، والله اعلم بهم.¹

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص570.

الدراسة التحليلية:

بيّن ابن عطية في هذا النموذج حكماً تفسيريًا عقدياً استنبطه من الآية وهو عدم الخضوع والركون للكفار وسؤالهم عن أمور الدين، وموالاتهم، وهذا الحكم لم يأت التصريح به، ولكن فهمه من لفظها وسياقها، وبالتحديد لحاق الآية، فقال: "وهذه الآية وما بعدها تقتضي توبيخاً للمؤمنين على استنامة قوم منهم إلى أحبار اليهود في سؤال عن دين، أو في موالاته، أو ما أشبه ذلك".¹ منطلقاً قبل ذلك من لفظ الآية حيث قال مشيراً إلى الآية "وهذه الآية" يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء:44]، ثم قال: "وهذا بين في ألفاظها، فمن ذلك: ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا﴾، أي: تدعوا الصواب في اجتنابهم، وتحسبوهم غير أعداء، والله أعلم بهم".² وقد أشار إلى اللحاق بقوله: "وما بعدها" وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء:45] وبذكرة لهذا اللحاق تم له الاستنباط، إلا أنه لم يشر إلى تفسيرها بما به يتضح الحكم وتكتمل صورته. وقد أشار إلى ذلك جمع من المفسرين منهم: -الطبري بقوله: "وهذا من الله تعالى ذكره تحذير منه عباده المؤمنين، أن يستنصحووا أحداً من أعداء الإسلام في شيء من أمر دينهم، أو أن يسمعوا شيئاً من طعنهم في الحق. ثم أخبر الله جل ثناؤه عن عداوة هؤلاء اليهود الذين نهى المؤمنين أن يستنصحوهم في دينهم إياهم، فقال جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾، يعني بذلك تعالى ذكره: والله أعلم منكم بعداوة هؤلاء اليهود لكم، أيها المؤمنون. يقول: فانتهاوا إلى طاعتي فيما نهيتكم عنه من استنصاحهم في دينكم، فإني أعلم بما هم عليه لكم من الغش والعداوة والحسد، وأنهم إنما ييغونكم الغوائل، ويطلبون أن تضلوا عن محجة الحق فتهلكوا.

وأما قوله: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾، فإنه يقول: فبالله، أيها المؤمنون، فثقوا، وعليه فتوكلوا، وإليه فارغبوا، دون غيره، يكفكم مهمكم، وينصركم على أعدائكم؛ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾، يقول: وكفاكم

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص570.

² المصدر نفسه، ج2، ص570.

وحسبكم بالله ربكم وليا يليكم ويلي أموركم بالحياطة لكم، والحراسة من أن يستفزكم أعداؤكم عن دينكم، أو يصدوكم عن اتباع نبيكم ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ ، يقول: وحسبكم بالله ناصرًا لكم على أعدائكم وأعداء دينكم، وعلى من بغاكم الغوائل، وبغى دينكم العوج.¹

-البغوي حيث قال: " ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ﴾ منكم فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم، ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ قال الزجاج: معناه اكتفوا بالله وليا واكتفوا بالله نصيرا.²

النموذج الثاني: السياق واستنباط حكم عقدي: (توحيد الله)

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تُفْقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: 31-32].

قال ابن عطية: " وقوله تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ الآية. يقول: فهذا الذي هذه صفاته ربكم الحق، أي: المستوجب للعبادة والألوهية، وإذا كان ذلك فتشريك غيره ضلال وغير حق، وعبارة القرآن في سوق هذه المعاني تفوت كل تفسير براعة وإيجازا وإيضاحا، وحكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله.³

¹ جامع البيان، ج 7، ص 100-101.

² معالم التنزيل، ج 5، ص 230.

³ المحرر الوجيز، ج 4، ص 477، 478.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج كذلك تأثير السياق في عملية الاستنباط عنده، وقد أشار إلى السياق بقوله: " فهذا الذي هذه صفاته ربكم¹، مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس:31]،

فهذه صفات الربوبية التي استوجبت توحيدته في ألوهيته، ثم أشار إلى أن هذه المعاني انسقت في عبارات بالغة في الفصاحة والإيجاز حيث قال: " وعبرة القرآن في سوق هذه المعاني تفوت كل تفسير براعة وإيجاز وإيضاحاً. " ²

ثم ذكر الحكم المستنبط من خلال ما سبق من السياق وتساوق عبارات القرآن فقال: " وحكمت هذه الآية بأنه ليس بين الحق والضلال منزلة ثالثة في هذه المسألة التي هي توحيد الله. " ³ فبين أنه لا توجد مرتبة بين الحق والباطل، وبين الشرك والتوحيد مما قد يتمسك به من يعبد الله على حرف، أو ممن يخلط الحق بالباطل فيعبد الله ويعبد غيره معه ويجعل ذلك من مراتب الدين، وقد أشار إلى هذا الأصل بعض المفسرين منهم:

- أبو حيان حيث قال: " ﴿ فَذَلِكُمْ ﴾ إشارة إلى من اختص بالأوصاف السابقة، الحق الثابت الربوبية المستوجبة للعبادة، واعتقاد اختصاصه بالألوهية لا أصنامكم المربوبة الباطلة، و(ماذا) استفهام معناه النفي، ولذلك دخلت (إلا) وصحبه التقرير والتوبيخ، كأنه قيل: ما بعد الحق إلا الضلال، فالحق والضلال لا واسطة بينهما، إذ هما نقيضان، فمن يخطيء الحق وقع في الضلال. " ⁴

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص477.

² المصدر نفسه، ج4، ص478.

³ المحرر الوجيز، ج4، ص477، 478.

⁴ تفسير البحر المحيط، ج5، ص156.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وقال ابن جزري¹: " وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة في علم الاعتقادات، إذ الحق فيها في طرف واحد."²

النموذج الثالث: السياق واستنباط حكم تربوي تعليمي.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَائِلِينَ﴾ [يوسف:07].

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿لِّسَائِلِينَ﴾ يقتضي حصًّا ما على تعلم هذه الأنبياء، لأنه إنما المراد: " آية للناس"، فوصفهم بالسؤال إذ كل واحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص، إذ هي مقر العبر والاتعاظ.³

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج حكما تفسيريا استنباطيا اعتمد فيه على السياق وبالتحديد لحاق الآية وهو قوله تعالى: ﴿لِّسَائِلِينَ﴾ ثم ذكر مدى تأثير هذه الآية فيما سيستنبطه بقوله: " يقتضي حصًّا ما على تعلم هذه الأنبياء."⁴، ثم ذكر وجه الاستنباط من خلال لفظة السؤال الواردة في اللحاق عندما قال: " فوصفهم بالسؤال إذ كل واحد ينبغي أن يسأل عن مثل هذه القصص، إذ هي مقر العبر والاتعاظ."⁵

¹ محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزري الكلبي، أبو القاسم: فقيه من العلماء بالأصول واللغة. من أهل غرناطة. ولد سنة (693هـ)، كان على طريقة مثلي من العكوف على العلم والاشتغال بالنظر والتقييد مشاركا في فنون من عربية وفقه وأصول وأدب وحديث، تقدم خطيبا ببلده على حداثة سنة فاتفقوا على فضله، توفي سنة (741هـ)، من كتبه: (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية)، و(تقريب الوصول إلى علم الأصول)، و(الفوائد العامة في لحن العامة)، و(التسهيل لعلوم التنزيل). ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعين ضان، طبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية-الهند-، الطبعة: الثانية، 1392هـ-1972م، ج5، ص88. والأعلام، ج5، ص325.

² التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزري، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الأولى 1415هـ-1995م، ج1، ص380.

³ المحرر الوجيز، ج5، ص44.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص44.

⁵ المحرر الوجيز، ج5، ص44.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

وقد وضع ابن جزى ذلك بقوله: " ﴿ءَايَاتُ لِّلسَّالِئِينَ﴾ [يوسف:07] أي: لمن سأل عنها، روي أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها، فهم السائلون على هذا، واللفظ أعم من ذلك.¹

وقال ابن عاشور مبينا هذا المعنى: "والسائلون: مراد منهم من يتوقع منه السؤال عن المواعظ والحكم كقوله تعالى: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٌ لِّلسَّالِئِينَ﴾ [سورة فصلت: 10]. ومثل هذا يستعمل في كلام العرب للتشويق، والحث على تطلب الخبر والقصة.²

وهذا الذي استنبطه ابن عطية فيه حث على تعلم القصص القرآني والسؤال عن ذلك والحض عليه، مما فيه العبرة ومحل الاعتبار.

النموذج الرابع: السياق واستنباط حكم في: (القصص القرآني)

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾ [المؤمنون:26].

قال ابن عطية: " ثم إن نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وإن كان دعاؤه في هذه الآية ليس بنص، وإنما هو ظاهر من قوله: ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾، فهو يقتضي طلب العقوبة، وأما النصرة بمجردا فكانت تكون بردهم إلى الإيمان.³

الدراسة التحليلية:

بين ابن عطية في هذا النموذج أمرا صدر من نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لم يأت التنصيص عليه في الآية؛ وإنما هو مستنبط من السياق، وهو دعاؤه على قومه بالهلاك والعقوبة؛ فقال: " ثم إن نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يئس منهم وإن كان دعاؤه في هذه الآية ليس بنص، وإنما هو ظاهر من قوله:

¹ التسهيل لعلوم التنزيل، ج1، ص410.

² التحرير والتنوير، ج12، ص219.

³ المحرر الوجيز، ج6، ص290.

﴿يَمَّا كَذَّبُونَ﴾¹ وهذا هو لحاق الآية الذي استند إليه ابن عطية فيما ذهب إليه، ثم بين وجه الدلالة من هذا اللحاق فيما استنبطه بقوله: "فهو يقتضي طلب العقوبة، وأما النصره بمجرد ما كانت تكون بردهم إلى الإيمان."²

وقد أجاد ابن عاشور في بيان هذا المعنى المستنبط مستندا في ذلك إلى سباق الآية ولحاقها جميعا مفسرا ما جاء في سباقها وهو قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ [المؤمنون: 26] فقال: "ودعاؤه بطلب النصر يقتضي أنه عدّ فعلهم معه اعتداءً عليه بوصفه رسولا من عند ربه، والنصر: تغليب المعتدى عليه على المعتدي، فقد سأل نوح نصرا جملا كما حكي هنا، وأعلمه الله أنه لا رجاء في إيمان قومه إلا من آمن منهم كما جاء في سورة هود، فلا رجاء في أن يكون نصره برجوعهم إلى طاعته وتصديقه واتباع ملته، فسأل نوح حينذاك نصرا خاصا وهو استئصال الذين لم يؤمنوا كما جاء في سورة نوح ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَر عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾³ [نوح: 26-27]."³

ثم بين ما جاء في اللحاق من أن المطلوب بالدعاء هو إنزال العقوبة والعذاب عليهم بقوله: "والباء في ﴿يَمَّا كَذَّبُونَ﴾ سببية في موضع الحال من النصر المأخوذ من فعل الدعاء، أي نصرا كائنا بسبب تكذيبهم، فجعل حظ نفسه فيما اعتدوا عليه ملغى واهتم بحظ الرسالة عن الله لأن الاعتداء على الرسول استخفاف بمن أرسله."⁴

النموذج الخامس: السياق واستنباط حكم فقهي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَّنْ نُحْصِيَهُ فَنَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضَىٰ وَءَاخِرُونَ

¹ المحرر الوجيز، ج 6، ص 290.

² المصدر نفسه، ج 6، ص 290.

³ التحرير والتنوير، ج 15، ص 45.

⁴ المصدر نفسه، ج 15، ص 45.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُوا مَا تَسَرَّمْتُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا
اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ [المزمل: 20].

قال ابن عطية: " ثم أمر الله تعالى بالاستغفار، وأوجب لنفسه صفة الغفران، لا إله غيره، قال بعض العلماء: فالاستغفار بعد الصلاة مستتب من هذه الآية ومن قوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 17-18]، قال القاضي أبو محمد... فكأن هذا الاستغفار من النقص وتقلب الفكر أثناء الصلاة، وكان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح.¹

- الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج إلى مسألة فقهية مستنبطة من السياق، وهي مسألة الاستغفار بعد الصلاة، والتي جاء ذكرها في سياق الآية من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنَصْفَهُ ۚ وَتُلُوتُهُ ۚ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴾، وكذلك ما جاء في سياق استعمال هذه الآية في موضع آخر من القرآن من قوله تعالى: ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 17-18]. ثم علل هذا الاستنباط بما يتوافق والحكمة منه بقوله: " فكأن هذا الاستغفار من النقص وتقلب الفكر أثناء الصلاة، وكان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح.² وإلى هذا المعنى أشار الرازي فقال: " واستغفروا الله لذنوبكم والتقصيرات الصادرة منكم خاصة في قيام الليل إن الله غفور لذنوب المؤمنين رحيم بهم.³

¹ المحرر الوجيز، ج 8، ص 449.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 449.

³ مفاتيح الغيب، ج 30، ص 188.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

إلا إنه قد يقال إنَّ الأمر بالاستغفار فيها أوسع وأشمل من قَصْرِهِ على ما قد يقع من خلل في صلاة الليل، وإلى هذا المعنى أشار ابن عاشور حيث قال: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ يجوز أن تكون الواو للعطف فيكون معطوفاً على جملة وما تقدموا لأنفسكم إلخ، فيكون لها حكم التذييل إرشاداً لتدارك ما عسى أن يعرض من التفريط في بعض ما أمره الله بتقديمه من خير فإن ذلك يشمل الفرائض التي يقتضي التفريط في بعضها توبة منه، ويجوز أن تكون الواو للاستئناف وتكون الجملة استئنافاً بيانياً ناشئاً عن الترخيص في ترك بعض القيام إرشاداً من الله لما يسد مسد قيام الليل الذي يعرض تركه بأن يستغفر المسلم ربه إذا انتبه من أجزاء الليل، وهو مشمول لقوله تعالى: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: 18].¹

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- اعتماد ابن عطية على السياق الداخلي بنوعيه سابقاً ولحاقاً في عملية الاستنباط.
- تناوله لمواضيع مختلفة في الاستنباط سواء في الجانب العقدي، والتربوي، القصصي، والفقهية.
- اقتصاره في بعض المواضع على مجرد الإشارة إلى موضع الاستنباط دون التعرض له بالتفسير.
- تعبيره عن الاستنباط بلفظة الاقتضاء، وتارة بالتصريح بلفظة الاستنباط كما في النموذج الخامس.
- الاتجاه في عملية الاستنباط إلى اختيار الخصوص في بعض المعاني مع احتمالها العموم كما في النموذج الخامس.

¹ التحرير والتنوير، ج 29، ص 189-290.

المبحث الرابع: بيان المعاني ضمن السياق الفقهي والمقاصدي

كان ابن عطية مالكي المذهب، شأنه في ذلك شأن أكثر علماء الأندلس، ولقد استمد المادة الفقهية في تفسيره من أمهات كتب المذهب المالكي كالموطأ والمدونة والتفريع والواضحة وغيرها، كما اعتمد ابن عطية في مسائل الخلاف بين أصحاب المذاهب الفقهية على كتاب (الإشراف) لابن المنذر النيسابوري.¹ وقد كان وهو يعرض المسائل الفقهية لم يخل عرضه لها من استعمال السياق، لذلك نجد كثيرا ما يستند إليه في تقرير المسائل الفقهية وبيان تفسير آياتها ويظهر أثره عليها، ويتبين ذلك من خلال النماذج التطبيقية ولكن بعد بيان معنى الفقه والسياسات الفقهية:

المطلب الأول: مفهوم السياق الفقهي:

مر معنا بيان مفهوم السياق في اللغة والاصطلاح إلا أنه لم نتعرض لمصطلح الفقه والسياسات الفقهية وفيما يلي بيان ذلك:

– الفقه لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "الفاء والقاف والهاء أصل واحد صحيح، يدل على إدراك الشيء والعلم به. تقول: فقهت الحديث أفقحه. وكل علم بشيء فهو فقه."² وفي تاج العروس: "الفقه، بالكسر: العلم بالشيء... والفقه: الفطنة... وفقهه عني ما بيئت له، كعلمه: فَهْمُهُ، كَتَفَقَّهُهُ... وكل عالم بشيء فهو فقيه. وفقهه العرب: عالمهم."³ وفي المفردات للراغب: "الفقه هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم."⁴

¹ منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، ص 120.

² معجم مقاييس اللغة، ج 4، ص 422.

³ تاج العروس، ج 36، ص 456.

⁴ معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 290.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسباق الداخلي.

وفي الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي: "عن أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري قال: " الفقه في اللغة: الفهم، يقال: فلان لا يفقه قولي، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسِّحُ بِهِمْ وَلَكِنْ لَا نَفَقَهُونَ تَسْيِحَهُمْ﴾ [الإسراء: 44]، أي لا تفهمونه، ثم يقال للعلم: الفقه؛ لأنه عن الفهم يكون وللعالم: فقيه، لأنه إنما يعلم بفهمه، على مذهب العرب في تسمية الشيء بما كان له سبباً.¹ ويقال فقهه بكسر القاف إذا فهم، وافتحها إذا سبق غيره للفهم، وبضمها إذا صار الفقه له سجية.² فيتبين من مجموع النصوص اللغوية أن للفقه معان متعددة ومتنوعة: وهي العلم والفهم والإدراك والفتنة.

– الفقه اصطلاحاً:

وهذه جملة من التعريفات للفقه على ما هو مصطلح عليه في كتب الفقه وأصوله: ففي التعريفات: "الفقه: هو العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، وقيل: هو الإصابة والوقوف على المعنى الخفي الذي يتعلق به الحكم."³ وعرفه الإمام أبو حنيفة: "بأنه معرفة النفس ما لها وما عليها، وهو بذلك يشمل: العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات."⁴ وعرفه الآمدي بأنه: "العلم الحاصل بجملة من الأحكام الشرعية الفرعية بالنظر والاستدلال."⁵

¹ الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م، ج1، ص189.

² شرح تنقيح الفصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ -1973 م، ص20.

³ التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1403هـ-1983م، ص168.

⁴ شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين التفتازاني الشافعي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1416 هـ -1996م، ج1، ص16.

⁵ الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، طبعة المكتب الإسلامي مؤسسة النور الطبعة الأولى: 1387هـ.الرياض، ج1، ص288.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وعرّفه ابن خلدون بقوله: " الفقه معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكرهة والإباحة، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه".¹

فمن خلال هذه التعاريف نخرج بحقيقة اصطلاحية لها علاقة وطيدة بالحقيقة اللغوية وهي أن يقال: إنَّ الفقه مجاله واسع التطبيق، وفهم دقيق، بمنظار الشرع ونصوص الوحيين، بواسطة المعرفة والعلم والاستنباط؛ للخروج بالمشكل من المعاني والأحكام من حيز الإشكال إلى رحبة الوضوح والبيان.

- السياق الفقهي:

يُعتبر علم الفقه من العلوم التي تنوعت فيه طرائق العلماء في تناوله بالفهم والإيضاح، سواء في كتب الفقه أو كتب الحديث أو التفاسير، ويعتبر السياق آلية فعالة في استجلاء المعاني الفقهية من الآيات القرآنية وإدراجها في قالبها الفقهي على نسق سابق الآيات ولاحقها، وهو وما يعرف بالسياق الفقهي، وقد كان لابن عطية اعتناء بذلك يظهر من خلال النماذج التطبيقية.

- النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق الفقهي وقوله تعالى ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ ﴾ بين (الوجوب)، و(الندب).

قال تعالى: ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَىٰ أَلْسِنَةٍ رِّوَسٍ قَدْرَهُ وَعَلَىٰ الْمَقْتِرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴾

[البقرة:236]

قال ابن عطية: " وقوله تعالى ﴿ وَمَتَّعُوهُمْ ﴾ معناه: أعطوهم شيئاً يكون متاعاً لهم، وحمله ابن عمر وعلي بن أبي طالب والحسن بن أبي الحسن وسعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وقتادة والضحاك بن مزاحم على الوجوب، وحمله أبو عبيد ومالك بن أنس وأصحابه وشريح وغيرهم على الندب... ثم أكد تعالى الندب بقوله ﴿ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ ﴾ أي: في هذه النازلة من التمتع هم محسنون، ومن قال بأن المتعة

¹ ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1401 هـ - 1981 م، ج1، ص563.

واجبة قال: هذا تأكيد الوجوب، أي على المحسنين بالإيمان والإسلام، فليس لأحد أن يقول لست بمحسن على هذا التأويل.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج مسألة فقهية وهي متعة المطلقة، وهو إعطاء شيء للمطلقة يكون متاعاً لها، وذكر خلاف العلماء في حمل الأمر في قوله تعالى ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ فهناك من حمّله على الوجوب، وهناك من حمّله على الندب، ثم بين أن لحاق الآية من قوله تعالى ﴿حَقَّ عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ له أثر في تأكيد الوجوب أو الندب حيث قال: "ثم أكد تعالى الندب بقوله ﴿حَقَّ عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: في هذه النازلة من التمتع هم محسنون، ومن قال بأن المتعة واجبة قال: هذا تأكيد الوجوب، أي على المحسنين بالإيمان والإسلام، فليس لأحد أن يقول لست بمحسن على هذا التأويل.²

وقد أشار ابن العربي³ إلى هذا الخلاف بقوله: "اختلف العلماء في وجوب المتعة، فمنهم من رآها واجبة لظاهر الأمر بها... وقال علماؤنا: ليست بواجبة لوجهين:

أحدها: أن الله تعالى لم يقدرها، وإنما وكلها إلى اجتهاد المقدر، وهذا ضعيف؛ فإن الله تعالى قد وكل التقدير في النفقة إلى الاجتهاد، وهي واجبة، فقال: ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ﴾ [البقرة: 236].

الثاني: أن الله تعالى قال فيها: ﴿حَقَّ عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: 236]، ﴿حَقَّ عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 241]، ولو كانت واجبة لأطلقها على الخلق أجمعين؛ فتعليقها بالإحسان، وليس بواجب، وبالتقوى

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 593.

² المصدر نفسه، ج 1، ص 593.

³ محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، أبو بكر ابن العربي: قاض، من حفاظ الحديث، ولد في إشبيلية سنة (468هـ)، ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. وصنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة (543هـ). الديباج المذهب، مصدر سابق ج 2، ص 252، والأعلام للزركلي: ج 6، ص 230.

وهو معنى خفي دل على أنها استحباب، يؤكد أنه قال تعالى في العفو عن الصداق: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ [البقرة: 237] فأضافه إلى التقوى وليس بواجب؛ وذلك أن للتقوى أقساما بينها في كتب الفقهاء؛ ومنها واجب، و [منها] ما ليس بواجب؛ فليُنظر هنالك.¹

قال القرطبي: "والقول الأول أولى، لأن عمومات الأمر بالامتناع في قوله: ﴿وَمَتَّعُوهُمْ﴾ وإضافة الإمتناع إليهن بلام التمليك في قوله: ﴿وَلَمَّا طَلَّغَتْ مَتَّعًا﴾ أظهر في الوجوب منه في الندب. وقوله: ﴿عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ تأكيد لإيجابها، لأن كل واحد يجب عليه أن يتقي الله في الإشارك به ومعاصيه، وقد قال تعالى في القرآن ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: 02].²

ثم ذكر اللحاق الذي ذكره ابن عطية ورجح أن يكون تأكيدا للوجوب بقوله: "قوله تعالى: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: يحق ذلك عليهم حقا، يقال: حققت عليه القضاء وأحققت، أي أوجبت، وفي هذا دليل على وجوب المتعة مع الأمر بها، فقوله: "حقا" تأكيد للوجوب. و ﴿حَقًّا﴾ صفة لقوله: ﴿مَتَّعًا﴾ أو نصب على المصدر، وذلك أدخل في التأكيد للأمر، والله أعلم.³

فتبين من خلال هذا النموذج أن للسياق دورا في اختلاف الفقهاء وبيان المعنى المراد على ضوء سياق الآيات سابقها ولاحقها.

¹ أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، مراجعة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثالثة: 1424هـ-2003م، ج1، ص291.

² الجامع لأحكام القرآن، ج4، ص162.

³ المصدر نفسه، ج4، ص167.

النموذج الثاني: السياق الفقهي وبيان معنى قوله تعالى: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: 282].

قال ابن عطية: " وبين تعالى بقوله (بدین) ما في قوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ من الاشتراك، إذ قد يقال في

كلام العرب: تداينوا بمعنى: جازى بعضهم بعضا. ووصفه الأجل بـ: ﴿مُسَمًّى﴾ دليل على أن الجهالة لا تجوز، فكأن الآية رفضتها، وإذا لم تكن هناك تسمية وحد فليس هناك أجل.¹

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج إلى مسألتين فقهيتين في باب المعاملات كان البيان فيهما بالسياق:

- الأولى: قوله تعالى ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ ففيه احتمال المجازاة فجاء اللحاق مبينا أن فيه معنى الاشتراك بالمعاملة

بالدين وذلك قوله تعالى: ﴿بِدَيْنٍ﴾ وهذا الذي أشار إليه ابن عطية بقوله: " وبين تعالى بقوله ﴿بِدَيْنٍ﴾

ما في قوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ من الاشتراك، إذ قد يقال في كلام العرب: تداينوا بمعنى: جازى بعضهم بعضا.²

والمقصود بالمشاركة المفاعلة مما يكون بين طرفين وقد بين ابن العربي ذلك حيث قال: " حقيقة الدين: هو

عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقدا والآخر في الذمة نسيئة، فإن العين عند العرب ما كان

حاضرا، والدَّيْن ما كان غائبا ... والمدائنة مفاعلة منه؛ لأن أحدهما يرضاه والآخر يلتزمه، وقد بينه الله تعالى

بقوله: ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [البقرة: 282].³

- المسألة الثانية: قوله تعالى ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ﴾ وُصف هذا الأجل بأنه ﴿مُسَمًّى﴾ وهذا السياق فيه

بيان قرآني بعدم جواز الجهالة في الأجل بعدم تحديديه وتسميته.

وقد أشار إلى المسألتين الإمام البغوي بقوله: " قوله: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ أي تعاملتم بالدين، يقال:

داينته إذا عاملته بالدين وإنما قال ﴿بِدَيْنٍ﴾ بعد قوله ﴿تَدَايَنْتُمْ﴾ لأن المدائنة قد تكون مجازاة، وقد

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 110-111.

² المصدر نفسه، ج 2، ص 110-111.

³ أحكام القرآن، ج 1، ص 327.

تكون معاطاة، فقيده بالذنين ليعرف المراد من اللفظ، وقيل: ذكره تأكيداً كقوله تعالى: ﴿وَلَا طَّيْرٍ يَظِيرُهُمْ﴾ [الأنعام: 38] ﴿إِلَّا أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ الأجل مدة معلومة الأول والآخر، والأجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله، وفي القرض لا يلزم الأجل عن أكثر أهل العلم.¹

النموذج الثالث: السياق الفقهي وبيان معنى (الطَّوْل) في قوله تعالى: ﴿طَوَّلاً﴾

قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَنِيَّتِكُمْ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ [النساء: 25].

قال ابن عطية: "قال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، والسدي، وابن زيد، ومالك بن أنس في "المدونة": الطَّوْلُ هنا: السعة في المال. وقال ربيعة، وإبراهيم النخعي: الطَّوْلُ هنا: الجلد والصبر لمن أحب أمةً وهويها حتى صار لذلك لا يستطيع أن يتزوج غيرها، فإن له أن يتزوج الأمة إذا لم يملك هواها، وإن كان يجد سعة في المال لنكاح حرة، ثم يكون قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ على هذا التأويل بيانا في صفة عدم الجلد، وعلى التأويل الآخر يكون تزوج الأمة معلقا بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح إلا باجماعهما، وهذا هو نص مذهب مالك في "المدونة" من رواية ابن نافع، وابن القاسم، وابن وهب، وابن زياد: إنَّ الحر لا يتزوج الأمة على حال إلا ألا يجد سعة في المال لمهر حرة، وأن يخشى العنت من ذلك."²

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج أثر السياق سابقا ولحاقا في بيان حكم فقهي متعلق بالزواج، وذلك انطلاقا من تفسير (الطَّوْل) في الآية على أنه: السعة في المال وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وهو قول للإمام مالك في "المدونة"، وقيل أن (الطَّوْل) الجلد والصبر، وهذا السابق أثر في لحاق الآية الذي هو قوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ وبين ابن عطية هذا التأثير بقوله: "ثم يكون قوله تعالى:

¹ معالم التنزيل، ج 1، ص 349.

² المحرر الوجيز، ج 2، ص 518-519.

﴿لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ﴾ على هذا التأويل-أي: أن الطَّوْل هو الجلد والصبر- بيانا في صفة عدم الجلد وعلى التأويل الآخر-أي: أن الطَّوْل: السعة في المال- يكون تزوج الأمة معلقا بشرطين: عدم السعة في المال، وخوف العنت، فلا يصح إلا باجتماعهما.

وهذا هو نصُّ مذهب مالك في " المدونة" من رواية ابن نافع، وابن القاسم، وابن وهب، وابن زياد: إنَّ الحر لا يتزوج الأمة على حال إلا ألا يجد سعة في المال لمهر حرّة، وأن يخشى العنت من ذلك.¹

وقد أجاد ابن العربي في تقرير هذه المسألة في سياقها المقصود، وأنها سيقت مساق الرُّخْص مستدلا على ذلك بسياق الاستعمال لنظيراتها في القرآن حيث قال: " المسألة الثانية: في فهم سياق الآية: اعلموا وفقكم الله تعالى أن العلماء اختلفوا في سياق هذه الآية؛ فمنهم من قال: إنها سيقت مساق الرخص،

كقوله: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: 92] وقوله: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾ [النساء: 43] ونحوه؛ فإذا كانت كذلك وجب أن تلحق بالرخص التي تكون مقرونة بأحوال الحاجة وأوقاتها، ولا يسترسل في الجواز استرسال العزائم؛ وإلى هذا مال جماعة من الصحابة، واختاره مالك؛ ومنهم من جعلها أصلا، وجوز نكاح الأمة مطلقا، ومال إليه أبو حنيفة.

وقد جهل مساق الآية من ظن هذا فقد قال الله تعالى ما يدل على أنه لم يبيح نكاح الأمة إلا بشرطين: أحدهما عدم الطول، والثاني خوف العنت؛ فجاء به شرطا على شرط، ثم ذكر الحرائر من المؤمنات والحرائر من أهل الكتاب ذكرا مطلقا؛ فلما ذكر الإمام المؤمنات ذكرها مشروطا مؤكدا مربوطا.² فنلاحظ كيف وظَّف ابن عطية السباق واللحاق وكان له تأثير في تصور المسألة الفقهية وبيانها.

النموذج الرابع: السياق الفقهي وبيان ما يحِلُّ من النساء للنبي صلى الله عليه وسلم

في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَ اللَّاتِيَّاتِ أُولَئِكَ هُنَّ حُرْمَتُكَ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِيَّاتِ هَاجِرَاتٍ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ

¹ المحرر الوجيز، ج 2، ص 518-519.

² أحكام القرآن، ج 1، ص 501-502.

الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿الأحزاب: 50﴾.

قال ابن عطية: "...ومن يمكن أن يتزوج منهن محصور عند نسائه، لا سيّما وقد قيّد ذلك بشرط الهجرة، وكذا الواهبة من النساء قليل، فلذلك سُرَّ أزواجه بانحصار الأمر، ثم يجيء قوله: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ نِسَاءِ مِهْنٍ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره، ثم يجيء قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَجَ﴾ إشارة إلى أزواجه اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل، فيأتي الكلام منسقا مطّردا أكثر من اطراده على التأويل الأول.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا الموضوع مسألة زواج النبي صلى الله عليه وسلم، هل أحلّ له الزواج بإطلاقٍ من نساء أمته، أم إنّ الأمر متعلق بنساءٍ بأعيانهن وأوصافٍ ذكرت لهن في سياق الآيات؟ قال ابن جزري في تفسيرها: " في معناها قولان: أحدهما أن المراد أزواجه اللاتي في عصمته حينئذ، كعائشة وغيرها، وكان قد أعطاهن مهورهن، والآخر: أن المراد جميع النساء، فأباح الله له أن يتزوج كل امرأة يعطى مهرها، وهذا أوسع من الأول ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ أباح الله له مع الأزواج السراري بملك اليمين، ويعني بقوله: ﴿أَفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾: الغنائم ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ﴾ يعني قرابته من جهة أبيه ومن جهة أمه، وكان له عليه الصلاة والسلام أعمام وعمات إخوة لأبيه، ولم يكن لأمه عليه الصلاة والسلام أخ ولا أخت، وإنما يعني بخاله وخالاته عشيرة أمه وهم بنو زهرة، ولذلك كانوا يقولون نحن أخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فمن قال: إن المراد بقوله (أحللنا لك أزواجك): من كانت في عصمته: فهو عطف عليهن، وإباحة لأن يتزوج قرابته زيادة على من كان في عصمته، ومن قال: إن المراد جميع النساء، فهو تجريد منهن على وجه التشريف بعد دخول هؤلاء في العموم.²

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 131.

² التسهيل لعلوم التنزيل، ج 2، ص 192.

ثم ذكر ابن عطية أن السياق يدل على الحصر في نساء معينات، في قوله تعالى: ﴿يَكْأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ الأمر الذي يساعد عليه السياق، ويتصل به الكلام اللاحق من الآيات دون قطع وفصل بين الآيات؛ فقال: "ثم يجيء قوله: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ إشارة إلى من تقدم ذكره، ثم يجيء قوله: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَاجَ﴾ إشارة إلى أزواجه اللواتي تقدم النص عليهن بالتحليل، فيأتي الكلام منسقا مطردا أكثر من اطّراده على التأويل الأول." ¹

النموذج الخامس: السياق الفقهي وبيان معنى قوله تعالى: ﴿سَيِّمَاهُمْ﴾

قال تعالى: ﴿ثُمَّ حَمَدُ رَسُولِ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29].

قال ابن عطية: "واختلف الناس في تعيين هذه السيماء-فقال مالك بن أنس كانت جباههم متربة من كثرة السجود في التراب، كان يبقى على المسح أثره، وقال عكرمة، وقال أبو العالية: يسجدون على التراب لا على الأثواب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما، وخالد الحنفي، وعطية: هو وعد بجاهم يوم القيامة من أن الله تبارك وتعالى يجعل لهم نورا من أثر السجود... ويؤيد هذا التأويل اتصال القول بقوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾، كأنه تعالى قال: علامتهم في تحصيل الرضوان يوم القيامة سيماهم في وجوههم من أثر السجود." ²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية هذا النموذج أثر السياق في بيان السيماء والعلامة التي على وجوه المؤمنين يوم القيامة، حيث ذهب إلى تقوية قول ابن عباس وخالد الحنفي، وعطية، أنه نور يجعل لهم من أثر السجود لدلالة

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 131. وينظر للتفصيل أكثر في المسألة: أحكام القرآن لابن العربي، ج 3، 588-601.

² المحرر الوجيز، ج 7، ص 689.

السياق عليه وبالتحديد سباق الآية حيث قال: " ويؤيد هذا التأويل اتصال القول بقوله تعالى: ﴿ فَضَلًّا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾، كأنه تعالى قال: علامتهم في تحصيل الرضوان يوم القيامة سيماهم في وجوههم من أثر السجود." ¹

ونذكر هنا نص الآية السابقة كاملة ليتضح أكثر وهو قوله تعالى: ﴿ تَرَبُّهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح: 29].

يقول ابن السعدي في بيان هذا المعنى: " أي: قد أثرت العبادة - من كثرتها وحسنها - في وجوههم، حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطنهم، استنارت [بالجلال] ظواهرهم." ²

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- تأثير السياق في تصوير المسائل الفقهية واختلاف مآخذها وأحكامها عند ابن عطية.
- ذكر المصادر الفقهية مع بيان مذاهب الفقهاء وأقوال المفسرين أثناء تفسير الآية كل ذلك في ضوء سياقها دون التفات عنه.
- جعل توظيف السياق في بيان المسائل الفقهية بأن الكلام بذلك يأتي منسّقاً مطّرداً كما في النموذج الرابع.

- تنوع المسائل الفقهية المتناولة بتوظيف السياق، في العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية.

¹ المحرر الوجيز، ج 7، ص 689.

² تيسير الكريم الرحمان، ص 795.

المطلب الثاني: مفهوم السياق المقاصدي:

مر معنا فيما سبق الكلام عن مفهوم السياق ونشير هنا إلى مصطلح السياق المقاصدي، انطلاقاً من مفهوم المقاصد:

- المقاصد لغة:

جاء في تهذيب اللغة: " قصد: قَالَ اللَّيْثُ: الْقَصْدُ: اسْتِقَامَةُ الطَّرِيقَةِ، قَصَدَ يَقْصِدُ قَصِداً فَهُوَ قَاصِدٌ، وَالْقَصْدُ فِي الْمَعِيشَةِ أَلَّا يَسْرِفَ وَلَا يَقْتَرَّ."¹

وجاء في المصباح المنير: " قَصَدْتُ الشَّيْءَ وَلَهُ، وَإِلَيْهِ قَصَدًا مِنْ بَابِ ضَرَبَ، طَلَبْتُهُ بَعِينَهُ، وَإِلَيْهِ قَصْدِي وَمُقْصِدِي بفتح الصاد، واسم المكان بكسرها نحو مَقْصِدٍ مُعَيَّنٍ... والمقاصد جمع مَقْصِدٍ، وَقَصَدَ فِي الْأَمْرِ قَصِداً تَوَسَّطَ، وَطَلَبَ الْأَسَدَ، وَمَنْ يُجَاوِزُ الْحَدَّ، وَهُوَ عَلَى قَصْدٍ أَيْ: رُشْدٍ، وَطَرِيقٌ قَصْدٌ أَيْ: سَهْلٌ، وَقَصَدْتُ قَصْدَهُ أَيْ نَحْوَهُ."²

وفي مفردات القرآن: " القصد استقامة الطريق، يقال قصدت قصده أي نحت نحوه ، ومنه الاقتصاد ، والاقتصاد على ضربين: أحدهما محمود على الإطلاق وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط كالجود فإنه بين الإسراف والبخل وكالشجاعة فإنها بين التهور والجن، ونحو ذلك وعلى هذا قوله ﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان: 19]، وإلى هذا النحو من الاقتصاد أشار بقوله ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: 67]، والثاني: يكتفى به عما يتردد بين الحمود والمذموم وهو فيما يقع بين محمود ومذموم كالواقع بين العدل والجور والقريب والبعيد وعلى ذلك قوله ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ ﴾ [فاطر: 32]."³

تبين من خلال هذه النصوص اللغوية والاستعمال القرآني لها، أن مادة(قصد) والتي منها القصد، والاقتصاد، والمقاصد، فيها معنى الاستقامة، والتوسط، والسهولة، وطلب الشيء بعينه مع عدم مجاوزة الحد فيه.

¹ تهذيب اللغة، ج 8، ص 352.

² المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية-بيروت-ج 2، ص 504.

³ معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص 305.

- المقاصد اصطلاحاً:

عرفها ابن عاشور بقوله: "علم مقاصد الشريعة فهو عبارة عن الوقوف على المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها."¹

وبما أن الكلام عن مصدر التشريع الإسلامي الأول، وهو القرآن الكريم، نذكر تعريف مقاصد القرآن:

- تعريف مقاصد القرآن:

لقد جاء التصريح بمصطلح مقاصد القرآن عند القدامى من أمثال العز بن عبد السلام بقوله: "معظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفساد وأسبابها."²

ومن ذكره كذلك الإمام ابن عاشور في مقدمات تفسيره حيث قال: "فغرض المفسر بيان ما يصل إليه أو ما يقصده من مراد الله تعالى في كتابه بآتمّ بيان يحتمله المعنى، ولا يأباه اللفظ من كل ما يوضح المراد من مقاصد القرآن."³

ومن المعاصرين من عرفه بقوله: "مقاصد القرآن: هي الغايات التي أنزل القرآن لأجلها تحقيقاً لمصالح العباد."⁴

ولا شك أن القرآن الكريم بنية سياقية متكاملة، لا يخرج في بيان هذه المقاصد عن سياق الآيات مع اختلاف هذه المقاصد وتنوعها؛ مما هو من مصالح العباد الدينية أو الدنيوية، وقد كان لابن عطية نصيب في بيان هذه المقاصد ضمن السياق القرآني تتجلى من خلال النماذج التطبيقية الآتية:

¹ مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، طبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، -، 1425هـ - 2004م، ج2، ص21.

² قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة- طبعة: 114هـ- 1991م، ج1، ص8.

³ التحرير والتنوير، ج1، ص41.

⁴ مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم-بيروت- الطبعة الأولى: 1429هـ- 2008م، ص29.

-النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق المقاصدي وبيان معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: 275].

قال ابن عطية: "ومعنى هذه الآية: الذين يكسبون الربا ويفعلونه، وقصد إلى لفظة الأكل لأنها أقوى مقاصد الإنسان في المال، ولأنها دالة على الجشع، فأقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله، فاللباس والسكنى والادخار والإنفاق على العيال وغير ذلك داخل كله في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾".¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج تفسير الآية مبينا معناها على ضوء سياقها المقاصدي، فذكر ان معنى قوله تعالى ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ أي يتعاملون بالربا ويجعلونه مصدرا للكسب، والذي دعاه لبيان هذا المعنى هو التفاته إلى أن أقوى مقصد للإنسان من الكسب وهو الأكل؛ فعبر عن ذلك بقوله: " وقصد إلى لفظة الأكل لأنها أقوى مقاصد الإنسان في المال."²

ثم بين أن بقية مقاصد الكسب وتوابعه معبرا عن ذلك بعبارة جامعة حيث قال: " فأقيم هذا البعض من توابع الكسب مقام الكسب كله، فاللباس والسكنى والادخار والإنفاق على العيال وغير ذلك داخل كله في قوله: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ﴾ [البقرة: 275]."³

وقد ذكر هذا المعنى جمع من المفسرين منهم: -البغوي: " قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]، أي: يعاملون به، وإنما خص الأكل لأنه معظم المقصود من المال."⁴

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص96.

² المصدر نفسه، ج2، ص96.

³ المصدر نفسه، ج2، ص96.

⁴ معالم التنزيل، ج1، ص340.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

- ابن الجوزي: " وإنما خص الأكل بالذكر، لأنه معظم المقصود.¹"
-الإمام البقاعي: " وعبر بالأكل عن تناول، لأنه أكبر المقاصد وأضرها ويجري من الإنسان مجرى الدم كالشيطان.²"

-الشوكاني: " وليس المراد بقوله هنا: الذين يأكلون الربا اختصاص هذا الوعيد بمن يأكله، بل هو عام لكل من يعامل بالربا فيأخذه ويعطيه، وإنما خص الأكل لزيادة التشنيع على فاعله، ولكونه هو الغرض الأهم فإن أخذ الربا إنما أخذه للأكل.³"

فلاحظ كيف ذكر المفسرون معنى الآية بذكر مقصدها مما يتعلق بحفظ الصحة والمال، وهناك من عبّر عن المقصد بالغرض كما فعل الشوكاني.

النموذج الثاني: السياق المقاصدي وبيان مقصد (حفظ الدين)

تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَا تَأْتِيَنَّهُمْ مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ [الأعراف: 17].

قال ابن عطية: " ومقصد هذه الآية أن إبليس أخبر عن نفسه أنه يأتي لإضلال ابن آدم من كل جهة، وعلى كل طريق، يفسد عليه ما أمكنه من معتقده، وينسيه صالح أعمال الآخرة، ويغريه بقبيح أعمال الدنيا، فعبر عن ذلك بالفاظ تقتضي الإحاطة بهم.⁴"

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذه الآية إلى مقصدها والغرض الذي سيقى من أجله، وهو بيان الله عزوجل لنا خطة عدونا إبليس لإضلال الناس بشتى الوسائل والطرق، ومن كل ناحية وجانب، فنأخذ الحيطه والحذر

¹ زاد المسير، ج1، ص330.

² نظم الدرر، ج4، 109-110.

³ فتح القدير، ج1، ص338.

⁴ المحرر الوجيز، ج3، ص526.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

لحفظ ديننا من الانحراف، وهذا أول مقصد من مقاصد شرعنا الحنيف وهو حفظ الدين، فعبر ابن عطية عن ذلك بصريح لفظة المقصد حيث قال: " ومقصد هذه الآية أن إبليس أخبر عن نفسه أنه يأتي لإضلال ابن آدم من كل جهة، وعلى كل طريق، يفسد عليه ما امكنه من معتقده، وينسيه صالح أعمال الآخرة، ويغريه بقبیح أعمال."¹

ثم بين هذه الإحاطة من إبليس بسياق ألفاظ الآية، فقد جاءت متتابعة لإبراز هذا المقصد وبيانه فقال: " فعبر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم."²

وقد ذكر ابن كثير في تفسير هذه الآية ما يبين فيه مقصدها برواية عن ابن عباس: " عن ابن عباس:

﴿ ثُمَّ لَا تَبْتِغُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأعراف: 17] أشككهم في آخرتهم، ﴿ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ ﴾ أشبه عليهم أمر دينهم ﴿ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴾ أشهي لهم المعاصي.³

النموذج الثالث: السياق المقاصدي وبيان منزلة المهاجرين والأنصار

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الأنفال: 72].

قال ابن عطية: " مقصد هذه الآية وما بعدها تبين منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا والكفار والمهاجرين بعد الحديبية، وذكر نسب بعضهم من بعض، فقدم أولاً ذكر المهاجرين وهم أصل الإسلام."⁴

¹ المحرر الوجيز، ج 3، ص 526.

² المصدر نفسه، ج 3، ص 526.

³ تفسير القرآن العظيم، ج 6، ص 268.

⁴ المحرر الوجيز، ج 4، ص 246.

-الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج مقصد آياتٍ في سياق واحد متتابع، الأولى سابقة والتي هي محل الدراسة، والأخرى لاحقة لها، يجمعهما السياق لتوضيح هذا المقصد، ويريد بقوله (وما بعدها)¹، قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَاءَكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿ [الأنفال: 73-75].

فَوَضَّحَ ابن عطية المقصد من هذه الآيات بقوله: " مقصد هذه الآية وما بعدها تبين منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا والكفار والمهاجرين بعد الحديبية، وذكر نسب بعضهم من بعض، فقدم أولاً ذكر المهاجرين وهم أصل الإسلام."²

النموذج الرابع: السياق المقاصدي وبيان عادة الله في الأمم

قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: 15].

قال ابن عطية: "وتلخيص هذا المعنى: أن مقصد الآية في هذا الموضع الإعلام بعادة الله مع الأمم في الدنيا، وبهذا يقرب الوعيد من كفار مكة، ويؤيد هذا ما يجيء بعد من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون."³

-الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج إلى مقصدها وهو الذي أشار إليه بقوله: " مقصد الآية في هذا الموضع الإعلام بعادة الله مع الأمم في الدنيا."⁴

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص246.

² المصدر نفسه، ج4، ص246.

³ المصدر نفسه، ج5، ص452.

⁴ المصدر نفسه، ج5، ص452.

ثم جاء بما يدعم بيان هذا المقصد من السياق وتحديدًا بلحاق الآية، وأشار إلى ذلك دون تنصيص عليه بقوله: "ويؤيد هذا ما يجيء بعد من وصفه ما يكون عند إرادته إهلاك قرية، ومن إعلامه بكثرة ما أهلك من القرون."¹

وهذا اللحاق الذي أشار إليه مبينًا معناه هو قوله تعالى ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝١٦ ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿ [الإسراء: 16-17].

وهذه الآيات فيها بيان مقصد الآية من بيان عادة الله مع الأمم، وهو ما اطرده جريانه في تقدير الله عزوجل وبيان سنته الكونية معها، وقد بين هذا المقصد ابن جرير عند تفسير هذه الآيات فقال: " فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها، فحق عليهم القول... فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها، وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله، من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج ﴿ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ يقول: فخربناها عند ذلك تخريبًا، وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكًا... يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه، فيعذب قوما بما لا يعذب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين؛ يقول جل ثناؤه: فأنيبوا إلى طاعة الله ربكم، فقد بعثنا إليكم رسولاً ينبهكم على حججنا عليكم، ويوقظكم من غفلتكم، ولم نكن لنعذب قوما حتى نبعث إليهم رسولاً منبها لهم على حجج الله."²

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص452.

² جامع البيان، ج14، ص532-533.

النموذج الخامس: السياق المقاصدي وبيان مقصد السورة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ [الفيل: 1-5].
 - قال ابن عطية: " وهذه السورة تنبيه على اعتبار في أخذ الله عزوجل لأبرهة ملك الحبشة وجيشه حين أمَّ به الكعبة ليهدمها، وكان صاحب فيل يركبه."¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج مقصد السورة، وما تضمنته من غرض، والمتمثل في أخذ العبرة منها حيث قال: " وهذه السورة تنبيه على اعتبار في أخذ الله عزوجل لأبرهة ملك الحبشة وجيشه."² وقد أكد هذا الغرض بعدما سرد القصة مختصرة حيث قال: "... فنزلت هذه السورة منبهة على الاعتبار بهذه القصة، ليعلم الكل أن الأمر كله لله تعالى، ويستسلموا للإله الذي ظهرت في ذلك قدرته حين لم تغن الأصنام شيئاً."³

وقد ذكر ابن عاشور هذا المقصد عندما ذكر أغراض هذه السورة بقوله: " وقد تضمنت التذكير بأن الكعبة حرم الله، وأن الله حماه ممن أرادوا به سوءاً أو أظهر غضبه عليهم فعذبهم لأنهم ظلموا بطمعهم في هدم مسجد إبراهيم وهو عندهم في كتابهم، وذلك ما سمَّاه الله كيدا، وليكون ما حل بهم تذكرة لقريش بأن فاعل ذلك هو رب ذلك البيت وأن لا حظ فيه للأصنام التي نصبوها حوله، وتنبيه قريش أو تذكيرهم بما ظهر من كرامة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله إذ أهلك أصحاب الفيل في عام ولادته، ومن وراء ذلك تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله يدفع عنه كيد المشركين... ويشعر بهذا قوله: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴿٢﴾ [الفيل: 2]، ومن وراء ذلك كله التذكير بأن الله غالب على أمره، وألا تعرَّ المشركين قوتهم

¹ المحرر الوجيز، ج 8، ص 689.

² المصدر نفسه، ج 8، ص 689.

³ المصدر نفسه، ج 8، ص 690.

ووفرة عددهم ولا يوهن النبي صلى الله عليه وسلم تألب قبائلهم عليه فقد أهلك الله من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعا.¹

فيلاحظ براعة الإمام ابن عاشور في سرد مقصد السورة بإبداع وتنوع، ودعم له بالسياق كذلك ويظهر ذلك عند قوله: "ومن وراء ذلك تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم بأن الله يدفع عنه كيد المشركين... ويشعر بهذا قوله: ﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ ﴾ [الفيل: 2]."²

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- تصريح ابن عطية وتنصيبه على مصطلح " المقصد والمقاصد".
- التنوع في ذكر المقاصد فتارة يذكر "مقصد اللفظة"، وبقوله: " مقصد الآية" و"مقاصد الآيات". كما هو في أغلب النماذج.
- الإشارة إلى الآيات التي فيها ذكر المقصد دون التنصيص عليها كما في النموذج الثالث.
- التنوع في ذكر مواضيع السياق المقاصدي، مما هو من مصالح الإنسان الدينية والدينية.
- الإشارة إلى السياق وأهميته في بيان المعنى المقاصدي:
- كقوله: (وقصد إلى لفظة الأكل لأنها أقوى مقاصد الإنسان في المال) كما في النموذج الأول.
- وقوله: (فعبّر عن ذلك بألفاظ تقتضي الإحاطة بهم) كما في النموذج الثاني.
- وقوله: (مقصد هذه الآية وما بعدها). كما في النموذج الثالث.
- وقوله: (ويؤيد هذا ما يجيء بعد). كما في النموذج الرابع.

¹ التحرير والتنوير، ج30، ص544.

² المصدر نفسه، ج30، ص544.

المبحث الخامس: توظيف السياق الداخلي في تضعيف أقوال المفسرين والترجيح بينها:

إنَّه مما لا شك فيه أن كتب التفسير لا تخلوا من ذكرٍ لأقوال المفسرين من عهد الصحابة إلى اليوم، مع اختلاف مناهجهم في تناول هذه الأقوال، ولربما إحدائهم أقوال أخرى من قبيل الاجتهاد في محاولة لتفسير الآية تفسيراً صحيحاً، إلا أنه قد يجانب المفسرُ الصوابَ، ولا يصيب المعنى المراد، وقد يخرج بها عن سياقها فيقع في التحريف، لذلك كان السياق من بين الآليات التي ضُبط بها التفسير، وهو ما وظَّفه ابن عطية في تفسيره لتضعيف أقوال وردّها، أو تأييد أقوال، أو ترجيحٍ لقولٍ على آخر، كل ذلك استناداً إلى السياق، وفي هذا المبحث نتعرض لبيان مدى تأثير السياق على ابن عطية في عملية التضعيف والترجيح.

المطلب الأول: توظيف السياق في تضعيف أقوال المفسرين:

ولبيان هذا المطلب نشير إلى التضعيف لغة واصطلاحاً:

- التضعيف لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: " (ضَعَفَ) الضاد والعين والفاء أصلان متباينان، يدل أحدهما على خلاف القوَّة، ويدل الآخر على أن يُزَادَ الشَّيْءُ مِثْلَهُ. فالأول: الضَّعْفُ والضُّعْفُ، وهو خلاف القوَّة، يقال: ضُعِفَ يَضْعُفُ، ورجل ضَعِيفٌ، وقوم ضُعَفَاءُ وضِعَافٌ، وأما الأصل الآخر فقال الخليل: أضعفتُ الشَّيْءَ إِضعَافًا، وضَعَفْتُهُ تَضْعِيفًا، وضَاعَفْتُهُ مُضَاعَفَةً، وهو أن يُزَادَ على أصل الشيء فيجعل مِثْلَيْنِ أو أكثر. ¹

وجاء في المصباح المنير: " والتَّضْعِيفُ والضُّعْفُ بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها في لغة قريش خلافُ القوَّة والصَّحَّة، فالمضموم مصدر ضُعِفَ مثال قُرِبَ قُرْبًا، والمفتوح مصدر ضَعَفَ ضَعْفًا من باب قَتَلَ، ومنهم من يجعل المفتوح في الرأي والمضموم في الجسد. ²

¹ معجم مقاييس اللغة، ج3، ص362.

² المصباح المنير، ج2، ص362.

وقال الراغب في المفردات: "الضَّعْفُ خلاف القوة، وقد ضَعُفَ فهو ضعيف، قال ﴿ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج:73]."¹

فالتضعيف وزن تفعيل يكون المعنى منه: " ضَعَّفَهُ: إذا نسبه إلى الضَّعْفِ"².
فتبين من خلال النصوص اللغوية أن الضعف خلاف القوة، سواء كان في البدن أو الرأي.

- التضعيف اصطلاحاً:

في التعريفات: " الضعيف: ما يكون في ثبوته كلام"³.

وبما أن التضعيف على وزن تفعيل، أي: نسبة الضَّعْفِ لقول معيَّن، وقد يكون تضعيف قول في الفقه، أو الحديث، أو التفسير، أو غيرها، والذي يهمنا هنا هو الحكم على أقوال المفسرين بالضَّعْفِ مما ورد في كلام ابن عطية في تفسيره، مستندا في ذلك إلى السياق الداخلي، ويتبيَّن هذا من خلال النماذج التطبيقية:
- النماذج التطبيقية:

- النموذج الأول: السياق وتضعيف معنى في قوله تعالى: ﴿ فِي مَنَامِكَ ﴾

قال تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ^ط وَلَوْ أَرَدْنَا لَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْتُمْ وَلِنَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الأنفال:43-44].

قال ابن عطية: " وروي عن الحسن أن معنى قوله: ﴿ فِي مَنَامِكَ ﴾ أي: في عينك إذ هي موضع النوم، وعلى هذا التأويل تكون الرؤية في اليقظة... وهذا القول ضعيف،...ومما يضعف ما روي عن الحسن أن معنى هذه الآية يتكرر في التي بعدها لأن النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب في الثانية أيضا."⁴

¹ معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص222.

² شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر - بيروت -، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م، ج6، ص3972.

³ التعريفات للجرجاني، ص138.

⁴ المحرر الوجيز، ج4، ص205.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلافا بين المفسرين في تفسير قوله تعالى ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ ﴾ [الأنفال:43]، هل الرؤية في الآية منامية أم حقيقية في اليقظة؟، فذكر أقوالا للمفسرين وفي ضمنها قولاً روي عن الحسن على أنها رؤية حقيقية حيث قال: "وروي عن الحسن أن معنى قوله: ﴿ فِي مَنَامِكَ ﴾ أي: في عينك إذ هي موضع النوم، وعلى هذا التأويل تكون الرؤية في اليقظة." ¹

ثم ذكر أن هذا القول ضعيف، معللاً ضعفه بما جاء في السياق مما يأتي في الآية بعدها حيث قال: "ومما يضعف ما روي عن الحسن أن معنى هذه الآية يتكرر في التي بعدها." ²

ويقصد بالآية التي بعدها قوله تعالى ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضَى اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾ [الأنفال:44].

وقد حكم ابن كثير بغرابة قول الحسن ³ وضعفه ابن جرير الطبري ورجح خلافه ⁴ وذكر ابن الجوزي استشكالا حول تكرير الرؤية في الآية، وأجاب عنه بما يمكن أن يكون فيه جمع بين الأقوال وحسماً للخلاف إذ قال: "فإن قيل: ما فائدة تكرير الرؤية ها هنا. وقد ذكرت في قوله تعالى: ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ ﴾؟ فعنه جوابان: أحدهما: أن الأولى كانت في المنام، والثانية في اليقظة. والثاني: أن الأولى للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، والثانية له ولأصحابه." ⁵

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص205.

² المصدر نفسه، ج4، ص205.

³ تفسير القرآن العظيم، ج7، ص94.

⁴ جامع البيان، ج11، ص209.

⁵ زاد المسير، ج3، ص364.

النموذج الثاني: السياق وتضعيف قول بالمقصود من الآية (اليهود).

في تفسير قوله تعالى ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ۗ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:9].

قال ابن عطية: "...قال بعض الناس هذه في اليهود. قال القاضي أبو محمد: وهذا القول وإن كانت ألفاظ هذه الآية تقتضيه، فما قبلها وما بعدها يردُّه ويتبرأ منه، ويختل أسلوب القول به." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج قولاً في تفسيرها مضمونهُ أن المراد بمن اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً وصدَّ عن سبيل الله هم اليهود، حيث قال: "قال بعض الناس هذه في اليهود." ²

ثم ذكر أن ألفاظ الآية تقتضيه، إلا أن السياق سباقاً ولحاقاً يُضعفه ويردُّه ويختل أسلوب الكلام وسيأفقه بالتفسير به حيث قال: "وهذا القول وإن كانت ألفاظ هذه الآية تقتضيه، فما قبلها وما بعدها يردُّه ويتبرأ منه، ويختل أسلوب القول به." ³

ومقصود ابن عطية (بما قبل وما بعد) أن الآيات في سياق ذكر المشركين من بداية السورة إلى محل الشاهد فما بعدها، إلا أنه يمكن أن يُستدرك عليه بأن يكون لهذا القول اعتباراً بناءً على تفسير (آيات الله) وما هو المقصود بها؛ فهناك خلاف بين المفسرين حولها؛ انبنى عليه الخلاف حول المغنيين بها، وقد ذكر ذلك من المفسرين: الإمام الماوردي ⁴ حيث ذكر ذلك بقوله: "قوله عز وجل ﴿أَشْتَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [التوبة:09] في (آيات الله تعالى) ها هنا وجهان:

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص267-268.

² المصدر نفسه، ج4، ص267.

³ المصدر نفسه، ج4، ص268.

⁴ أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، المعروف بالماوردي، الفقيه الشافعي؛ كان من وجوه الفقهاء الشافعية ومن كبارهم وكان حافظاً للمذهب، ولد في البصرة، سنة: (364هـ)، انتقل إلى بغداد، وله فيه كتاب: (الحاوي) الذي لم يطالعه أحد إلا وشهد له بالتبحر والمعرفة التامة بالمذهب. توفي سنه: (450هـ)، ومن كتبه كذلك (النكت والعيون)، (أدب الدنيا والدين)، (أعلام النبوة). وفيات الأعيان، ج3، ص282، الأعلام، ج4، ص327.

أحدهما: حججه ودلائله، والثاني: آيات الله التوراة التي فيها صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفيمن أريد بهذه الآية قولان: أحدهما: أنهم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان على طعامه، وهذا قول مجاهد، ومن زعم أن الآيات حجج الله تعالى. والثاني: أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة.¹

النموذج الثالث: السياق وتضعيف قول في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ [الحجر: 24].

قال ابن عطية: "...وقال الحسن: معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ أي: في الطاعة، والبدار إلى الإيمان والخيرات، والمستأخرين بالمعاصي... وقال ابن عباس ومروان بن الحكم، وأبو الجوزاء: نزل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، في قوم كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت امرأة جميلة تصلي وراءه، فكان بعض القوم يتقدم في الصفوف لئلا تفتنه، وكان بعضهم يتأخر ليسرق النظر إليها في الصلاة، فنزلت الآية فيهم... وما تقدم الآية من قوله: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وما تأخر من قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾، يُضَعَّفُ هذه التأويلات، لأنها تذهب اتصال المعنى.²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلافا حول تفسير قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ

عَلِمْنَا الْمُسْتَخْرِينَ﴾ [الحجر: 24]، وحاصل الأقوال فيها على ما ذكره قولان :

- الأول: قول الحسن حيث قال: "وقال الحسن: معنى قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ أي: في الطاعة، والبدار إلى الإيمان والخيرات.³

¹ النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، دت، ج2، ص344.

² المحرر الوجيز، ج5، ص286.

³ المحرر الوجيز، ج5، ص286.

- الثاني على أنه سبب نزول الآية: قول ابن عباس ومروان ابن الحكم وأبو الجوزاء: "نزل قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ﴾ الآية، في قوم كانوا يصلون مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت امرأة جميلة تصلي وراءه، فكان بعض القوم يتقدم في الصفوف لثلا تفتنه، وكان بعضهم يتأخر ليسرق النظر إليها في الصلاة، فنزلت الآية فيهم." ¹

ثم ضعف في الأخير هذه الأقوال مستندا في ذلك على السياق سابقا ولحاقا، معللا ذلك بذهاب اتصال المعنى بها واتساقه حيث قال: "وما تقدم الآية من قوله: ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ وما تأخر من قوله: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾، يُضَعِّفُ هذه التأويلات، لأنها تذهب اتصال المعنى." ²

والملاحظ في هذا النموذج أن ابن عطية قبل ذكره للأقوال التي ضعّفها، كان قد فسر الآية على ما يتوافق وسياقها حيث قال: "ثم أخبر تعالى بإحاطة علمه بمن تقدم من الأمم وبمن تأخر في الزمن، من لدن أهبط آدم إلى الأرض إلى يوم القيامة، وأَعْلَمَ أنه هو الحاشر لهم، الجامع لعرض يوم القيامة على تباعدهم في الأقطار والأزمان، وأنَّ حِكْمَتَهُ وعلمه يأتیان بهذا كله على أتم غاياته التي قدَّرها وأرادها... فهذا سياق معنى الآية وهو قول جمهور المفسرين." ³

وبعد ذكره لقول الحسن علّق عليه بقوله: "وإن كان اللفظ يتناول كل من تقدم وتأخر على جميع وجوهه، فليس يطرد سياق معنى الآية إلا كما قدمناه." ⁴

ولم يعلّق ابن عطية على أثر ابن عباس، وأبي الجوزاء، ومروان بن الحكم، حيث لم يذكر له تخريجا، وقد أجاد شيخ المفسرين ابن جرير عند تفسيره لهذه الآية فقال بعد ذكر الخلاف فيها ومرجحها في الأخير بما يوافق سياقها سابقا ولحاقا حيث قال: "وأولى الأقوال عندي في ذلك بالصحة قول من قال: معنى ذلك: ولقد علمنا الأموات منكم يا بني آدم فتقدم موته، ولقد علمنا المستأخرين الذين استأخر موتهم ممن هو حي ومن هو حادث منكم ممن لم يحدث بعد، لدلالة ما قبله من الكلام، وهو قوله ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي﴾

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص286.

² المصدر نفسه، ج5، ص286.

³ المصدر نفسه، ج5، ص285-286.

⁴ المحرر الوجيز، ج5، ص286.

﴿ [الحجر:23]، وما بعده وهو قوله ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجر:25]، على أن ذلك كذلك، إذ كان بين هذين الخبرين، ولم يجر قبل ذلك من الكلام ما يدل على خلافه، ولا جاء بعد، وجائز أن تكون نزلت في شأن المستقدمين في الصف لشأن النساء والمستأخرين فيه لذلك، ثم يكون الله عز وجل عمّ بالمعنى المراد منه جميع الخلق، فقال جل ثناؤه لهم: قد علمنا ما مضى من الخلق وأحصيناهم، وما كانوا يعملون، ومن هو حي منكم، ومن هو حادث بعدكم أيها الناس، وأعمال جميعكم خيرها وشرها، وأحصينا جميع ذلك ونحن نحشر جميعهم، فنجازي كلاً بأعماله، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً؛ فيكون ذلك تهديداً ووعداً للمستأخرين في الصفوف لشأن النساء ولكل من تعدى حد الله وعمل بغير ما أذن له به، ووعداً لمن تقدم في الصفوف لسبب النساء، وسارع إلى محبة الله ورضوانه في أفعاله كلها.¹

النموذج الرابع: السياق وتضعيف قول في أن معنى الآية يكون في (الآخرة).

قال الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:09].

قال ابن عطية: "قال مكّي: هي حقيقة في أحوال الآخرة إذا دخلوا النار، وقوله تعالى: ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يضعف هذا القول؛ لأنّ بصر الكافر بعد القيامة إنما هو حديد، يرى قبح حاله.²"
الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج قولاً لمكّي أن معاني هذه الآية هو في أحوال يوم القيامة حقيقةً حيث قال: "قال مكّي: هي حقيقة في أحوال الآخرة إذا دخلوا النار."³

ثم ضعّف هذا القول بلحاق الآية وهي قوله تعالى ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [يس:9]، ومعللاً

¹ جامع البيان، ج14، ص55.

² المحرر الوجيز، ج7، ص235.

³ المحرر الوجيز، ج7، ص235.

ذلك بقوله " ﴿ فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ يَضَعُّ هَذَا الْقَوْلَ لِأَنَّ بَصَرَ الْكَافِرِ بَعْدَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا هُوَ حَدِيدٌ، يَرَى قَبْحَ حَالِهِ."¹

وقد ذكر أبو حيان أن معنى الآية الظاهر هو بيان الحال التي يكون عليها الكافر حقيقة يوم القيامة، ومعقبا على تضعيف ابن عطية كذلك، بأنه تضعيف ضعيف، مستدلا على ذلك بسياق الاستعمال القرآني حيث قال: " والظاهر أن قوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾ [يس:8] الآية هو حقيقة لا استعارة، لَمَّا أَخْبَرَ تَعَالَى أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، أَخْبَرَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِهِمْ فِي الْآخِرَةِ إِذَا دَخَلُوا النَّارَ، قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: (وَقَوْلُهُ فَأَغَشَيْنَاهُمْ فَهْمًا لَا يُبْصِرُونَ يَضَعُ هَذَا، لِأَنَّ بَصَرَ الْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّمَا هُوَ حَدِيدٌ يَرَى قَبْحَ حَالِهِ). انتهى. ولا يَضَعُّ هَذَا. أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمُقًا ﴾ [الإسراء:97]، وقوله: ﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى ﴾ [طه:125]؟ وإما أن يكون قوله: ﴿ فَبَصَّرْكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا ﴾ [ق:22]، كناية عن إدراكه ما يؤول إليه، حتى كأنه يبصره."²

النموذج الخامس: السياق وتضعيف قول في المقصودين بالآية ﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾

قال الله تعالى ﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: 23].

قال ابن عطية: " واللازم أن الله تعالى أخبر عن الكفار أنهم يلبثون أحقابا، كلما مر حُتْبٌ جاء غيره، إلى غير نهاية... وقال آخرون: الموصوف باللبث أحقابا هم عصاة المؤمنين. وهذا أيضا ضعيف، وما بعده في السورة يردُّ عليه."³

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج تفسير قوله تعالى ﴿ لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾ [النبأ: 23]، فذكر أقوالا

للمفسرين في معناها في جملتها قول من قال إن المقصود باللبث أحقابا هم عصاة المؤمنين، فذكر هذا

¹ المحرر الوجيز، ج7، ص235.

² تفسير البحر المحيط، ج7، ص311.

³ المحرر الوجيز، ج8، ص518. (518/8).

القول دون ذكر صاحبه وعبر عنه بقوله (قال آخرون) حيث قال: "الموصوف باللبث أحقبا هم عصاة المؤمنين."¹

وقد ذكر ابن جرير هذا القول مسندا إلى قائله وهو خالد ابن معدان حيث قال: "وروي عن خالد بن معدان في قوله: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبأ: 23]، وقوله: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ [هود: 108] إني في أهل التوحيد من أهل القبلة."²

وضَعَفَ ابن عطية هذا القول بالسياق فقال: "وهذا أيضا ضعيف، وما بعده في السورة يردُّ عليه."³

وقصد بقوله "وما بعده في السورة يردُّ عليه."⁴ قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ (٢٤) إِلَّا

حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وَفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا (٢٨) وَكُلَّ

شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: 24-40].

فهذه الآيات هي في سياق ذكر ما للكافرين المخلدن في النار يوم القيامة؛ وقد ذكر بعض المفسرين ما ذهب إليه ابن عطية من تضييف لهذا القول منهم:

-الشوكاني بقوله: "وقيل: الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار، والأولى ما ذكرناه أولا من أن المقصود بالآية التأبيد لا التقييد."⁵

-وابن عاشور حيث قال بعدما ذكر هذا القول: "... فإن ذلك ليس من شأن القرآن المكي الأول إذ قد كان المؤمنون أيامئذ صالحين مخلصين مُجَدِّين في أعمالهم."⁶

¹ المحرر الوجيز، ج8، ص518.

² جامع البيان، ج24، ص26.

³ المحرر الوجيز، ج8، ص518.

⁴ المصدر نفسه، ج8، ص518.

⁵ فتح القدير، ج5، ص442.

⁶ التحرير والتنوير، ج30، ص37.

ونجد أن القرطبي ذكر هذا القول من الاحتمالات الواردة على الآية فقال: "وهذا الخلود في حق المشركين. ويمكن حمل الآية على العصاة الذين يخرجون من النار بعد أحقاب."¹

فنلاحظ كيف اختلفت أنظار المفسرين حول تفسير الآية إلا أن تضعيف ابن عطية قوي لاستناده إلى السياق، ويؤكد ذلك أن الله عزوجل ذكر المتقين بعد ذلك بقوله: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حُدَّيْقًا وَعَنْبًا ۝٣٢﴾ [النبا: 31-36]، وأشار الشوكاني إلى ذلك بقوله: "هذا شروع في بيان حال المؤمنين، وما أعد الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما أعد الله لهم من الشر."²

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- استناد ابن عطية في التضعيف بما دل عليه لحاق الآيات كما في غالب النماذج.
- الاستناد في التضعيف بالسباق واللاحق معا، كما في النموذج الثاني والثالث.
- عدم التنصيص على الآيات السابقة أو اللاحقة التي وقع التضعيف بها كما في النموذج الأول والخامس.
- التصريح بضعف الأقوال باستعمال عبارات التضعيف كما في غالب النماذج.
- تضعيف الأقوال وقد يكون في الآية التي ضَعِفَ القول فيها خلاف يخرِّج عليها، فيحسم الخلاف، أو يصير القول مما تحتمله الآية كما في النموذجين الأول والثاني.
- بيان المعنى الصحيح للآية الذي يقتضيه السياق قبل ذكر الخلاف فيها وتضعيف الأقوال كما في النموذج الثالث.
- عدم ذكر أصحاب القول الضعيف والاكتفاء بالإشارة إليهم فقط بقوله: (وقال آخرون) كما في النموذج الخامس.

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج 22، ص 16.

² فتح القدير، ج 5، ص 445.

المطلب الثاني: السياق الداخلي والترجيح بين الأقوال¹:

- الترجيح لغة:

في معجم مقاييس اللغة: "الراء والجيم والحاء أصل واحد، يدل على رَزَانَةٍ وزيادة، يقال رَجَحَ الشيءُ، وهو رَاجِحٌ، إذا رَزَنَ، وهو من الرُّجْحَانِ".²

وجاء في المصباح: "رجح الشيء يرجحُ بفتحين ورجح رجوحا... والاسم الرجحان إذا زاد وزنه... ورجح الميزان يرجحُ ويرجُحُ إذا نُقِلَتْ كِفْتُهُ بالموزون... ورجَّحْتُ الشيءَ بالثقل فضلته وقوته".³

فالترجيح وزن تفعيل يقال: "رَجَّحَ أَحَدُ الْقَوْلِينَ عَلَى الْآخَرَ: أَي غَلَبَهُ، من رجحان الميزان".⁴

فمن خلال النصوص اللغوية لمادة (رجح) يتبين أنه تدور على معاني: الثقل، والرزانة، والميل، والتغليب والتقوية والتفضيل.

- الترجيح اصطلاحاً:

جاء في الكليات: "الترجيح: هو بيان القوة لأحد المتعارضين على الآخر".⁵

وفي التعريفات: "الترجيح: إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر".⁶

وبما أن الكلام حول التفسير والترجيح بين أقوال المفسرين، لم نتعرض لمصطلح الترجيح عند الأصوليين والفقهاء والذي الذي محله الترجيح بين النصوص التي ظاهرها التعارض؛ فنقتصر هنا على مفهوم الترجيح

¹ ينظر للتفصيل في تطبيق ابن عطية للسياق في الترجيح رسالتي في الماجستير: الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية الأندلسي من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام - جمعا ودراسة - بوعكاز علي، رسالة ماجستير، نوقشت في جامعة أحمد دراية - أدرار - 2017م

² معجم مقاييس اللغة، ج2، ص4898.

³ المصباح المنير، ج1، ص219.

⁴ شمس العلوم ودواء كلام العرب، ج4، ص2438.

⁵ الكليات للكفوي، ص315.

⁶ التعريفات للجرجاني، ص56.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

عند أهل التفسير والذي هو: " تقوية أحد الأقوال في تفسير الآية لدليل أو قاعدة تُقوّيه، أو لتضعيف أو ردّ ما سواه.¹

فالمفسرون لهم قواعد يستندون إليها في الترجيح بين الأقوال التفسيرية، ولكلّ مفسّر منهجه في توظيفها والاعتماد عليها، ومن جملتها مراعاة السياق القرآني في الترجيح؛ فيكون الترجيح له سبب جوهري هو سياق الآية والقرائن الحافّة بنظمها.²

وقد كان لابن عطية توظيف بديع للسياق كآلية من آليات الترجيح بين أقوال المفسرين يظهر أثره من خلال النماذج التطبيقية:

- النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق وترجيح قول في قوله تعالى: ﴿الْأَسْمَاءُ﴾

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31].

قال ابن عطية: " واختلف المتأولون: في قوله ﴿الْأَسْمَاءُ﴾ فقال جمهور الأمة: علّمه التسميات،

وقال قوم: عرض عليه الأشخاص. والأول أبين، ولفظة ﴿وَعَلَّمَ﴾ تعطي ذلك.³

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في المقصود بالأسماء في قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ

الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]. فمنهم من قال:

¹ قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي، راجعه: مناع بن خليل القطان، دار القاسم - الرياض - الطبعة الأولى: 1417هـ/1996م، ج1، ص35.

² دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، محمد إقبال عروي، روافد-وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية- الكويت- الطبعة الأولى 1428هـ-2007م، ص36، 37.

³ المحرر الوجيز، ج1، ص170.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

إنَّ المقصود: علّم الله آدمَ أسماءَ الأشياء، وهذا قول جمهور الأمة كما عبر عن ذلك: " فقال جمهور الأمة: علّمه التسميات." ¹

ومنهم من قال: المقصود بتعليمه: عرض عليه الأشخاص، وعبر عن ذلك بقوله "وقال قوم: عرض عليه الأشخاص." ²

ثم رجّح القول الأول مستندا في ذلك إلى السياق وتحديدًا سباق الآية حيث قال: "والأول أبين، ولفظة ﴿وَعَلَّمَ﴾ تعطي ذلك." ³

فلفظة علّم فيها معنى تلقين أسماء الأشياء، وبيان معانيها والإفهام لمدلولها، بخلاف مجرد عرض الأشياء وإبرازها خالية من هذه المقاصد، ثم إن ابن عطية ذكر بعد سرد الخلاف في الآية في آخرها ما يمكن به الجمع بين القولين حيث قال: "والذي يظهر أن الله تعالى علّم آدم الأسماء، وعرض مع ذلك عليه الأجناس أشخاصا، ثم عرض تلك على الملائكة، وسألهم عن تسمياتها التي قد تعلمها آدم." ⁴

وقد ذكر هذا الترجيح ابن جرير الطبري بعد أن اختار أن يكون الذي تعلمه آدم هو أسماء الملائكة والبشر دون سائر الأجناس حيث قال: "وأولى هذه الأقوال بالصواب، وأشبهها بما دل على صحته ظاهر التلاوة، قول من قال في قوله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: 31]، إنها أسماء ذريته وأسماء الملائكة، دون أسماء سائر أجناس الخلق. وذلك أن الله جل ثناؤه قال ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾، يعني بذلك أعيان المسمين بالأسماء التي علمها آدم." ⁵

فتمّ لابن جرير هنا استدلاله بالسياق كذلك، وتحديدًا بلحاق الآية، على أن عرض أعيان المسميات كان بعد تعليم آدم لأسمائها.

¹ المصدر نفسه، ج 1، ص 170.

² المحرر الوجيز، ج 1، ص 170.

³ المحرر الوجيز، ج 1، ص 170.

⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 172.

⁵ جامع البيان، ج 1، ص 518.

النموذج الثاني: السياق وترجيح قول في المقصود باليوم في الآية ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾¹.

في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281].

قال ابن عطية: "وجمهور العلماء على أن اليوم المحذّر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية، وقال قوم هو يوم الموت، والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية."²
الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في (اليوم) الذي جاء التحذير منه في الآية، وذكر لذلك قولين: الأول: أنه يوم القيامة على ما ذكره ابن عطية بأنه قول جمهور العلماء حيث قال: "وجمهور العلماء على أن اليوم المحذّر منه هو يوم القيامة والحساب والتوفية."³

الثاني: هو يوم الموت وهذا القول لم يذكر ابن عطية قائله حيث قال: "وقال قوم هو يوم الموت."⁴
وقد رجح ابن عطية القول الأول على أن المقصود (باليوم) هو يوم القيامة، مستندا في ذلك على السياق والذي هو لحاق الآية، ولم ينصص عليه لكنه ذكر أن هذا المعنى يقتضيه اللفظ، ويقصد بذلك لحاق الآية وهو قوله تعالى ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]. فقال: "والأول أصح بحكم الألفاظ في الآية."⁵

وهذا الترجيح ذهب إليه من المفسرين الزجاج بقوله: "هذا يوم القيامة."⁶ وقد ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية ما يبيّن صحة ترجيح ابن عطية حيث قال: "يعني بذلك جل ثناؤه: واحذروا أيّها الناس يوما

¹ هذا النموذج من رسالتي في الماجستير: الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية الأندلسي، بوعكاز علي، ص125. بدراسة تحليلية مغايرة.

² المحرر الوجيز، ج1، ص110.

³ المحرر الوجيز، ج2، ص110.

⁴ المصدر نفسه، ج2، ص110.

⁵ المصدر نفسه، ج2، ص110.

⁶ معاني القرآن وإعرابه للزجاج، ج1، ص359.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

ترجعون فيه إلى الله، فتلقونه فيه، أن تردوا عليه بسيئات هلككم، أو بمخزيات تحزركم، أو بفاضحات تفضحكم، فتهتك أستاذكم، أو بموبقات توبقكم، فتوجب لكم من عقاب الله ما لا قبل لكم به، وإنه يوم مجازاة بالأعمال، لا يوم استعتاب، ولا يوم استقالة وتوبة وإنابة، ولكنه يوم جزاء وثواب ومحاسبة، تُوفى فيه كل نفس أجرها على ما قدمت واكتسبت من سيئ وصالح، لا يُعَادَرُ فيه صغيرة ولا كبيرة من خير وشر إلا أحضرت، فَوُفِّيَتْ جزاءها بالعدل من ربحها، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: 281]، وكيف يُظلم من جُوزي بالإساءة مثلها، وبالْحَسَنَة عشر أمثالها؟! كلا بل عدل عليك أيها المسيء، وتكرم عليك، فأفضل وأسبغ أيها المحسن، فاتقى امرؤ ربّه، وأخذ منه حذرّه، وراقبه أن يهجم عليه يومه، وهو من الأوزار ظهره ثقيل، ومن صالحات الأعمال خفيف، فإنه عز وجل حذر فأعذر، ووعظ فأبلغ.¹

النموذج الثالث: السياق وترجيح قول في قوله تعالى ﴿يُفْتَنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [التوبة: 126].

قال ابن عطية: " قال مجاهد: ﴿يُفْتَنُونَ﴾ معناه: يُخْتَبَرُونَ بالسَّنَةِ والجُوع، وحكى عنه النقاش أنه قال: مرضة أو مرضتين، وقال الحسن بن أبي الحسن، وقتادة: معناه: يُخْتَبَرُونَ بالأمر بالجهاد، والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي لكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم، فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة، وأما الجهاد والجوع فلا يترتب معهما ما ذكرناه.²

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين حول المقصود بالفتنة في قوله تعالى:

﴿يُفْتَنُونَ﴾ [التوبة: 126]، على ثلاثة أقوال:

- الأول: معناها: يختبرون بالسَّنَةِ والجُوع، وهذا قول مجاهد.
- الثاني: يمرضون مرضةً أو مرضتين، وهذا كذلك قول مجاهد.
- الثالث: يختبرون بالأمر بالجهاد، وهذا قول الحسن وقتادة.

¹ جامع البيان، ج5، ص69.

² المحرر الوجيز، ج4، ص439.

وقد رجح ابن عطية قولاً يتوافق مع السياق سابقاً ولحاقاً، لم يجر لهذا القول ذكرٌ في جملة الأقوال التي حكى بها الخلاف في الآية وذلك بقوله: " والذي يظهر مما قبل الآية ومما بعدها أن الفتنة والاختبار إنما هي لكشف الله تعالى أسرارهم وإفشائه عقائدهم." ¹

وعلّل هذا الترجيح بأنه يتوافق مع سياق الآية ومعانيها، بخلاف غيره من الأقوال فلا يترتب المعنى معها فقال: " فهذا هو الاختبار الذي تقوم عليه الحجة برؤيته وترك التوبة، وأما الجهاد والجوع فلا يترتب معهما ما ذكرناه." ²

إلا أننا نجد ابن جرير يذكر ترجيحاً يجمع به جميع الأقوال حيث قال: " وأولى الأقوال في ذلك بالصحة أن يقال: إن الله تعالى ذكره عَجَبَ عباده المؤمنين من هؤلاء المنافقين، ووبَّخ المنافقين في أنفسهم بقلة تَدَكُّرِهِمْ، وسوء تَبَهُهِمْ لمواعظ الله التي يعظهم بها.

وجائز أن تكون تلك المواعظُ الشدائدُ التي ينزلها بهم من الجوع والقحط.

وجائز أن تكون ما يُرِيهِمْ من نُصْرَةِ رسوله على أهل الكفر به، وَيَرْزُقُهُ من إظهار كلمته على كلمتهم.

وجائز أن تكون ما يَظْهَرُ للمسلمين من نفاقهم وخُبث سرائرهم، بركونهم إلى ما يسمعون من أراجيف المشركين برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ولا خبر يوجب صحة بعض ذلك دون بعض، من الوجه الذي يجب التسليم له، ولا قول في ذلك أولى بالصواب من التسليم لظاهر قول الله وهو: أو لا يرون أنهم يُخْتَبَرُونَ في كل مرة أو مرتين، بما يكون زاجراً لهم، ثم لا ينزحرون ولا يتعظون؟" ³

¹ المصدر نفسه، ج4، ص439.

² المحرر الوجيز، ج4، ص439.

³ جامع البيان، ج12، ص93-94.

النموذج الرابع: السياق وترجيح المراد في قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ ﴾

قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِّنَ الْأَحْزَابِ فَآلْتَارُ مَوْعِدَهُ. فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [هود: 17].

قال ابن عطية: " إختلف المتأولون في المراد بقوله ﴿ أَفَمَنْ ﴾ فقالت فرقة: المراد بذلك المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم. وقالت فرقة: المراد محمد صلى الله عليه وسلم خاصة. وعلي ابن أبي طالب، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن عباس: المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون جميعا... والراجح عندي من الأقوال في هذه الآية أن يكون ﴿ أَفَمَنْ ﴾ للمؤمنين أولهم وللنبي صلى الله عليه وسلم معهم، إذ قد تقدم ذكر الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، فعقب ذكرهم بذكر غيرهم.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ ﴾ وخلاصة ما ذكره من الأقوال ثلاثة وهي:

-الأول: المقصود بهم: المؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم، ونسب هذا القول لفرقة ولم يعين أصحابه، ولكن يشهد لهذا القول ما رواه السيوطي في الدر المنثور: " عن الحسن في قوله

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [هود: 17] قال: المؤمن على بينة من ربه.²

-الثاني: المقصود محمد صلى الله عليه وسلم خاصة. نسبه كذلك لفرقة ولم يعين صاحبه.

وقد ذكره ابن جرير بإسناده على أنه قول: ابن زيد، ومجاهد، وعكرمة، وإبراهيم، وسفيان.³

-الثالث: المراد بذلك محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، ونسب هذا القول: لعلي ابن أبي طالب، والحسن، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن عباس.

¹ المحرر الوجيز، ج2، 552-555.

² الدر المنثور، ج8، ص30.

³ جامع البيان، ج12، ص93.

ثم رجَّح في الأخير أن يكون المقصود بـ(مَنْ) في قوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ ﴾ هم المؤمنون عموماً والنبي صلى الله عليه وسلم معهم، مستندا في ترجيحه إلى السياق وتحديدًا سباق الآية حيث قال: "والراجح عندي من الأقوال في هذه الآية أن يكون ﴿ أَفَمَنْ ﴾ للمؤمنين أولهم ولنبي صلى الله عليه وسلم معهم." ¹ ثم علَّل ترجيحه بالسياق حيث قال: " إذ قد تقدم ذكر الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار، فعقَّب ذكرهم بذكر غيرهم." ²

وهذا السباق الذي رجَّح به لم ينصَّص عليه نذكره للتوضيح والبيان وهو قوله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴾ [١٥] أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: 15-16]، ومقصوده أن الله عزوجل قبل هذه الآية ذكر من ليس لهم في الآخرة إلا النار وهم الكفار، فلم يبق إلا أن يكون المقصود بقوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [هود: 17]، المؤمنون والنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه.

وقد ذكر ابن تيمية هذا المعنى الذي رجحه ابن عطية وأبدع في بيانه بعدة أوجه من السياق القرآني، فقال: " وقوله تعالى ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ ﴾ [هود: 17]، وهذا يعمُّ جميع من هو على بينة من ربه، ويتلوه شاهد منه، فالبينة العلم النافع، والشاهد الذي يتلوه العمل الصالح، وذلك يتناول الرسول ومن اتبعه إلى يوم القيامة، فإنَّ الرسول على بينة من ربه ومتبعيه على بينة من ربه. وقال في حق الرسول: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾ [الأنعام: 57]، وقال في حق المؤمنين: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زِينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [محمد: 14]، فذكر هذا بعد أن ذكر الصنفين في أول السورة فقال: ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [١] وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [٢] ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَطْلَ وَأَنَّ

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص555.

² المحرر الوجيز، ج2، ص555.

الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴿ [محمد: 1-3]، الآيات إلى قوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [محمد: 14].... وقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [هود: 17]، يدل على أن قوله ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [هود: 17]: تتناول المؤمنين، فإنهم آمنوا بالكتاب الأول والآخر، كما تناول النبي صلى الله عليه وسلم، وأولئك يعود إليهم الضمير، فإنهم مؤمنون به بالشاهد من الله، فالإيمان به إيمان بالرسول والكتاب الذي قبله... وأما من قال: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾ [هود: 17]، إنه محمد صلى الله عليه وسلم، كما قاله طائفة من السلف، فقد يريدون بذلك التمثيل لا التخصيص، فإن المفسرين كثيرا ما يريدون ذلك، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو أول من كان على بينة من ربه، وتلاه شاهد منه، وكذلك الأنبياء، وهو أفضلهم وإمامهم، والمؤمنون تبع له، وبه صاروا على بينة من ربهم.... ولفظ (مَنْ) أبلغ صيغة العموم؛ لاسيما إذا كانت شرطا أو استفهاما كقوله ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة: 7-8]، وقوله ﴿ أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ [فاطر: 08]، وقوله ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِيثًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾ [الأنعام: 122]... وأيضا فقد ذكر بعد ذلك ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: 17]، وذكر بعد هذا ﴿ مِثْلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا أَفَلَا نَذَكَّرُونَ ﴾ [هود: 24]، وقوله: ﴿ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [هود: 17]: إشارة إلى جماعة ولم يتقدم قبل هذا ما يصلح أن يكون مشارا إليه إلا ﴿ مَنْ ﴾¹.

فلاحظ كيف وظف ابن تيمية في اختيار هذا القول مجموعة من القرائن السياقية تتمثل في:

1- توظيف السياق من سورة (محمد) بما يشهد على أن النبي محمدا صلى الله عليه وسلم ومن اتبعت على بينة من ربهم، وهذا محل الترجيح من النموذج، واستدل على ذلك بالسباق واللحاق من الآيات من سورة [محمد: 1-14].

¹ التفسير الكبير، تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلمية - بيروت، -، دط، دت، ج5، ص5-26 باختصار.

2- توظيف السياق القريب جدًا والمتمثل في لحاق الآية في قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [هود:17]، وبعده في القرب قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ﴾ [هود:17]، واللحاق الذي بعدهما بآيات من قوله تعالى ﴿مِثْلَ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مِثْلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:24].

3- توظيف سياق الاستعمال القرآني للفظة ﴿مَنْ﴾ وإفادتها للعموم وجاء بما يشهد لذلك من القرآن. النموذج الخامس: السياق وترجيح قول في معنى الانتصار في قوله تعالى ﴿فَانْتَصِرْ﴾ .

قوله تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:10].

قال ابن عطية: " وذهب جمهور المفسرين إلى أن المعنى: أني قد غلبني الكفار بتكذيبهم وتخويفهم، فانتصر لي منهم بأن تهلكهم، ويحتمل أن يريد: فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسول، ويؤيده قول ابن عباس رضي الله عنهما: إن المراد بقوله: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:14] الله تعالى، فوقعت الإجابة على نحو ما دعا نوح عليه السلام، وذهبت المتصوفة إلى أن المعنى: إنني قد غلبتني نفسي في إفراطي في الدعاء على قومي فانتصر مني يا رب بمعاقة إن شئت، والقول الأول هو الحق إن شاء الله تعالى، يدل على ذلك قوله: ﴿فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [القمر:11] الآية، وذلك هو الانتصار من الكفار.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في معنى الدعاء الذي الذي وقع من نوح عليه السلام في قوله تعالى ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾ [القمر:10]، فذكر لذلك ثلاثة أقوال:

-الأول: معناه: أني قد غلبني الكفار بتكذيبهم وتخويفهم فانتصر لي منهم بأن تهلكهم. وهذا قول جمهور المفسرين.

-الثاني: معناه: فانتصر لنفسك إذ كذبوا رسولك. وهذا احتمال ذكره ويؤيده ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما إن المراد بقوله: ﴿جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر:14] الله تعالى.

¹ المحرر الوجيز، ج8، ص142.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

-الثالث: معناه: إني قد غلبتني نفسي في إفراطي في الدعاء على قومي فانتصر مني يا رب بمعاقبه إن شئت. وهذا القول نسبه للمتصوفة.

ثم رجح في الأخير القول الأول، وهو قول الجمهور بأن المعنى: إني قد غلبني الكفار بتكذيبهم وتخويفهم فانتصر لي منهم بان تهلكهم مستندا في ترجيحه إلى السياق وتحديدًا لحاق الآية حيث قال: "والقول الأول هو الحق إن شاء الله تعالى، يدل على ذلك قوله: ﴿فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ [القمر: 11] الآية، وذلك هو الانتصار من الكفار."¹

فبيّن أن لحاق الآية وهو قوله تعالى ﴿فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَرٍ﴾ [القمر: 11]، هي المرجح لما ذهب إليه، حيث قال بعد ذكرها: "وذلك هو الانتصار من الكفار."²

وقد وضّح هذا الاتصال السياقي الذي رجّحه ابن عطية الإمام ابن عاشور عندما قال: "وجملة ﴿

فَفَنَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ إلى آخرها مُفْرَعَةٌ على جملة ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ ، فَفَهُم من التفريع أن الله

استجاب دعوته وأنّ إرسال هذه المياه عقابٌ لقوم نوح."³

ولكن يظهر عند النظر أن هذه الآية وحدها لا يتم بها المقصود والغرض إلا بالآيات بعدها لبيان صورة

الانتصار من الكفار وهي قوله تعالى ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدِّدَرٍ ۗ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ

عَلَىٰ ذَاتِ الْوَجِّ وَدُسِّرَ ۗ ۝١٣ تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۗ ۝١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ۗ ۝١٥

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾ [القمر: 12-15].

¹ المصدر نفسه، ج 8، ص 142.

² المحرر الوجيز، ج 8، ص 142.

³ التحرير والتنوير (27/ 182).

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- عدم التصريح أحياناً بأسماء أصحاب الأقوال والاكتفاء بقوله (جمهور الأمة)، (جمهور العلماء)، (قال قوم)، (قالت فرقة)، (جمهور المفسرين).

- استعمال السياق، سباقاً، أو لاحقاً، أو كلاهما في الترجيح.

- عدم التنصيص أحياناً على الآيات التي استند إليها في الترجيح والاكتفاء بالإشارة إليها فقط.

- التنوع في استعمال عبارات الترجيح: (أبين)، (أصح)، (والذي يظهر)، (الراجح عندي)، (وهو الحق إن شاء الله). كما هو في النماذج.

- ترجيح قول بالسياق لم يجر له ذكر في جملة من حكى عنهم الخلاف في الآية كما في النموذج الثالث.

- تغليب جانب الترجيح مع إمكان حمل الآية على جميع الأقوال كما في النموذج الثالث.

- ذكر الخلاف في الآية وسرد أقوال المفسرين وما ينبنى عليها من اختلاف المعاني، ثم العودة إليها

بالترجيح بعد صفحات من ذكر مسائل الخلاف كما في النموذج الرابع وهذا كثير في تفسيره.

المبحث السادس: توظيف السياق الداخلي على علوم القرآن

لقد كان للسياق الداخلي في تفسير ابن عطية تأثيرا واضحا من خلال توظيفه له على جملة من علوم القرآن، وليس الغرض هنا استقصاء تلك العلوم، وإنما ذكرٌ لأهمها مما يظهر تأثير السياق الداخلي عليها ويتجلى ذلك من النماذج التطبيقية وقبل ذلك نعرج على المطالب الآتية:

المطلب الأول: السياق الداخلي وعلم القراءات:

- مفهوم القراءة لغة:

جاء في مختار الصحاح: " (قرأ) الكتاب (قراءة) و (قرآنا) بالضم. و (قرأ) الشيء (قرآنا) بالضم أيضا جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: 17] أي: قراءته.¹

- القراءات اصطلاحا:

وأما القراءات في الاصطلاح فهي: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن، واختلافها معرّوا لناقله.² ويعني ذلك: اختلاف ألفاظ الوحي، وفقا للهجات العرب، تيسيرا على الأمة، ورفعاً للحرص عنها، واستنباطا للأحكام والمعاني منها، كما نُقلت إلينا بالتواتر التام، والثبوت القطعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع الشهرة والاستفاضة، وعزو هذه القراءات إلى الأئمة الذين اشتهروا بها ونُسبت إليهم.³ وقد كان للسياق القرآني في تفسير ابن عطية تأثيرا واضحا عند تعرّضه لذكر القراءات القرآنية في تفسيره وبيان مذاهب القراء في الآية المفسّرة، ويظهر ذلك من خلال النماذج التطبيقية الآتية:

¹ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-بيروت-، الطبعة الخامسة: 1420هـ-1999م، ص 249.

² منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري، إعتناء: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م، ص 9.

³ فن الترتيل وعلومه، أحمد عبد الله الطويل، طبعة: مجمع الملك فهد-بالمدينة النبوية-، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-الرياض-الطبعة الثالثة: 1433هـ-2012م، ص 89.

-النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى ﴿يَكْذِبُونَ﴾¹.

قال الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:10].

قال ابن عطية: " وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر [يُكذَّبُونَ] بضم الياء وتشديد الذال،

وقرأ الباقون بفتح الياء وتخفيف الذال، فالقراءة بالثقل يؤيدها قوله تعالى قبل: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

[البقرة:8]، فهذا إخبار بأنهم يُكذَّبُونَ، والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار

بكذبهم.²

-الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج ما ورد من القراءات القرآنية في قوله تعالى ﴿يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:10]،

فقد قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر (يُكذَّبُونَ) بضم الياء وتشديد الذال، وقرأ الباقون وهم:

عاصم، وحمزة، والكسائي، بالتخفيف (يَكذِبُونَ).³

وقد ذكر ابن عطية لِكِلَا القراءتين ما يؤيده من السياق، فبيّن أن قراءة الثقل يؤيدها سياق الآية

فقال: "فالقراءة بالثقل يؤيدها قوله تعالى قبل: ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:8]، فهذا إخبار بأنهم

يُكذَّبُونَ.⁴

¹ الترجيح بدلالة السياق، بوعكاز علي، ص71. بدراسة تحليلية مغايرة.

² المحرر الوجيز، ج1، ص120.

³ ينظر: مصحف القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر، إعداد جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنطا-مصر-الطبعة الرابعة: 1433هـ-2012م، ص3.

⁴ المحرر الوجيز، ج1، ص120.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

ثم ذكر قراءة التخفيف وما يؤيدها من السياق مما سبقها كذلك، وقد يحتمل كذلك لحاقها حيث قال: "والقراءة بالتخفيف يؤيدها أن سياق الآيات إنما هي إخبار بكذبهم."¹

وقد ذكر ابن زنجلة² هذا السياق الذي يحتمله كلام ابن عطية سابقاً ولحاقاً بقوله: "وحجة التخفيف أن ذلك أشبه ما قبل الكلمة وما بعدها، فالذي قبلها مما يدل على الكذب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ﴾ [البقرة:8]، وقال الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة:10]، وما بعدها قوله ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:14] فقوله ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ﴾ دلالة على كذبهم فيما ادَّعَوْه من إيمانهم، وإذا كان أشبه بما قبله وما بعده فهو أولى."³

النموذج الثاني: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾

قوله تعالى ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف:196].

قال ابن عطية: "وقرأ جمهور الناس والقراءة ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾ بياء مكسورة مشددة وأخرى مفتوحة، وقرأ أبو عمرو فيما روي عنه ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾ بياء واحدة مشددة ورفع ﴿اللَّهُ﴾...، وقرأ الجحدري فيما ذكر أبو عمرو الداني [إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ] على الإضافة. وفسر ذلك بأن المراد جبريل صلى الله عليه وسلم، ذكر القراءة غير منسوبة أبو حاتم وضعفها، وإن كانت ألفاظ هذه الآية تلائم هذا المعنى وتصلح له، فإن ما قبلها وما بعدها يدفع ذلك."⁴

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص120.

² عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة: عالم بالقراءات كان قاضياً مالكيًا، قرأ علي أحمد بن فارس كتابه (الصاحبي) سنة 382 في المحمدية (بالري)، توفي سنة: (403هـ)، وصنّف كتباً منها: (حجة القراءات) حققه الأستاذ سعيد الأفغاني، و(شرف القراء في الوقف والابتداء). الأعلام، ج3، ص325.

³ حجة القراءات، عبد الرحمان بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، طبعة: الرسالة، الطبعة الخامسة: 1418هـ-1997م، ص89.

⁴ المحرر الوجيز، ج4، ص115.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج القراءات في قوله تعالى ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾ [الأعراف:196]، فكان مجمل ما ذكره من القراءات ثلاث قراءات:

- الأولى: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾ بياء مكسورة مشددة وأخرى مفتوحة. وهذه قراءة الجمهور.

- الثانية: ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ﴾ بياء واحدة مشددة ورفع ﴿اللَّهُ﴾. وهي قراءة أبي عمرو.

- الثالثة: [إِنَّ وَلِيََّ اللَّهُ] على الإضافة. وهذه قراءة الجحدري.

ثم علق على قراءة الجحدري بقوله: " ذكر القراءة غير منسوبة أبوحاتمٍ وضعَّها. " ¹

ويكون معناها أن المراد بالذي نزل القرآن هو جبريل عليه السلام.

قال أبو حيان مبيِّناً ما نُقل كذلك من قراءة الجحدري: " واختلفَ النقل عن الجحدري فنقل عنه صاحب كتاب اللوامح في شواذ القراءات إن وَلِيََّ بياء مكسورة مشددة وحذفت ياء المتكلم لما سكنت التقى ساكنان فحذفت، كما تقول: إن صاحِبِي الرجلُ الذي تعلم. " ²

وقد التفت ابن عطية إلى السياق محاولاً تخريج قراءة الجحدري التي حُكِمَ عليها بالضعف، وأنها من شواذ القراءات فقال: " وإن كانت ألفاظ هذه الآية تلائم هذا المعنى وتصلح له. " ³

ثم استدرك بأن السياق سباقاً ولحاقاً يدفع هذه القراءة ولا يتخرج المعنى بها على أن المراد جبريل عليه السلام حيث قال: " وإن كانت ألفاظ هذه الآية تلائم هذا المعنى وتصلح له، فإن ما قبلها وما بعدها يدفع ذلك. " ⁴

قال أبو حيان: " وتفسير هذه القراءة بأن المراد بها جبريل وإن احتملها لفظ الآية لا يناسب ما قبل هذه الآية ولا ما بعدها. " ⁵

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص115.

² تفسير البحر المحيط، ج4، ص442.

³ المحرر الوجيز، ج4، ص115.

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص115.

⁵ تفسير البحر المحيط، ج4، ص442.

وقال القرطبي: " والقراءة الأولى آيين، لقوله ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ [الأعراف:196].¹

وهذا السباق واللحاق الذي اكتفى بالإشارة إليه ابن عطية دون ذكر له وكذلك أئمة التفسير لتضعيف قراءة الجحدري، نذكره للتوضيح أكثر، وممن أجاد صياغة ذلك المعنى من المفسرين:

- الإمام أبو السعود² بقوله: " ﴿ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف:195]، بعد ما بُيِّنَ أن شركاءهم لا يَقْدِرُونَ على شيء ما أصلاً، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يناصبهم للمُحاجة ويكرِّر عليهم التبيكيت وإقام الحجر أي: أدعوا شركاءكم واستعينوا بهم عليّ ﴿ كِيدُونِ ﴾ جميعاً أنتم وشركاءكم وبالغوا في ترتيب ما تقدرون عليه من مبادئ الكيد والمكر ﴿ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ أي فلا تُمهلوني ساعةً بعد ترتيب مقدمات الكيد فيني لا أبالي بكم أصلاً ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ﴾ [الأعراف:196]، تعليلٌ لعدم المبالاة المُنفهم من السَّوق انفهاماً جلياً، ووصفه تعالى بتنزيل الكتاب للإشعار بدليل الولاية والإشارة إلى علة أخرى لعدم المبالاة كأنه قيل: لا أبالي بكم وبشركائكم لأن وليي هو الله الذي أنزل الكتاب الناطق بأنه وليي وناصري وبأن شركاءكم لا يَسْتَطِيعُونَ نصرَ أنفسهم فضلاً عن نصركم.³

¹ الجامع لأحكام القرآن، ج9، ص417.

² محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد سنة:

(898هـ)، بقرب القسطنطينية، ودرس ودرَّس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء، وأضيف إليه الإفتاء سنة: 952 هـ

وكان حاضر الذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعاً لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم). توفي سنة: (982هـ). الأعلام، ج7، ص59.

³ إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة-الرياض-، دط، دت، ج2، ص455.

النموذج الثالث: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى: ﴿رَشَدًا﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿إِذْ أَوْىٰ أَلْفَتِيَّةُ إِلَىٰ أَلْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:10].

قال ابن عطية: " وقرأ الجمهور ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الراء والشين، وقرأ أبو رجاء (رُشدا) بضم الراء وسكون الشين، والأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد.¹"
الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى مذاهب القراء في قراءة قوله تعالى ﴿رَشَدًا﴾ [الكهف:10]، فذكر مذهبين:

-الأول: ﴿رَشَدًا﴾ بفتح الراء والشين. وهي قراءة الجمهور.

-الثاني: ﴿رَشَدًا﴾ بضم الراء وسكون الشين. وهي قراءة أبو رجاء.

ثم ذكر أن قراءة الجمهور أرجح لتناسبها مع فواصل الآيات وخواتيمها سباقا ولحاقا من قوله تعالى:

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: 09]، وقوله تعالى

بعدها ﴿فَضْرَبْنَا عَلَىٰ ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ (١١) ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِ أَحْصَىٰ

لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا﴾ (١٢) [الكهف: 11-12]. إلى ما بعدها من الآيات التي تتوافق وسياق فواصلها، وقد

أشار إلى هذا التعليل بالسياق بعض المفسرين من هم:

-السمين الحلبي: " وقراءة العامة هنا أليق لتوافق الفواصل.²"

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص572.

² الدر المصون، ج7، ص446.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

-ابن عاشور حيث قال: " ووجه إثارة-مفتوح الراء والشين- في هذه السورة في هذا الموضع وفي قوله الآتي:

﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾ [الكهف: 24]: أن تحريك الحرفين فيهما أنسب بالكلمات الواقعة في قرائن الفواصل.¹

ومقصود المفسرين بفواصل الآيات: جمع فاصلة: والفاصلة: " هي آخر كلمة في الآية، ويعبر عنها برأس الآية، وعلم الفواصل: هو العلم الذي يبحث في أحوال آيات القرآن الكريم من حيث عدد الآيات في كل سورة، وما هي رأس الآية أو خاتمها...ومن فوائده التعرف على رأس الآية عن طريق مشكلة الفاصلة لغيرها مما هو معها في السورة في الحرف الأخير منها أو فيما قبله.²

النموذج الرابع: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في: ﴿ أَشُدُّ ﴾ و ﴿ وَأَشْرِكُهُ ﴾

قال تعالى: ﴿ هَذُونَ أَخِي ﴾ (٣٠) أَشُدُّ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) [طه: 30-32].

قال ابن عطية: " وقرأ ابن عامر وحده [أَشُدُّ] بفتح الهمزة و [أَشْرِكُهُ] بضمها على أن موسى عليه السلام أسند هذه الأفعال إلى نفسه، ويكون الأمر هنا لا يريد به النبوة بل يريد تدييره ومساعيه؛ لأن النبوة لا يكون لموسى أن يُشرك فيها بشرا، وقرأ الباقون: [أَشُدُّ] بضم الهمزة [وَأَشْرِكُهُ] على معنى الدعاء في شَدَّ الأزرق وتشريك هارون عليه السلام في النبوة، وهذه هي الوجه لأنها تناسب ما تقدم من الدعاء، وتعزدها آيات غير هذه بطلبه تصديق هارون إيَّاه.³

-الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج مذاهب القراء في قوله تعالى: ﴿ أَشُدُّ ﴾ و قوله: ﴿ وَأَشْرِكُهُ ﴾ فذكر قراءتين:

¹ التحرير والتنوير، ج15، ص267.

² مقدمات في علم القراءات، أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، دار عمار-الأردن- الطبعة الثانية: 1430هـ-2009م، ص213.

³ المحرر الوجيز، ص6، ص91.

-الأولى: [أَشْدُدْ] بفتح الهمزة و [أَشْرِكُهُ] بضمها على أن موسى عليه السلام أسند هذه الأفعال إلى نفسه. وهي قراءة ابن عامر وحده، ووجهها بقوله: " ويكون الأمر هنا لا يريد به النبوة بل يريد تدييره ومساعدته؛ لأن النبوة لا يكون لموسى أن يُشرك فيها بشرا." ¹

قال النحاس: " وهذه القراءة شاذة بعيدة لأن جواب مثل هذا إنما ينجزم بمعنى الشرط والمجازاة فيكون المعنى: إن تجعل لي وزيراً من أهلي أشدد به أزري وأشركه في أمري. وأمره النبوة والرسالة، وليس هذا إليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به، وإنما يسأل الله جلّ وعزّ أن يشركه معه في النبوة." ²

-الثانية: [أَشْدُدْ] بضم الهمزة [وأَشْرِكُهُ] على معنى الدعاء في شدّ الأزر وتشريك هارون عليه السلام في النبوة. ونسبها للباقيين: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وأبو جعفر، ويعقوب، وخلف. ³

ثم ذكر أن المناسب مع هذه القراءات مع السياق القرآني هي قراءة الجمهور حيث قال: " وهذه هي الوجه؛ لأنها تناسب ما تقدم من الدعاء، وتعضدها آيات غير هذه بطلبه تصديق هارون إيّاه." ⁴

فلاحظ أن تقديمه لقراءة الجمهور بناءً على السياق من جهتين:

الأولى: السباق: وهو ما عبر عنه بقوله: " لأنها تناسب ما تقدم من الدعاء." ⁵ يشير بذلك إلى قوله

تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَذُونَ أَخِي ﴿ طه: 25-30 ﴾.

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص91.

² إعراب القرآن، ص581.

³ ينظر: مصحف القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر، ص313.

⁴ المحرر الوجيز، ج6، ص91.

⁵ المحرر الوجيز، ج6، ص91.

- الثانية: سياق الآيات القرآنية في غير هذه السورة، والتي تعضد قراءة الجمهور وعبر عن ذلك بقوله: "وتعضدها آيات غير هذه بطلبه تصديق هارون إياه."¹

يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْنَا مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص:34].

قال ابن كثير: " وزيراً ومعيناً ومقرباً لأمرى، يصدقني فيما أقوله وأخبر به عن الله عز وجل؛ لأن خبر اثنين أنجع في النفوس من خبر واحد."²

النموذج الخامس: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى: ﴿ يَكُونُ ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مِؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:36].

قال ابن عطية: " وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وعيسى: [أن تكون] بالتاء على لفظ [الخيرة]. وقرأ عاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأعمش، وأبو عبد الرحمن: ﴿ يَكُونُ ﴾ على معنى [الخيرة]، وأن تأنيثها غير حقيقي.

وقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾ [القصص: 68] دون علامة تأنيث يقوي هذه القراءة التي بالياء."³

الدراسة التحليلية:

أشار ابن عطية في هذا النموذج قراءات القراءة في قوله تعالى ﴿ أَنْ يَكُونُ ﴾ [الأحزاب:36].

الأولى: [أَنْ تَكُونَ] بالتاء على لفظ [الخيرة]. وهذه قراءة: ابن كثير، ونافع، وأبو عمر، وابن عامر، وأبو جعفر، وشيبة، والأعرج، وعيسى.

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص91.

² تفسير القرآن العظيم، ج10، ص461.

³ المحرر الوجيز، ج7، ص121.

الثانية: ﴿يَكُونُ﴾ على معنى [الخَيْرَة]، وأن تأنيثها غير حقيقي. وهذه قراءة عاصم، وحمزة، والكسائي، والحسن، والأعمش، وأبو عبد الرحمان.

ثم ذكر أن السياق القرآني في الآية الأخرى من سورة القصص يقوّي قراءة الياء ﴿يَكُونُ﴾ على معنى [الخَيْرَة]، وأن تأنيثها غير حقيقي، وهو ما أشار إليه بقوله: "وقوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ [القصص: 68] دون علامة تأنيث يقوّي هذه القراءة التي بالياء.¹

أشار إلى هذا ابن زنجلة بقوله: "قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ بالياء لأن تأنيث ﴿الْخَيْرَةُ﴾ غير حقيقي وهي معنى الخيار، وحجتهم إجماع الجميع على قوله ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ [القصص: 69]، ولم يثبتوا علامة التأنيث في ﴿كَانَ﴾.²

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- ذكر القراءة القرآنية وبيان ما يؤيدها من السياق كما في النموذج الأول.
- بيان أن السياق يدفع القراءة ولا يلائم معناها وبالتالي عدم الاعتبار بها كما في النموذج الثاني.
- كقوله: "ما قبلها وما بعدها يدفع ذلك."
- وقوله: "الأولى أرجح لشبهها بفواصل الآيات قبل وبعد."
- وقوله: "هذه هي الوجه لأنها تناسب ما تقدم من الدعاء، وتعضدها آيات غير هذه بطلبه تصديقاً هارون إِيَّاه."
- كما نلاحظ كيف أثر السياق القرآني في توجيه القراءة وتقوية معناها، وقد استعمل السياق القرآني لسور أخرى في النموذجين الرابع والخامس، بناء على القاعدة السياقية عنده في القرآن والتي نصّ عليها بقوله: "والقرآن كله كالسورة الواحدة."⁶

¹ المحرر الوجيز، ج7، ص221.

² حجة القراءات، ص578.

⁶ المحرر الوجيز، ج8، ص470.

المطلب الثاني: السياق وعلم المناسبات:

- المناسبة لغة

جاء في لسان العرب: "نَسَبَهُ يَنْسِبُهُ وَيَنْسِبُهُ نَسْبًا، عَزَاهُ، وَنَسَبَهُ، سَأَلَهُ أَنْ يَنْتَسِبَ. نَقُولُ: لَيْسَ بَيْنَهُمَا مَنَاسِبَةٌ أَيْ مَشَاكَلَةٌ."¹

وجاء في تاج العروس: "يقال: بين الشيئين مناسبة وتناسب، أي مشاكلة وتشاكل."²

وفي معجم مقاييس اللغة: "(نَسَبَ) النون والسين والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء ومنه النسب لاتصاله وللاتصال به، تقول نسبت أنسب، وهو نسيب فلان، ومنه النسيب في الشعر إلى المرأة، كأنه ذكر يتصل بها، والنسيب: الطريق المستقيم لاتصال بعضه من بعض."³

ومنه المناسبة في العلة في باب القياس الوصف المقارب للحكم لأنه إذا حصلت مقارنته له ظن عند وجود ذلك الوصف وجود الحكم.⁴

فالمناسبة والتناسب في اللغة فيها معاني القرب والاتصال والترابط.

- المناسبة اصطلاحاً:

قال ابن القيم: "وهو ترتيب المعاني المتأخية التي تتلاءم ولا تتنافر والقرآن العظيم كله متناسب ولا تتنافر فيه ولا تباين."⁵

عرّفه الإمام البقاعي بقوله: "[علم تعرف منه علل الترتيب]."⁶ أي: ترتيب آيات القرآن وسره وكلماته.

¹ لسان العرب، ج1، ص755-756.

² تاج العروس، ج1، ص484.

³ معجم مقاييس اللغة، ج5، ص423-424.

⁴ البرهان في علوم القرآن، ج1، ص35.

⁵ الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت-، الطبعة الثانية:

1988م، ص128.

⁶ نظم الدرر، ج1، ص5-6.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

وقال الإمام السيوطي: "...ومرجعها- المناسبة- في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام، أو خاص، عقلي، أو حسي، أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب المسبب، والعللة والمعلول والنظيرين والضدين." ¹

وعرفها مصطفى مسلم بقوله: "هي الرابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها." ²

من خلال التعاريف السابقة يمكن أن نعرف بالمناسبة بأنها: علم يبحث في أوجه الارتباط وحكمته بين السور والآيات والكلمات القرآنية، مع مراعاة سياق الآيات سباقا ولحاقا لمعرفة علل الترتيب بين مقاطع القرآن الكريم.

وأما فائدته فقد قال الزركشي: "جعل أجزاء الكلام بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء." ⁵

-أنواع المناسبات

تعدد أنواع المناسبات، بتنوع أفهام المفسرين في القرآن الكريم، لذلك نجد أنواعا كثيرة من المناسبات يذكرها المفسرون في الربط بين أجزاء القرآن الكريم، تُذكر عن بعضهم ولا يذكرها البعض الآخر، وهذا دليل على تنوع الفهوم والمدارك في استنباط أسرار القرآن الكريم ومعانيه وبهذا التنوع تعددت أنواع المناسبات. فنجد مناسبة اسم السورة لموضوعاتها، مناسبة اللفظة للآية التي وردت فيها، مناسبة خاتمة الآية لموضوعها، مناسبة مبدأ الآية لخاتمتها، مناسبة الآية للآية التي تليها، ومناسبة السورة للسورة التي تليها، ومناسبة خاتمة السورة لفاتحة التي تليها، ومناسبة موضوعات السورة لموضوعات السورة التي تليها وقد يوجد أكثر من مناسبة بين الموضوعين اللذين تحكي بينهما المناسبة. ⁶

¹ يُنظر للتفصيل في هذه الأنواع: الإتقان في علوم القرآن، ج5، 1840-1864.

² مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم-دمشق-الطبعة الأولى: 1410هـ-1989م، ص58.

⁵ البرهان للزركشي، ص36.

⁶ أنواع التصنيفات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، مساعد ابن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية:

1423هـ، ص154.

- العلاقة بين السياق وعلم المناسبات:

إن علم المناسبات القرآنية هو الترجمان الحقيقي للسياق القرآني، وارتباطه به كارتباط الرأس بالجسد، فلا يكاد ينفك عنه بحال، إذ إن علم المناسبات يبحث في بيان وجه ارتباط الآيات بعضها ببعضها الآخر في سياقها، والسياق هو الضامُّ لتلك الآيات بما تحمله من معانٍ وحقائق.

فبيان وجه مناسبة الآيات: هو بيان وجه اتساقها وانتظامها في سياق ما، أي: إنَّ السياق هو الكاشف عن وجه المناسبة ولا يستطيع الباحث أن يتوصل إليها إلا بالسياق؛ فهو الدال على معانيها ومبانيها، وحينئذ تكون وظيفة علم المناسبات: الإجابة على الأسئلة الواردة على تلك الآيات التي لا يظهر وجه مناسبتها لأول وهلة، فوظيفة السياق: الكشف عن تتابع وانتظام المعاني، ووظيفة علم المناسبات: الكشف عن وجه ورود هذا المعنى وارتصافه في هذا المكان دون غيره، وبيان اللحمة والاتلاف والترابط بين عناصر السياق الواحد؛ فهي علاقة تكاملية. هذه هي العلاقة التي بين علم المناسبات والسياق يتضح من خلالها أن كلاً منهما يكمل الآخر ويخدم بيان وحدة النص القرآني، الذي ما فتى الباطنيون قديماً والحداثيون حديثاً في محاولة تمزيق وحدته وأحذه قطعاً متناثرة.¹

وقد كان للسياق القرآني تأثيراً في تفسير ابن عطية، مزج فيه في كثير من المواضع بين السياق والمناسبات، بما يوضح اهتمامه بالسياق وتوظيفه في بيان المناسبات القرآنية يتضح ذلك من خلال النماذج التطبيقية:

- النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق ومناسبة قوله تعالى: ﴿قَدِيرٌ﴾

قوله تعالى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ

اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

قال ابن عطية: " (قدير) بمعنى (قادر)، وفيه مبالغة، وخص هنا صفة التي هي القدرة بالذكر؛ لأنه قد تقدم ذكر فعلٍ مضمَّنه الوعيد والإخافة، فكان ذكر القدرة مناسباً لذلك."²

¹ نظرية السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثني عبد الفتاح محمود، ص 50-51.

² المحرر الوجيز، ج 1، ص 142.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج دور السياق في بيان وجه المناسبة بين ختم الآية بقوله تعالى ﴿قَدِيرٌ﴾ في الآية من قوله تعالى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20].

فقال: " وخص هنا صفته التي هي القدرة بالذكر؛ لأنه قد تقدم ذكر فعلٍ مضمّن الوعيد والإحافة. " ¹ فوضّح أن سباق الآية مما تقدمها أثر في ذلك مما ذكره الله عزوجل من فعل يتضمن الوعيد والتخويف، وهذا السباق هو قوله تعالى ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: 20].

يتضح هذا التناسب بذكر ما ذكره بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى في آخر هذه الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 20]: منهم:

- ابن جرير: " وإنما وصف الله نفسه جل ذكره بالقدرة على كل شيء في هذا الموضع؛ لأنه حذر المنافقين بأسه وسطوته، وأخبرهم أنه بهم محيط، وعلى إذهاب أسماعهم وأبصارهم قدير، ثم قال جلّ ذكره: فاتقوني أيها المنافقون، واحذروا خداعي وخذاع رسولي وأهل الإيمان بي؛ لا أجلُّ بكم نعمتي، فإني على ذلك وعلى غيره من الأشياء قادر ومعنى ﴿قَدِيرٌ﴾ قادر. " ²

- محمد رشيد رضا³: " وهاهنا لما هدد المنافقين بأنه لو شاء أن يذهب بسمعهم وأبصارهم لذهب بها،

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص142.

² جامع البيان، ج1، ص384.

³ رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين منلا علي خليفة القلموني البغدادي الأصل، ولد سنة (1282هـ)، تعلم في مدرسة قلمون قواعد الحساب والخط والقراءة بما فيها قراءة القرآن الكريم، أنشأ مجلة المنار في مدينة القاهرة سنة 1315هـ الموافق 1898م، وهي مجلة إصلاحية، توفي سنة (1354هـ)، من كتبه (تفسير المنار)، (الإسلام وأصول التشريع العام)، وغيرها. مشاهير علماء نجد، عبد الرحمان بن عبد اللطيف بن عبد الوهاب، دار اليمامة-الرياض- الطبعة الأولى (1392هـ)، (1972م)، ص288.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

علَّه بأنه على كل شيء قدير، للإعلام بأن تَعَلُّقُ مشيئته يَتَّصِلُ به تَعَلُّقُ قدرته، فما شاء كان قطعاً؛ لأنه لا يعجزه شيء، وتأثير الأسباب في مسباتها منوط بمشيئته تعالى.¹

فعبّر ابن عطية عن هذه المناسبة السياقية بقوله: " فكان ذكر القدرة مناسبة لذلك."²

النموذج الثاني: السياق والمناسبة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: 118].

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، لما كان هذا القول في تعديد نعمه بدأ في ترتيبه

بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك مُنبِّهًا على تلقي النعمة من عنده لا ربَّ غيره، ولو كان

القول في تعديد ذنب لكان الابتداء بالجهة التي هي عن المذنب كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ

قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: 5] ليكون هذا أشدَّ تقريراً للذنب عليهم، وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه

ومُعجز اتِّساقه.³

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى وجه المناسبة في البدئ بذكر نفسه تبارك وتعالى عندما ذكر توبته

جلَّ وعز على الثلاثة المتخلفين عن غزوة تبوك حيث قال: وقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾، لما

كان هذا القول في تعديد نعمه بدأ في ترتيبه بالجهة التي هي عن الله عز وجل ليكون ذلك مُنبِّهًا على

تلقي النعمة من عنده لا ربَّ غيره.⁴

فالسباق، سياق بيان نعمة الله عز وجل؛ فيحسن بذلك ويناسب البدئ بذكر نفسه عز وجل، لبيان

أنه ما من نعمة فمنه وحده عز وجل، وسباق الآية يدل على ذلك وهو قوله تعالى:

¹ تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، دار المنار-القاهرة-، الطبعة الثانية: 1366هـ-

1947م، ج1، ص150.

² المحرر الوجيز، ج1، ص142.

³ المصدر نفسه، ج4، ص430.

⁴ المحرر الوجيز، ج4، ص430.

﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: 17].

قال ابن سعدي: " يخبر تعالى أنه من لطفه وإحسانه تَابَ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

﴿ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ فغفر لهم الزلات، ووفر لهم الحسنات، ورقاهم إلى أعلى الدرجات، وذلك بسبب قيامهم بالأعمال الصعبة الشاقات، ولهذا قال: ﴿ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ﴾ أي: خرجوا معه لقتال الأعداء في وقعة "تبوك"، وكانت في حر شديد، وضيق من الزاد والركوب، وكثرة عدو، مما يدعو إلى التخلف، فاستعانوا الله تعالى، وقاموا بذلك ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ أي: تنقلب قلوبهم، ويميلوا إلى الدعة والسكون، ولكن الله ثبتهم وأيدهم وقواهم... وقوله ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ﴾ أي: قَبِلَ تَوْبَتَهُمْ ﴿ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ومن رأفته ورحمته أَنْ مَنَّ عَلَيْهِمْ بِالتَّوْبَةِ، وقبلها منهم وثبتهم عليها.¹

ثم ذكر ابن عطية أن هذا السباق في تعداد النعم على المهاجرين والأنصار يتناسب مع بدئ الله عزوجل بنفسه عندما ذكر توبته على الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك بعد هذه الآية مباشرة، وعبر عن ذلك بقوله: " وهذا من فصاحة القرآن وبديع نظمه ومُعْجَزَاتِهِ ²."

النموذج الثالث: السياق والمناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾

قال تعالى ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: 24].

قال ابن عطية: " وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ استعارة، أي: أقطعهما جانب الذلّ منك، ودَيِّتْ لهما نفسك وخُلُقُك، وبوُلِّغْ بذكر الذلّ هنا ولم يُذكر في قوله تعالى ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: 215]، وذلك بحسب عِظَمِ الحَقِّ هنا.³

¹ تيسير الكريم الرحمان، ص 354.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 430.

³ المحرر الوجيز، ج 5، ص 463.

-الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج المناسبة من ذكر الذل في آية بر الوالدين من سورة الإسراء، الأمره بخفض الجناح لهما والتواضع لجنابهما، والذي يناسب هذا المعنى في الآية ما ذُكر من خفض الجناح أولاً والذي فيه الذل حيث قال: " وقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ استعارة، أي: أقطعهما جانب الذلّ منك، ودَيِّتَ لهما نفسك وخلقك. "¹

ذلك الفعل المستعار من هيئة الطائر مع ولده، أو مع من يخافه من طائر أشد منه قوة حيث يذلل له خوفاً منه، أو غيرها من هيئات التذلل، فقد قال القرطبي: " وضربَ خَفَضَ الجناحَ ونَصَبَهُ مثلاً للجناح الطائر حين يَنْتَصِبُ بِجَنَاحِهِ لولده. "²

وقال ابن عاشور: " وخفض الجناح تمثيل للرفق والتواضع بحال الطائر إذا أراد أن ينحط للوقوع خفض جناحه يريد الدنو، وكذلك يصنع إذا لاعب أثنائه فهو راكن إلى المسالمة والرفق، أو الذي يتهبأ لحضن فراخه. "³

وقال أيضاً: " وصيغ التعبير عن التواضع بتصويره في هيئة تذلل الطائر عند ما يعتريه خوف من طائر أشد منه إذ يخفض جناحه متذللاً. "⁴

ثم ذكر ابن عطية مناسبة استعمال لفظة (الذُّلُّ) لتقرير معنى التواضع والتذلل للوالدين، كون مقامهما مقام عظيم؛ فهما محل البر والإحسان بجميع أنواعه، حيث قال: " ويؤلِّغُ بذكر الذُّلِّ هنا ولم يُذكر في قوله تعالى ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء:215]، وذلك بحسب عِظَمِ الحَقِّ هنا. "⁵

فبين ابن عطية كيف جاء استعمال لفظة (الذُّلُّ) في هذا السياق، ولم تستعمل في آيات أخر رغم ذكر خفض الجناح فيها، ومثّل بآية في سورة الشعراء وهي قوله تعالى ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ابْتَعَكَ مِنَ

¹ المصدر نفسه، ج5، ص463.

² الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص59.

³ التحرير والتنوير، ج14، ص83.

⁴ التحرير والتنوير، ج15، ص70.

⁵ المحرر الوجيز، ج5، ص463.

﴿المؤمنين﴾ [الشعراء:215]، وما ذلك إلا للتناسب الشديد لهذه اللفظة في آية بر الوالدين والحاجة إليها بخلاف غيرها من الآيات التي فيها خفض الجناح، والتي ذكرها ابن عطية، ومما لم يذكره من مثل قوله تعالى ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر:88]. ففيها معنى الذل والتواضع للمؤمنين، وعدم التجبر عليهم، ولكن ليس ذلك كمقام بر الوالدين فناسب استعمال لفظة (الذل) لبيان عظم المقام.

النموذج الرابع: السياق ومناسبة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفِهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:60].

قال ابن عطية: " قال الطبري: معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك، فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة، آمن أن يُقتل أو يُنال بمكروه عظيم، أي: فلتبلغ رسالة ربك، ولا تتهيب أحداً من المخلوقين... وهذا تأويل بيّن جار مع اللفظ، وقد روي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن والسدي، إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبةً شديدة." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خطاب الله عز وجل للنبي صلى الله عليه وسلم بقوله ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ

إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ [الإسراء:60]، وبين معناها بقوله: "معنى قوله: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ

أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي: في منعك يا محمد وحياطتك وحفظك، فالآية إخبار له بأنه محفوظ من الكفرة،

آمن أن يُقتل أو يُنال بمكروه عظيم، أي: فلتبلغ رسالة ربك، ولا تتهيب أحداً من المخلوقين." ²

ونسب هذا القول للإمام الطبري، وهو مروى عن الحسن بن أبي الحسن والسدي، وعلق عليه بأنه جار

مع اللفظ ولكن لا يتناسب مع ما بعده من اللحاق حيث قال: " وهذا تأويل بيّن جار مع اللفظ، وقد

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص502-503.

² المحرر الوجيز، ج5، ص502-503.

الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.

رُوي نحوه عن الحسن بن أبي الحسن والسدي، إلا أنه لا يناسب ما بعده مناسبةً شديدةً، ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً له لما بعده، توطئةً له.¹

ومقصوده بالذي بعده هو قوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ ^ع فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 60]، وقد يكون مناسباً لما بعده كتمهيد وتوطئة لما سيذكره الله عز وجل من حال الناس من كفار قريش وغيرهم لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما رآه من حادثة الإسراء والمعراج، وتكذيب الناس له، حيث كان ذلك لهم فتنة، فأمره بالتبليغ وعدم الالتفات لتكذيب الناس، فالله حافظه ومحيط به وبهم، وقد استدرك ابن عطية وذكر هذا المعنى وذكره من الاحتمالات الواردة للتناسب فقال: "ويحتمل أن يجعل الكلام مناسباً له لما بعده، توطئةً له."²

قال ابن جرير: "فتأويل الكلام إذن: وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس، فكانت فتنتهم في الرؤيا ما ذكرت من ارتداد من ارتد، وتمادي أهل الشرك في شركهم، حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما أراه الله في مسيره إلى بيت المقدس ليلة أسري به."³ ولعل هذا هو الأقرب وعليه يتخرج تفسير الطبري وغيره، ويكون متناسباً لما بعده، فالتناسب أولى من عدم التناسب إذ القرآن كله كالكلمة الواحدة.

النموذج الخامس: السياق والمناسبة في قوله تعالى: ﴿ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾

قال تعالى ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾ [طه: 70].

قال ابن عطية: "وقدّم [هَارُونَ] قبل [مُوسَى] لتستوي رؤوس الآي بنقل معنى قول السحرة، وهذا مثل قوله عز وجل: ﴿ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾ [طه: 53]، فتأخر [شَتَّى] إنما هو لتعتدل رؤوس الآي، وكذلك

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص503.

² المصدر نفسه، ج5، ص503.

³ جامع البيان، ج14، ص652.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه:129]، فتأخير قوله: ﴿وَأَجَلٌ

مُسَمًّى﴾ إنما هو لتستوي رؤوس الآي.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج سبب تقديم هارون قبل موسى في الآية ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا

ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه:70]. حيث إن سياق تناسب الفواصل لرؤوس الآيات يقتضي ذلك، فقال: "وقدم [هَارُونَ] قبل [مُوسَى] لتستوي رؤوس الآي بنقل معنى قول السحرة."²

ثم ذكر عدة أمثلة من السورة ليبيّن نوع التناسب الذي ورد في الآية محلّ الشاهد، مما كان في رؤوس الآي؛ فتكون الآية محلّ الشاهد على سنن السياق التناسبي لما قبلها وما بعدها فقال: "وهذا مثل قوله عزّ وجلّ: ﴿أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ [طه:53]، فتأخر [شَتَّى] إنما هو لتعتدل رؤوس الآي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه:129]، فتأخير قوله: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ إنما هو لتستوي رؤوس الآي."³

وفي هذا المعنى قال ابن عاشور: "ووجه تقديم هارون هنا الرعاية على الفاصلة، فالتقديم وقع في الحكاية لا في المحكي، إذ وقع في الآية الأخرى ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٤٧) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء:48]. ويجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية من حكاية قول السحرة، فيكون صدر منهم قولان، قدّموا في أحدهما اسم هارون اعتبارا بكبر سنه، وقدّموا اسم موسى في القول الآخر اعتبارا بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى، فاختلفت العبارتين باختلاف الاعتبارين."⁴

فبين ابن عاشور المناسبة التي أشار إليها ابن عطية ثم زاد عليه مناسبة أخرى مما هو في سورة القصص.

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص111.

² المصدر نفسه، ج6، ص111.

³ المحرر الوجيز، ج6، ص111.

⁴ التحرير والتنوير، ج16، ص263.

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- تصريح ابن عطية بمصطلح (التناسب) في بيان سياق المناسبات.
- التنوع في ذكر المناسبات القرآنية بين ما هو في أواخر الآيات من الأسماء والصفات، أو مما هو من تناسب الألفاظ والمفردات أو معاني الآيات.
- التنصيص على السياق المستعمل في التناسب كالسباق كما في النموذج الأول
- ذكر الشواهد القرآنية للتدليل على ما ذهب إليه من التناسب كما في النموذج الثاني والثالث.
- وصف المناسبات بأنه من فصاحة القرآن، وبديع نظمه، ومعجز اتساقه كما في النموذج الثاني.

الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق

الخارجي

وتحتة خمسة مباحث:

المبحث الأول: توظيف أسباب النزول (سياق الحال)

المبحث الثاني: توظيف الحديث النبوي

المبحث الثالث: توظيف المكي والمدني (السياق المكاني)

المبحث الرابع: توظيف السياق الاجتماعي

المبحث الخامس: توظيف السياق القصصي

الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الخارجي

لا شك أن المفسر يلجأ إلى العناصر التي تشكل الكلام مثل المكونات اللغوية السابقة واللاحقة للعنصر المُحلَّل، وتتجلى هذه المكونات في الإجراءات التحليلية لدى المفسر، بوحدة دلالية يفرزها الكلام السابق أو اللاحق أو جزء منه، مَقْطَعًا أو عبارة أو لفظًا، كما تتجلى بصورة الجوانب النحوية والصرفية ودلالة المفردات، كذلك قد يلجأ المفسر إلى معطيات خارجية، مثل أسباب النزول والأعراف والتقاليد، والجوانب الاجتماعية والتاريخية والثقافية والزمان والمكان، أي: إلى كل ما يحيط بالحدث اللغوي من معطيات خارجية غير لغوية تؤثر في معناه، وهو ما يُعرف بالمقام أو السياق الخارجي، وقد بات يطلق في الدراسات اللسانية على هذه العناصر الخارجية واللغوية مجتمعةً مصطلح "السياق"¹. وقد مر معنا سابقا في الفصل الثاني التعرض لمفهوم السياق الخارجي، وبيان أنواعه، ومدى أهميته، في تفسير القرآن الكريم، وبيّنا كيف كان اعتناء المفسرين به مع ضرب أمثلة لذلك نحاشي إعادته هنا خشية التطويل والإمالة، فنكتفي بذكر ما يدل على اعتناء ابن عطية به أيما اعتناء بشتى الأنواع والأشياء، ليحصل الغرض والمقصود باستبيان توظيفه له، ومدى تأثير هذا النوع من السياق على تفسيره.

المبحث الأول: أسباب النزول (سياق الحال).

إنَّ الضابط الذي يلزم في فهم النص هو الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، مما تبينه أسباب النزول، فإنَّ علم المعاني والبيان إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال وأسباب النزول؛ فأجزاء القضية الواحدة وجملها متناثرة في السورة الواحدة أو السور المتعددة، ولكن بعضها متعلِّق ببعض، فلا بد من ردِّ آخر الكلام على أوله وأوَّلُه على آخره لفهم مقاصد الشارع

¹ أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد الثاني عشر: ربيع الآخر: 1435هـ- فبراير 2014م، ص 07.

مقرونا بمعرفة أحوال نزوله، أمّا إذا تفرق النظر في الأجزاء بسبب الجهل بأسباب التنزيل فلا يُتوصّل إلى إدراك المقاصد على الوجه المراد، ويوقع هذا الجهل في الشُّبه، ويورد النصوص الظاهرة مورد الإجمال فيقع الاختلاف والنزاع.¹

وقد اعتنى ابن عطية في تفسيره بأسباب النزول أيما اهتمام، فغالبا ما يورد الآية مبينا سبب نزولها، ويضعها في جوها الذي نزلت فيه، مع ذكر تفاصيل حوادثها بما يرافق النص القرآني من ظروف وأحداث؛ كي يصل إلى فهم صحيح للآيات، ويتبين ذلك من خلال النماذج التطبيقية الآتي ذكرها، وقبلها نعرِّج على ذكر مفهوم أسباب النزول وأهميته ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول

- أسباب النزول لغة

قبل تعريف مصطلح (أسباب النزول) لابد من معرفة أجزاء المركب وبعدها التعرض للتعريف الاصطلاحي:

1-السبب لغة:

جاء في مقاييس اللغة: "السين والباء، حدّه بعض أهل اللغة أنّ أصل هذا الباب: القطع، ثمّ اشتقّ منه الشتم...ويمكن أن يقال إن له أصلا آخر: يدل على طول وامتداد ومن ذلك السبب، وأما الحبل فالسبب."²

وفي الصحاح: "والسبب: الحبل، والسبب أيضا: كل شيء يُتوصل به إلى غيره، والسبب اعتلاق قرابة."³

¹ منهج السياق في فهم النص، د. عبد الرحمان بودرع، ص 41-42.

² معجم مقاييس اللغة، ج 3، ص 63-64.

³ الصحاح، ج 1، ص 145.

وفي الكليات: " السَّبَبُ: كل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها فهو سَبَبٌ، ويُقال للطريق: سَبَبٌ، لِأَنَّكَ بِسَبَبِهِ تَصِلُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَرِيدُهُ."¹
فيتبين من خلال النصوص اللغوية أن السبب فيه معنى الطول والامتداد، وكل ما يُوصِلُ إلى غرض معيّن سواء كان حسياً أو معنوياً.

2- النزول لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: "(نَزَلَ): النون والزاي واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه."²

وفي المصباح المنير: " نزل من علو إلى سُفْلٍ يَنْزِلُ نَزْولاً."³
وفي تاج العروس: " التَّزْوُلُ، بِالضَّمِّ: الحُلُولُ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ انْحِطَاطٌ مِنْ عُلُوٍّ."⁴
فيقال: " نَزَلَ: نَزولاً: أي هبط."⁵

فيتبين من خلال النصوص اللغوية أن النزول يحمل معنى الانحدار من علو إلى سفلى.

- أسباب النزول اصطلاحاً:

أسباب النزول اصطلاحاً: هي "ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه" كحادثة تقع حين نزول القرآن الكريم فتنزل آية أو آيات من القرآن تبين الحكم فيها، أو كسؤال يوجه إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- فتنزل آية أو آيات من القرآن الكريم وفيها الإجابة عليه.

¹ الكليات للكفوي، ص 495.

² معجم مقاييس اللغة، ج 5، ص 417.

³ المصباح المنير، ج 2، ص 600.

⁴ تاج العروس، ج 30، ص 470.

⁵ شمس العلوم، ج 10، ص 6562.

ويفيد قولنا "وقت وقوعه" أنه لا بد أن يكون نزول الآيات وقت وقوع الحادثة أو توجيه السؤال فإن كانت الحادثة قبل نزول الآيات بزمن طويل خرج ذلك عن هذا الباب وصار من باب الإخبار عن الوقائع الماضية والأمم السابقة كآيات التي تتحدث عن خلق آدم عليه السلام، وقصته مع إبليس، وقصة ابني آدم، وقصص الأنبياء السابقين كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، فإن الحديث عن ذلك ليس من هذا الباب.¹

المطلب الثاني: أهمية معرفة أسباب النزول:

قال الزركشي في البرهان: "قال الشيخ أبو الفتح القشيري بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز وهو أمر تحصل للصحابة بقرائن تحتم بالقضايا."²

وذكر السيوطي أهمية أسباب النزول وذكر فوائده وشواهدة فقال: "زعم زاعم أنه لا طائل تحت هذا الفن لجريانه مجرى التاريخ وأخطأ في ذلك بل له فوائد:

- منها معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.
- ومنها تخصيص الحكم به، عند من يرى أن العبرة بخصوص السبب.
- ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً، ويقوم الدليل على تخصصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته...
- ومنها الوقوف على المعنى، وإزالة الإشكال."³

¹ دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن سليمان الرومي، مكتبة الملك فهد-الرياض-الطبعة الخامسة عشرين 1428هـ-2007م، ص149-150.

² البرهان في علوم القرآن، ص28.

³ الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص190.

قال الواحدي¹: "فآل الأمر بنا إلى إفادة المبتدئين بعلوم الكتاب، إبانة ما أنزل فيه من الأسباب، إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها."²

- وقال ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب."³

وتجدر الإشارة إلى أن الكلام عن أسباب النزول هنا أوسع من الاستعمال الاصطلاحي الذي يعتني بالآثار الواردة خصوصا مما يروى عن الصحابة وغيرهم مما فيه التصريح بسبب النزول، فالأمر أوسع من ذلك فهو من أفرادها؛ فالكلام هنا هو عن (سياق الحال أو المقام) كما يُصطلح عليه عند المعاصرين المعتنين بالدراسات القرآنية، ويتبين من خلال النماذج التطبيقية.

- النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: وقت نزول الآية وبيان توجه الخطاب لمعيّن.

في تفسير قوله تعالى ﴿وَأذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: 103].

¹ علي بن أحمد، أبو الحسن الواحدي: مفسر، عالم بالأدب، نعتة الذهبي بإمام علماء التأويل، دأب في العلوم، وقعد للتدريس، مولده بنيسابور ووفاته بها سنة (468هـ)، له من المصنفات (السيط)، و(الوسيط)، و(الوجيز)، كلها في التفسير، و(أسباب النزول). الأعلام، ج4، ص255. طبقات المفسرين للداودي، ج1، ص394.

² أسباب نزول القرآن، الواحدي، تحقيق: عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح-الدمام-المملكة العربية السعودية- الطبعة الثانية: 1412هـ-1992م، ص8.

³ مجموع الفتاوى، ج13، ص439.

قال ابن عطية: " هذه الآية تدل على أن الخطاب بهذه الآية إنما هو للأوس والخزرج، وذلك أن العرب وإن كان هذا اللفظ يصلح في جميعها فإنها لم تكن في وقت نزول هذه الآية اجتمعت على الإسلام ولا تألفت قلوبها، وإنما كانت في قصة شاس بن قيس في صدر الهجرة، وحينئذ نزلت هذه الآية، فهي في الأوس والخزرج، كانت بينهم عداوة وحروب، منها يوم بعاث وغيره، وكانت تلك الحروب والعداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة، حتى رفعها الله بالإسلام."¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج أن الخطاب القرآني في الآية موجه إلى أفراد في بيئة زمانية معينة نزلت بسببهم الآية وبذلك يتبين المعنى المراد، فذكر أن الخطاب في الآية هو للأوس والخزرج، رغم أن اللفظ يصلح لتكون لجميع العرب إلا أن سياقها ووقت نزولها يتأتى منه أن تكون للأوس والخزرج حيث قال: " هذه الآية تدل على أن الخطاب بهذه الآية إنما هو للأوس والخزرج، وذلك أن العرب وإن كان هذا اللفظ يصلح في جميعها فإنها لم تكن في وقت نزول هذه الآية اجتمعت على الإسلام ولا تألفت قلوبها."²

ثم ذكر بعد ذلك قصة نزول الآية التي بها يتبين المعنى وتتسق ألفاظ الآية فقال: " وإنما كانت في قصة شاس بن قيس في صدر الهجرة، وحينئذ نزلت هذه الآية، فهي في الأوس والخزرج، كانت بينهم عداوة وحروب، منها يوم بعاث وغيره، وكانت تلك الحروب والعداوة قد دامت بين الحيين مائة وعشرين سنة، حتى رفعها الله بالإسلام."³

¹ المحرر الوجيز، ج2، ص307.

² المصدر نفسه، ج2، ص307.

³ المحرر الوجيز، ج2، ص307.

وقد ذكر ابن كثير هذا السياق: " وقوله: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ [آل عمران:103] إلى آخر الآية، وهذا السياق في شأن الأوس والخزرج، فإنه كانت بينهم حروب كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة وضغائن، وإحن وذحول طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانا متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله؛ متعاونين على البر والتقوى.¹ النموذج الثاني: قضية الآية وسببها وأثره في اتساق المعنى.

قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ

ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام:114]

قال ابن عطية: " وهذه الآية - وإن كان معناها يعمُّ في أن الله لا يتبغى سواه حكماً في كل شيء وفي كل قضية - فإننا نحتاج في وصف الكلام واتساق المعاني أن ننظر فيما تقدم إلى قضية تكون سببا إلى قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا﴾؟ فهي والله أعلم حكمه عليهم بأنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كل الآيات، وحكمه بأن جعل للأنبياء أعداء من الجن والإنس.²

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى أن الآية تحمل عموماً في معناها وهو أن الله عزوجل لا يتبغى سواه في كل أمر وقضية، إلا أن هذا العموم الوارد لا يعني أننا لا نلتفت إلى السياق الخارجي لها مما به يتم وصف الكلام، ويتسق المعنى، وهو النظر في قضايا الآيات وأحوالها التي كانت في جملة أسباب نزولها؛ فقال مبينا هذه القاعدة السياقية: " وهذه الآية - وإن كان معناها يعمُّ في أن الله لا يتبغى سواه

¹ تفسير القرآن العظيم، ج3، ص136.

² المحرر الوجيز، ج3، ص446.

حَكَمًا في كل شيء وفي كل قضية - فإننا نحتاج في وصف الكلام واتساق المعاني أن ننظر فيما

تقدم إلى قضية تكون سببا إلى قوله تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾ [الأنعام:114].¹

ثم ذكر ابن عطية هذه القضية التي تعتبر سببا وقضية حال في بيان معنى الآية فقال: " فهي والله أعلم حكمه عليهم بأنهم لا يؤمنون ولو بعث إليهم كل الآيات، وحكمه بأن جعل للأنبياء أعداء من الجن والإنس."²

فقد صرح في هذا النموذج على أهمية النظر في أسباب نزول الآيات وقضايا أحوالها وسياقات التي يتم بها اتساق المعاني ويتضح معنى الكلام.

النموذج الثالث: رواية سبب النزول لبيان المعنى

قوله تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف:184]

قال ابن عطية: " وسبب نزول هذه الآية فيما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ليلا على الصفا، فجعل يدعو قبائل قريش: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذرهم ويدعوهم إلى الله، فقال بعض الكفار حين أصبحوا: هذا مجنون بات يصوت حتى الصباح فنفى الله عز وجل ما قالوه من ذلك في هذا الموطن المذكور وفي غيره، فإن الجنون بعض ما رموه به حتى أظهر الله نوره، ثم أخبر أنه نذير أي مُحذّر من العذاب، ولفظ النذارة إذا جاء مطلقا، فإنما هو في الشرّ، وقد يستعمل في الخير مقيدا به، ويظهر من رصف الآية أنها باعثة لهم على الفكرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس به جنة، وكما أحالهم بعد هذه الآية على النظر، ثم بين المنظور فيه كذلك أحال هنا على الفكرة ثم بين المتفكر فيه."³

¹ المحرر الوجيز، ج3، 446.

² المصدر نفسه، ج3، ص446.

³ المحرر الوجيز (4 / 101).

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج سبب نزول قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:184]، فبين قصة وملابسات نزولها ليتبين معناها ضمن سياقها حيث قال: " وسبب نزول هذه الآية فيما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد ليلا على الصفا، فجعل يدعو قبائل قريش: يا بني فلان، يا بني فلان، يحذرهم ويدعوهم إلى الله، فقال بعض الكفار حين أصبحوا: هذا مجنون بات يصوت حتى الصباح فنفى الله عز وجل ما قالوه من ذلك في هذا الموطن المذكور وفي غيره، فإن الجنون بعض ما رموه به حتى أظهر الله نوره، ثم أخبر أنه نذير أي مُخَدَّر من العذاب." ¹

وسبب نزول هذه الآية مروى عن قتادة قال: " ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قام على الصفا، فدعا قريشا فَخَذًا فَخَذًا²: " يا بني فلان، يا بني فلان" يحذرهم بأس الله، ووقائع الله، إلى الصباح، حتى قال قائلهم: إن صاحبكم هذا مجنون، بات يصوت حتى أصبح، فأنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:184]."³

وقد كان لذكر هذا السبب تأثيرا في تفسير الآية حيث قال: " فنفى الله عز وجل ما قالوه من ذلك في هذا الموطن المذكور وفي غيره، فإن الجنون بعض ما رموه به حتى أظهر الله نوره... ويظهر من رصف

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص101.

² الفخذُ: حي الرجل إذا كان من أقرب عشيرته وجمعه (أفخاذُ). القاموس المحيط، ج1، ص336.

³ أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره، تفسير القرآن العظيم مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار-الرياض-مكة-الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م، ج5، ص1624، أثر رقم: 8592، وابن جرير في جامع البيان، ج10، ص602، والسيوطي في الدر المنثور، ج6، ص691.

الآية أنها باعثة لهم على الفكرة في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس به جنّة، وكما أحالهم بعد هذه الآية على النظر، ثم بين المنظور فيه كذلك أحال هنا على الفكرة ثم بين المتفكر فيه.¹ فبين أنه يظهر من رصف الآية وسياقها بعدما عُرف سبب الخطاب فيها وحال نزولها حتّى على التفكر في أمر النبي صلى الله عليه وسلم من قبل قريش نظير إحالتهم وحثهم بعدها مباشرة في لحاقها بالتفكر في ملكوت السماوات والأرض لكي يعتبروا ويحصل لهم الإيمان والخوف من عذاب الله في قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 185].

قال ابن عاشور: " ترق في الإنكار والتعجب من حالهم في إعراضهم عن النظر في حال رسولهم. إلى الإنكار والتعجب من إعراضهم عن النظر فيما هو أوضح من ذلك وأعم، وهو ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء مما هو آيات من آيات وحدانية الله تعالى التي دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان بها.²"

فلاحظ كيف انطلق ابن عطية من سبب الآية وحال نزول ليوظفها في سياقها القرآني ويخرج بالمعنى المناسب المتسق مع السياق القرآني.

النموذج الرابع: التلازم بين السياق ورواية سبب النزول.

قال تعالى ﴿نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: 49-50].

قال ابن عطية: " وروي في هذه الآية أنّ سببها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى جماعة من أصحابه عند باب بني شيبه في الحرم فوجدهم يضحكون، فزجرهم ووعظهم، ثم ولى، فجاءه جبريل

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص101.

² التحرير والتنوير، ج9، ص196.

عن الله فقال: يا محمد أتقنطُ عبادي؟ وتلا عليه الآية، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وأعلمهم. ولو لم يكن هذا السبب لكان ما قبلها يقتضيها، إذ تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة فأكد تعالى تنبيه الناس بهذه الآية.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج سببا لنزول الآية انطلق من خلاله لتفسيرها واضعا إياها في سياقها الذي نزلت فيه حيث قال: "وروي في هذه الآية أنّ سببها أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء إلى جماعة من أصحابه عند باب بني شيبه في الحرم فوجدهم يضحكون، فزجرهم ووعظهم، ثم ولى، فجاءه جبريل عن الله فقال: يا محمد أتقنطُ عبادي؟ وتلا عليه الآية، فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم وأعلمهم."²

وهذا الذي ذكره ابن عطية من أنه سبب نزول مروى عن عطاء بن أبي رباح، عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الباب الذي يدخل منه بنو شيبه، فقال: "ألا أراكم تضحكون؟ أتضحكون؟" ثم أدبر، حتى إذا كان الحجر رجوع إلينا القهقري، فقال: "إني لما خرجت جاء جبريل، فقال: يا محمد إن الله عزوجل يقول: لِمَ تَقْنَطُ عبادي؟ ﴿نَبِيَّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿﴾".³

ثم أشار ابن عطية إلى أن هذا السبب على فرض عدم وروده فإن سباق الآية يقتضي ذلك المعنى وهو قوله تعالى ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٢) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص297.

² المصدر نفسه، ج5، ص297.

³ أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق، تحقيق: حبيب الرحمان الأعظمي، مؤسسة الرسالة-بيروت-دط، دت، ص312، باب: ذكر رحمة الله تعالى، أثر رقم: 892. وابن جرير في جامع البيان، ج14، ص82، والسيوطي في الدر المأثور، ج8، ص631.

﴿٤٤﴾ إِبْرَئِيلَ الْمُنْقَلَبِ فِي جَنَّتِ وَعُيُونِ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا وَسَلِّمِ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ [الحجر: 43-48] فقال مبينا ذلك: " ولو لم يكن هذا السبب لكان ما قبلها يقتضيها، إذ تقدم ذكر ما في النار وما في الجنة فأكد تعالى تنبيه الناس بهذه الآية.¹"

وهنا نلاحظ كيف قدّم ابن عطية على السياق الداخلي للآية ما يتعلق بها من قضية حالها وسبب نزولها، مما يعين على بيان المعنى المناسب، ثم نبه في الأخير على أن سبب النزول والسياق أمران متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر في بيان المعنى.

النموذج الخامس: سبب النزول وبيان مرجع الضمير في: ﴿ وَقَالُوا ﴾

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾ [العنكبوت: 50].

قال ابن عطية: " الضمير في [قَالُوا] لقريش ولبعض اليهود؛ لأنهم كانوا يعلمون قريشا هذه الحجّة: لم يأتكم بمثل ما جاء به موسى من العصا وغيرها... وحكى الطبري أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم بكتّابٍ قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود الذين أخبروهم شيء من التوراة، فأنكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، قال: " كفى بهذا ضلالة، قوم رغبوا عمّا أتاهم به نبيهم إلى ما أتى به غيره"، ونزلت الآية بسببه. قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول أجرى مع نسق الآيات.²"

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج أن مرجع الضمير في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا ﴾ لقريش ولبعض اليهود، فذلك حالهم وصنيعهم آنذاك في صدّ الناس عن الإيمان بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم، فنزلت الآية

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص 297.

² المحرر الوجيز، ج6، ص 654.

بسببهم ورداً عليهم فقال: "الضمير في [قالوا] لقريش ولبعض اليهود؛ لأنهم كانوا يعلمون قريشا هذه الحجة: "لم يأتكم بمثل ما جاء به موسى من العصا وغيرها."¹

ثم نسب لابن جرير أن هذه الآية نزلت بسبب قوم من المؤمنين وهذا لفظ الرواية: "عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناسا من المسلمين، أتوا نبي الله بكثبٍ قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما نظر فيها ألقاها، ثم قال: "كفى بما حماقة قوم-أوضلالة قوم- أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم فنزلت. ﴿أَوْلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:51]."²

وقد رجح ابن عطية في الأخير القول الأول مبينا أن نزول الآيات كان في شأن صنيع قريش وبعض اليهود، وهذا السبب أجرى مع نسق الآيات فقال: "والتأويل الأول أجرى مع نسق الآيات."³

ومقصوده-والله أعلم-بنسق الآيات ما سبق من قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَأَمْنَا بِالَّذِي نُنزِلُ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ [العنكبوت:46-47].

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص654.

² سنن الدارمي، الإمام الدارمي، تحقيق: حسين سليم الداراني، دار المغني-الرياض-السعودية-الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م، ج1، ص425، باب: من لم يركتابة الحديث، أثر رقم: 495، وأبو داود في المراسيل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة-بيروت-1408هـ-1988، ج1، ص320، باب: ما جاء في العلم، أثر رقم: 454. ورواه الطبري في جامع البيان، ج18، ص429، والسيوطي في الدر المنثور، ج11، ص563.

³ المحرر الوجيز، ج6، ص654.

قال ابن عاشور مفسراً سباق الآية بما يشير إلى ترجيح ابن عطية: "وأهل الكتاب: اليهود والنصارى في اصطلاح القرآن. والمقصود هنا اليهود فهم الذين كانوا كثيرين في المدينة والقرى حولها. ويشمل النصارى إن عرضت مجادلتهم مثل ما عرض مع نصارى بجران.... والإشارة بـ ﴿هَتُوْلَاءَ﴾ [العنكبوت:47] إلى أهل مكة بتنزيلهم منزلة الحاضرين عند نزول الآية لأنهم حاضرون في الذهن بكثرة ممارسة أحوالهم وجدالهم."¹

-الفوائد النهجية من خلال النماذج التطبيقية:

-تقديم قصة نزول الآية وحيثياتها في بيان المعنى على القول بعمومها، ويظهر ذلك في النموذج الأول والثاني.

- التنبيه على أن مراعاة قضايا الأحوال من أسباب النزول هو مما يتم به وصف الكلام واتساق المعاني.

-الربط بين السياق الداخلي سباقاً ولحاقاً، وسبب النزول وبيان التلازم بينهما كما في النموذج الرابع.

-الاستعانة بالسياق الداخلي من نسق الآيات في ترجيح السبب المناسب لتفسير الآية.

¹ التحرير والتنوير، ج21، ص5-9.

المبحث الثاني: المكي والمدني (السياق الزماني والمكاني)

إنَّ من ينظر في الآية من كتاب الله عز وجل، عليه أن يستحضر الملابسات الزمانية والمكانية للآية، وكل ما يحتفُّ بها من القرائن والمقامات، وما يحيط بها من الظروف والأحوال العامة، وكلما تمكن الناظر من ذلك كان فهمه للآية أتم وأمكن.¹ فمن المسلم به أنَّ كلا من الزمان والمكان اللذين يُروى أو يُقال بهما النص يُسهمان في تشكُّل معناه، وإذا تأملنا في كتب التفسير نجد أن المفسرين قد استعانوا بمعطيات الزمان والمكان في توجيه الدلالة.²

ومن المعلوم أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قضى فترةً من حياته في مكة قبل البعثة وبعدها، ثم هاجر إلى المدينة النبوية وأقام فيها إلى وفاته صلى الله عليه وسلم، وقد نزل عليه القرآن الكريم في الأمصار والقرى والجبال والوهاد والأودية والسفوح والدور والبراري وفي أوقات مختلفة في الليل والنهار، والسفر، والحضر، والصيف، والشتاء، والسلم، والحرب، وقد اعتنى العلماء عناية فائقة في معرفة مكان النزول وزمن النزول لما في معرفة ذلك من فوائد عديدة لفهم النصوص القرآنية واستيفاء معانيها واستقصاء مدلولاتها، وعندما كان القرآن ينزل في مكة أول البعثة كان المسلمون قلة، وكان المشركون كثرة وللحديث مع الكفار أسلوبه ولمخاطبة المسلمين طريقتها؛ فالقرآن في مكة يدافع عن القلة من المسلمين، ويرفق بهم وينافح عنهم وسط هذه البيئة من الأعداء المشركين وهم بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم ويثبت قلوبهم، والقرآن في مكة يقارع الخصوم ويحطم معتقداتهم الزائفة بالحجة والدليل ويدفع الشبهات، ويبطل الخرافات، ويكشف الأباطيل والترهات، وهم أهل لجاج وعناد، وإصرار واستكبار وظل القرآن ينافحهم حتى أقام الحجة عليهم وأنشأ جماعة إسلامية كانت نواة الدولة الإسلامية، وهاجر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بهذه الجماعة والتقى بجماعة أخرى من المسلمين في المدينة وآخى بين الجماعتين ومزج

¹ منهج اعتبار السياق في فقه النص الشرعي وضوابطه، عبد الكريم عكيوي، سلسلة الإسلام والسياس المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء-المملكة المغربية-دط، دت، ص 8-9.

² أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية، ص 16.

بينهما مزجا كان نتاجه نشأة الدولة الإسلامية الصالحة والمؤهلة لتلقي ما بقي من قواعد الإسلام وأحكام التشريع، ونزل القرآن على المسلمين في المدينة بيسط أحكام الدين، ويُرسي قواعده ويبيّن المجتمع الإسلامي ويؤسس صرح الدولة، وبلا ريب أن معرفة ما نزل بمكة في تلك الظروف ولتلك الأهداف والأغراض ومعرفة ما نزل في المدينة كذلك يعطى منها سليما للدعوة الإسلامية ودروسا للدعاة في مختلف العصور والأمكنة.¹

المطلب الأول: مفهوم المكي والمدني

المكي والمدني مصطلحان مرتبطان بالمكان والزمان، وعليهما وقعت عبارات العلماء رحمهم الله، وكان للسلف عناية خاصة بمكان نزول القرآن، وكان أول نزول القرآن في غار حراء بمكة، ثم تتابع نزوله على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان منه ما نزل بمكة قبل الهجرة، وما نزل في ضواحي مكة، ثم هاجر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة، ونزل عليه فيها القرآن، وكان له سفرات نزل فيها قرآن، وكان منه ما نزل عليه بمكة بعد هجرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.²

وقد استعمل العلماء في المكي والمدني اصطلاحات ثلاثة:

الاصطلاح الأول: يطلق المكي على ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة، والمدني ما نزل بالمدينة، ويدخل في مكة كل ما قرب منها من ضواحيها، كعرفات ومنى والحديبية، ويدخل في المدينة ما قرب منها، كبدر وأحد، ولوحظ في هذا التقسيم المكان، وليس الزمان، ومن الصعب في ظل هذا التقسيم تطبيق الخصائص الزمانية المرتبطة بتطور الدعوة، حيث من الصعب دمج الآيات المكية التي نزلت قبل الهجرة والآيات المكية التي نزلت بعد الهجرة في إطار نسق واحد موضوعي وأسلوب.

¹ دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي، ص124.

² المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي - جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1429هـ - 2008م، ص101.

الاصطلاح الثاني: يطلق المكي على ما كان خطابا لأهل مكة، والمدني على ما كان خطابا لأهل المدينة.

الاصطلاح الثالث: وهو الأشهر، يطلق المكي على ما نزل قبل الهجرة إلى المدينة، وإن كان بالمدينة، ويطلق المدني على ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهذا التقسيم لوحظ فيه الزمان وليس المكان، والزمان يجسد المرحلة التاريخية ويعبر عنها، ومن اليسير في ظل هذا التقسيم تطبيق الخصائص الزمانية المتعلقة بكل من المكي والمدني، وهو تقسيم سليم من هذا الجانب، ويُيسّر الأمر على الدارس والباحث.¹

المطلب الثاني: أهمية معرفة واعتبار المكي والمدني في التفسير:

لقد بيّن العلماء أهمية اعتبار الزمان والمكان وضرورة مراعاتهما لمفسّر القرآن، مما يستدعي الإحاطة بعلمهما كقرائن خارجية لفهم القرآن فهما صحيحا ومن أشار إلى ذلك:

-الزركشي حيث قال: " قال أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري في كتاب (التنبيه على فضل علوم القرآن): من أشرف علوم القرآن علم نزوله، وجهاته، وترتيب ما نزل بمكة ابتداءً ووسطاً، وانتهاءً، وترتيب ما نزل بالمدينة كذلك، ثم ما نزل بمكة، وحكمه مدني، وما نزل بالمدينة وحكمه مكي، وما نزل بمكة في أهل المدينة، وما نزل بالمدينة في أهل مكة، ثم ما يشبه نزول المكي في المدني، وما يشبه نزول المدني في المكي، ثم ما نزل بالحنيفة، وما نزل ببيت المقدس، وما نزل بالطائف، وما نزل بالحدبية، ثم ما نزل ليلاً، وما نزل نهاراً، وما نزل مشيعاً، وما نزل مفرداً، ثم الآيات المدنيات في السور المكية، والآيات المكية في السور المدنية، ثم ما حمل من مكة إلى المدينة، وما حمل من المدينة إلى مكة، وما حمل من المدينة إلى أرض الحبشة، ثم ما نزل مجملاً، وما نزل مفسراً، وما نزل مرموزاً، ثم ما اختلفوا فيه فقال

¹ المدخل إلى علوم القرآن الكريم، فاروق النبهان، دار عالم القرآن-حلب-الطبعة الأولى: 1426هـ-2005م، ص93.

بعضهم مدني، هذه خمسة وعشرون وجها من لم يعرفها ويميز بينها لم يحل له أن يتكلم في كتاب الله تعالى.¹

وقد أشار الشاطبي إلى ضرورة ربط المكي بالمدني في فهم القرآن، والتكامل بينهما للخروج بالمعنى الصحيح حيث قال: "المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي، وكذلك المكي بعضه مع بعض، والمدني بعضه مع بعض، على حسب ترتيبه في التنزيل، وإلا لم يصح، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على مُتَقَدِّمِهِ، دل على ذلك الاستقراء، وذلك إنما يكون ببيان مجمل، أو تخصيص عموم، أو تقييد مطلق، أو تفصيل ما لم يفصل، أو تكميل ما لم يظهر تكميله... فلا يغيب عن الناظر في الكتاب هذا المعنى؛ فإنه من أسرار علوم التفسير وعلى حسب المعرفة به تحصل له المعرفة بكلام ربه سبحانه."²

وقد كان ابن عطية في تفسيره مهتما بذكر المكي والمدني من السور والآيات واعتبر ذلك في كشف المعاني وبيان الصحيح والضعيف من الأقوال وغيرها من أوجه التفسير بهما، فيظهر منه اعتبار هذه القرينة السياقية الخارجية في تفسير القرآن الكريم، وسنبين ذلك من خلال النماذج التطبيقية:

النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق المكاني (المكي) ورد قول به.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَإِلَٰثِمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ [الأعراف: 33].

¹ البرهان في علوم القرآن، ص 135.

² الموافقات، ج 4، ص 256-257.

قال ابن عطية: " والإِثْمُ أيضا: لفظ عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتبتها إثم، هذا قول الجمهور، وقال بعض الناس: هي الخمر،... وهذا قول مردود لأن هذه السورة مكية ولم تكن الشريعة لتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أخذ. ¹"

الدراسة التحليلية:

تناول ابن عطية في هذا النموذج تفسير قوله تعالى ﴿وَالْإِثْمَ﴾ فذكر قولين للمفسرين:

- الأول: (الإِثْمُ) لفظ عام لجميع الأفعال والأقوال التي يتعلق بمرتبتها إثم. ونسب هذا القول للجمهور.
 - الثاني: المقصود بـ(الإِثْمُ): الخمر. ونسبه بقوله: (قال بعض الناس). وهو قول الحسن وعطاء. ²
 - وقول ثالث لم يذكره ابن عطية: أنه الذنب الذي لا يوجب الحد، قاله ابن عباس والضحاك، والفرّاء. ³
- ثم تطرق لرد القول الثاني مستندا في ذلك إلى السياق الخارجي والمتمثل في مكان نزول السورة، والذي من خلاله تفهم ألفاظ الآية وما فيها من المعاني، فقال: " وهذا قول مردود لأن هذه السورة مكية ولم تكن الشريعة لتحريم الخمر إلا بالمدينة بعد أخذ؛ لأن جماعة من الصحابة اصطحبوها يوم أحد وماتوا شهداء، وهي في أجوافهم. ⁴"
- وقد ضعف هذا القول أبو حيان بقوله: " وقيل: "الخمر"، وهذا قول لا يصح هنا، لأن السورة مكية ولم تحرم الخمر إلا بالمدينة بعد أحد. ⁵"

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص554.

² زاد المسير، ج3، ص191.

³ المصدر نفسه، ج3، ص191.

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص554.

⁵ تفسير البحر المحيط، ج4، ص82. (4/ 82).

النموذج الثاني: السياق المكاني (المكي والمدني) ورد قول بهما.

قال تعالى ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَطَرَدَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام: 52]

قال ابن عطية: "أسند الطبري إلى خَبَابِ بن الأَرْتِ أن الأقرع بن حابس ومن شابهه من أشرف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا منك مجلسا لا يخالطنا فيه العبيد والحلفاء، واكتب لنا كتابا، فَهَمَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآية... وهذا تأويل بعيد في نزول الآية، لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم يَفِدُوا إِلَّا في المدينة، وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمددة اللهم إلا أن تكون الآية مدنية." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج روايةً في سببِ نزول الآية نَسَبَهَا إلى الطبري لغرض تفسير الآية بها حيث قال: "أسند الطبري إلى خَبَابِ بن الأَرْتِ أن الأقرع بن حابس ومن شابهه من أشرف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا منك مجلسا لا يخالطنا فيه العبيد والحلفاء، واكتب لنا كتابا، فَهَمَّ النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الآية." ²

وتفصيل حيثيات سبب النزول ذكرها جمعٌ من المفسرين عن سلمان وخباب بن الأرت قالوا: "فينا نزلت هذه الآية، جاء الأقرع بن حابس التميمي، وعُيِّنَة بن حصن الفزاري، ودُوُوهُمْ من المؤلفعة قلوبهم، فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وعمار وخباب في ناس من ضعفاء المؤمنين، فلما رأوهم حوله حقروهم، فأتوه فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وأرواحِ جَبَابِهِمْ، وكان عليهم جَبَابٌ صوف لم يكن عليهم غيرها، لجالسناك وأخذنا عنك، فقال النبي

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص 367-368.

² المحرر الوجيز، ج3، ص 67.

صلى الله عليه وسلم لهم: "ما أنا بطارد المؤمنين" قالوا فإننا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تَعْرِفُ به العرب فضلنا، فإنَّ وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأَعْبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا فرغنا فاقعد معهم إن شئت، قال: نعم، قالوا: اكتب لنا عليك بذلك كتابا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليًّا ليكتب، قالوا ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل بقوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الأنعام:53] فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة من يده، ثم دعانا فأثبته، وهو يقول: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:54]، فكنا نقعد معه فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف:28]، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد وندنو منه حتى كادت رُكْبِنَا تمس ركبتة، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم.¹

ثم بعد ذلك استبعد ابن عطية أن تكون هذه الرواية صالحة كسبب نزول لفهم معناها وتوضيح المراد بها، مستندا في ذلك إلى الإطار المكاني الذي نزلت فيه الآية مما يبعد أن يكون المقصود هؤلاء الأشخاص المذكورين في رواية سبب النزول حاضرين فيها حيث قال: "وهذا تأويل بعيد في نزول الآية، لأن الآية مكية وهؤلاء الأشراف لم يَفِدُوا إِلَّا في المدينة."²

¹ سنن ابن ماجه، ج2، ص1382، باب مجالسة الفقراء، أثر رقم: 4127، والطبراني في المعجم الكبير، ج4، 75، أثر رقم: 3693. وابن أبي شيبة في المصنف، ج6، ص415، باب ما جاء في بلال وصهيب وخباب، أثر رقم: 32518. وابن أبي حاتم في تفسيره، ج5، ص1297، والطبري في جامع البيان، ج9، ص260.

² المحرر الوجيز، ج3، ص368.

ثم ذكر احتمال صدور هذا القول من الأقرع بن حابس وعُيِّنَة بعد نزول الآية بمدة طويلة، وقد تكون الآية مدنية فقال: "وقد يمكن أن يقع هذا القول منهم ولكنه إن كان وقع فبعد نزول الآية بمدة اللهم إلا تكون الآية مدنية."¹

فلاحظ كيف يدور ابن عطية بين اعتبار المكي والمدني لتفسير الآية، وذكر الاحتمالات الواردة لتفسيرها تفسيراً صحيحاً في إطارها الزماني والمكاني، من المكي والمدني، وهذا يدل على اعتناؤه بالسياق الخارجي وتوظيفه في تفسيره.

النموذج الثالث: السياق المكاني (المكي والمدني) وتعيين (القرية) في الآية

قال تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل: 112]

قال ابن عطية: "قال ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة: القرية المضروب بها المثل مَكَّةُ، كانت بهذه الصفة التي ذكر الله؛ لأنها كانت لا تُغزى ولا يُغزى عليها أحد، وكانت الأرزاق تُجلب إليها، وأنعم الله عليها برسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد بهذه الضمائر كلها أهل القرية، فكفروا بأنعم الله في ذلك وفي جملة الشرع والهداية، فأصابتهم السنون والخوف وسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته، هذا إن كانت الآية مدنية، وإن كانت مَكِّيَّةً فجويع السنين وخوف العذاب من الله بحسب الكفر والتكذيب... وحكى الطبري عن حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها كانت تسأل في وقت حصر عثمان رضي الله عنه: ما صنع الناس؟ وهي صادرة من الحج من مكة، فقيل لها: قُتِلَ، فقالت: والذي نفسي بيده إنها للقرية-تعني المدينة- التي قال الله فيها: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ﴾ الآية.. فأدخل الطبري

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص368.

هذا على أن حفصة رضي الله عنها قالت: إن الآية نزلت في المدينة وإنما هي التي ضربت مثلاً، والأمر عندي ليس كذلك، وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور المثل، وحلّ بها ما حلّ بالتي جعلت مثلاً، وكذلك يتوجّه عندي في الآية أنها قُصِدَ بها قرية غير معيّنة جعلت مثلاً، لكنّه على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية تعالى في هذا النموذج الخلاف في تعيين القرية المضروب بها المثل من قوله تعالى ﴿

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ۖ فَذَكَرَ أَقْوَالًا لِلْمُفْسِرِينَ هِيَ كَالآتِي:

-الأول: القرية المضروب بها المثل مَكَّةُ. قاله ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد، وقتادة.

-الثاني: القرية المضروب بها المثل هي المدينة النبوية. حكاها الطبري وأسندته إلى حفصة رضي الله عنها.²

ثم ذكر ابن عطية أن معنى الآية في تعيين القرية ينبي ويستند ويختلف بحسب الآية هل هي مما نزلت في مكة أو المدينة فمراعاة لمعنى السياق المكاني يختلف تفسير الآية على الآتي:

-فعلى اعتبار أن الآية مدنية يكون معناها على ما ذكره ابن عطية: " القرية المضروب بها المثل مَكَّةُ، كانت بهذه الصفة التي ذكر الله؛ لأنها كانت لا تُغزى ولا يُغِيرُ عليها أحد، وكانت الأرزاق تُجلب إليها، وأنعم الله عليها برسوله صلى الله عليه وسلم، والمراد بهذه الضمائر كلها أهل القرية، فكفروا بِأَنعَمَ اللهُ في ذلك وفي جملة الشرع والهداية، فأصابتهم السنون والخوف وسرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وغزواته، هذا إن كانت الآية مدنية."³

-وعلى اعتبار أن الآية مكية يكون معناها عام في كل قرية؛ فجوعُ السنين وخوف العذاب من الله بحسب الكفر والتكذيب، وفي كل قرية.

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص 417، 418.

² جامع البيان، ج14، ص 384.

³ المحرر الوجيز، ج5، ص 417.

وقد ذكر ابن عطية قولاً للطبري أسند فيه عن حفصة أن الآية نزلت في المدينة وأنها المقصودة بضرب المثل، وهذا لفظه: " عن سليم بن عتر، قال: صدرنا من الحج مع حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وعثمان محصور بالمدينة، فكانت تسأل عنه: ما فعل؟ حتى رأت راكبين، فأرسلت إليهما تسألهما، فقالا: قُتل، فقالت حفصة: فو الذي نفسي بيده، إنها للقرية-تعني المدينة-التي قال الله تعالى ذكره: **تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾**.¹

فردَّ ابن عطية بعد ذكر الأثر عن حفصة بقوله: " فأدخل الطبري هذا على أن حفصة رضي الله عنها قالت: إن الآية نزلت في المدينة وإنها هي التي ضُربت مثلاً، والأمر عندي ليس كذلك، وإنما أرادت أن المدينة قد حصلت في محذور المثل، وحلَّ بها ما حلَّ بالتي جُعِلت مثلاً، وكذلك يتوجَّه عندي في الآية أنها قُصِدَ بها قرية غير معينة جُعِلت مثلاً، لكنه على معنى التحذير لأهلها ولغيرها من القرى إلى يوم القيامة.²

فلاحظ كيف كان بيان المعنى المراد عند ابن عطية دائراً بين كون الآية مكية أو مدنية فمن خالهما يكون تفسير الآية وتوجيهها للمعنى الصحيح.

النموذج الرابع: السياق المكاني والزمني وبيان المعنى الصحيح.

قال تعالى ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ [العنكبوت: 46]

قال ابن عطية: " واختلف المفسرون في المراد بهذه الآية، فقال ابن زيد: معناها لا تجادلوا من آمن بمحمد من أهل الكتاب، فكأنه قال (أهل الكتاب المؤمنين)، ﴿ **إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ أي بالموافقة

¹ جامع البيان، ج14، ص384.

² المحرر الوجيز، ج5، ص418.

فيما حدّثوكم به من أخبار أوائلكم، وغير ذلك، وقوله تعالى-على هذا التأويل- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يريد به من بقي على كفره منهم، كمن كفر وغدر من بني قريظة والنضير وغيرهم، فالآية على هذا محكمة غير منسوخة. وقال مجاهد: المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى الباقون على دينهم. أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالأحسن: من الدعاء إلى الله تعالى، والتنبيه على آياته؛ رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، وقوله -على هذا التأويل- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معناه: ظلموكم، وإلا فكلّهم ظلّمة على الإطلاق، فيُرادُّ به من لم يؤدِّ جزية... والذي يتوجّه في معنى الآية إنما يتّضح مع معرفة الحال في وقت نزول الآية، وذلك أن السورة مكية من بعد الآيات العشر الأوّل، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية ولا غير ذلك، وكانت اليهود بمكة وفيما جاورها، فرما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدالاً واحتجاجاً في أمر الدين وتكذيباً، فأمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم بالمحاجة إلا بالحسنى دعاءً إلى الله تعالى ومُلاينة، ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين، إمّا بفعل، وإمّا بقول، وإمّا بإذية محمد صلى الله عليه وسلم، وإمّا بإعلان كفرٍ فاحش، كقول بعضهم: عزيرُ ابن الله، ونحو هذا، فإن هذه الصنيفة استثنى لأهل الإسلام معارضتها بالخروج معها عن التي هي أحسن، ثم نُسخ هذا بعدُ بآية القتال والجزية وهذا قول قتادة.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في قوله تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾

ومن المقصود بأهل الكتاب فيها على أقوال:

-الأول: من آمن بمحمد من أهل الكتاب، فكأنه قال (أهل الكتاب المؤمنين).

-الثاني: المراد بأهل الكتاب اليهود والنصارى الباقون على دينهم. قاله مجاهد.

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص650-651.

وهذا الخلاف ينبني عليه خلاف آخر في معنى قوله تعالى ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:46]:

- فعلى القول الأول يكون معنى ﴿إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي بالموافقة فيما حدّثوكم به من أخبار

أوائلكم، وغير ذلك، وقوله تعالى -على هذا التأويل- ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ يريد به من بقي على كفره

منهم، كمن كفر وغدر من بني قريظة والنضير وغيرهم، فالآية على هذا محكمة غير منسوخة.

-وعلى القول الثاني: أمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم إلا بالأحسن: من الدعاء إلى الله تعالى،

والتنبيه على آياته؛ رجاء إجابتهم إلى الإيمان، لا على طريق الإغلاظ والمخاشنة، وعلى هذا التفسير

يكون معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ معناه: من لم يؤدّ الجزية.

إلا أن ذكر الجزية في القول الثاني، والتي هي من فروع مسائل الجهاد والقتال بين المسلمين والكفار،

أبعده ابن عطية، كون ذلك لم يكن مفروضاً آنذاك؛ لذلك يعتبر عنده وضع الآيات في إطارها المكاني

وفهمها باعتبار مكان النزول يعين على معرفة المعنى الصحيح المراد وهذا الذي التفت إليه حيث قال:

" والذي يتوجّه في معنى الآية إنما يتضح مع معرفة الحال في وقت نزول الآية، وذلك أن السورة

مكية من بعد الآيات العشر الأولى، ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض، ولا طلب جزية ولا

غير ذلك، وكانت اليهود بمكة وفيما جاورها، فرما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدالاً واحتجاجاً في

أمر الدين وتكذيباً، فأمر الله تعالى المؤمنين ألا يجادلوهم بالمحاجة إلا بالحسنى دعاءً إلى الله تعالى

وملائنة، ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين، إمّا بفعل، وإمّا بقول، وإمّا بإذابة محمد صلى الله عليه

وسلم، وإمّا بإعلان كفر فاحش، كقول بعضهم: عزيز ابن الله، ونحو هذا، فإن هذه الصنيفة استثنى

لأهل الإسلام معارضتها بالخروج معها عن التي هي أحسن، ثم نُسِخ هذا بعد بآية القتال والجزية وهذا

قول قتادة.¹

¹ المحرر الوجيز، ج6، ص651.

النموذج الخامس: السياق المكاني (المكي) وترجيح قول في الآية.

قوله تعالى ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۖ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: 6-7]

قال ابن عطية: " وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ قال الحسن، وقتادة، وغيرهما: هي زكاة المال... وقال ابن عباس والجمهور: الزكاة في هذه الآية: (لا إله إلا الله) التوحيد، كما قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكَبَ﴾ [النازعات: 18]، ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي تطهيره من الشرك والمعاصي، وقاله مجاهد والربيع، وقال الضحاك ومقاتل: معنى الزكاة هنا النفقة في الطاعات.¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية تفسير الزكاة من قوله تعالى ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: 7].

وذكر لذلك أقوالاً:

-الأول: هي زكاة المال. قاله الحسن وقتادة وغيرهما.

-الثاني: الزكاة في هذه الآية: (لا إله إلا الله) التوحيد. قاله ابن عباس والجمهور.

-الثالث: معنى الزكاة هنا هي النفقة في الطاعات. قاله الضحاك ومقاتل.

ثم التفت ابن عطية إلى ترجيح قول ابن عباس والجمهور، مستندا في ذلك إلى مكان نزول الآيات والذي من خلاله يتحدد المعنى الصحيح للآية فقال: " ويرجح هذا التأويل أن الآية من أول المكي، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة، وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي تطهيره من الشرك والمعاصي.²

¹ المحرر الوجيز، ج7، ص463-464.

² المحرر الوجيز، ج7، ص464.

وقد قال ابن كثير بعد تعليقه على قول قتادة في أنها زكاة الأموال: " وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين، واختاره ابن جرير. وفيه نظر؛ لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة إلى المدينة، على ما ذكره غير واحد، وهذه الآية مكية."¹

ثم ذكر ابن كثير أنه يمكن الجمع بين قول الجمهور وقول من يرى أنها زكاة الأموال، وذكر مثلتها في التشريع ألا وهي الصلاة حيث قال: " اللهم إلا أن يقال: لا يبعد أن يكون أصل الزكاة والصدقة كان مأمورًا به في ابتداء البعثة، كقوله تعالى: ﴿وَعَاثُوا حَقَّهُ، يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: 141]، فأما الزكاة ذات النَّصْبِ والمقادير فإنما بيَّن أمرها بالمدينة، ويكون هذا جمعًا بين القولين، كما أن أصل الصلاة كان واجبًا قبل طلوع الشمس وقبل غروبها في ابتداء البعثة، فلما كان ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة ونصف، فرض الله على رسوله الصلوات الخمس، وفصل شروطها وأركانها وما يتعلق بها بعد ذلك، شيئًا فشيئًا، والله أعلم."²

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- استعمال سياق المكي والمدني في التضعيف ورد الأقوال
- الربط بين المكي والمدني وعدم الفصل بينهما في بيان المعنى الصحيح للآية.
- رد روايات في أسباب النزول بوقائع حدثت بمكة أو المدينة كما في النموذج الثاني.
- ربط معاني الآيات بما يقع عليها من احتمال مكِّيَّتها أو مدنيَّتها كما في النموذج الثالث.
- ذكر الخلاف بين المفسرين وبيان أن مبناه على كون الآية مكية أو مدنية وما ينتج عنه من المعاني.
- توظيف المكي والمدني في بيان الصحيح والراجح من الأقوال.
- عدم التعرض لبيان إمكانية الجمع بين الأقوال بدل ترجيح قول على آخر استنادًا للمكي والمدني.

¹ تفسير القرآن العظيم، ج12، ص219.

² تفسير القرآن العظيم، ج12، ص219.

المبحث الثالث: الحديث النبوي:

تُعَدُّ السُنَّةُ النبوية الشريفة قولاً أو فعلاً مصدراً مُهِمًّا للتشريع، فهي المصدر الثاني بعد النص القرآني لاستنباط الأحكام الفقهية وفَهْمِهَا، وقد أدرجناها ضمن السياق الخارجي لا اللغوي، لأنها ليست جزءاً من التشكيل اللغوي للقرآن الكريم، ولأن جزءاً منها يتمثل بأفعال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد استعان بها المفسرون من بين المعطيات الخارجية في توجيه الدلالة التركيبية، عندما أرادوا أن يبينوا معاني التشكيل اللغوي للقرآن الكريم.¹

وقد كان لابن عطية اهتماماً بالسنّة النبوية في تفسيره، وتوظيفاً ظاهراً يُرى أثره في بيان معاني الآيات، واستجلاء دلالاتها ضمن هذا السياق الخارجي، ويظهر ذلك من خلال النماذج التطبيقية: النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: الحديث النبوي وبيان معنى (العفو) في الآية.

في تفسير قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدَّ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: 101].

قال ابن عطية " وقوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ تركها ولم يُعرّف بها، وهذه اللفظة التي هي [عفا]، تؤيد أنّ الأشياء التي هي في تكليفات الشرع، ويُنظرُ إلى ذلك قول النبي عليه السلام " إنّ الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل " .²

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى تفسير [العفو] في الآية، فذكر أنّ الله عز وجل لم يُكلّف الناس

¹ أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد الثاني عشر: ربيع الآخر: 1435هـ-فبراير 2014م، ص 17.

² المحرر الوجيز، ج3، ص 274.

بأمور ولم يشرعها لهم فسكت عنها، فلا ينبغي للمسلم أن يتعمق فيها ويتكلف السؤال عنها وقد أشار إلى ذلك بعض المفسرين منهم:

- ابن كثير حيث قال: " ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ أي: ما لم يذكره في كتابه فهو مما عفا عنه، فاسكتوا أنتم عنها كما سكت عنها."¹

- القرطبي حيث قال: " وقيل: العفو بمعنى الترك، أي تركها ولم يُعَرَّفْ بها في حلال ولا حرام، فهو مَعْفُوٌّ عنها؛ فلا تبحثوا عنه، فلعلَّه إن ظهر لكم حكمه ساءكم.

وكان عُبيد بن عُمير يقول: إن الله أَحَلَّ وَحَرَّمَ، فما أَحَلَّ فاستَحِلُّوه، وما حَرَّمَ فاجتنبوه، وتَرَكَ بين ذلك أشياء، لم يَحْلِلْها ولم يَحْرَمْها، فذلك عَفْوٌ من الله، ثم يتلو هذه الآية."²

ثم استند ابن عطية إلى ما ذهب إليه من معنى العفو وأحال على حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: " وينظر إلى ذلك قول النبي عليه السلام " إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ ". "³

وهذا الحديث الذي وظفه ابن عطية لفظه كما يلي: عن علي رضي الله عنه قال: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " قَدْ عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ هَلُمُّوا رُبْعَ الْعُشُورِ مِنْ كُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا ". "⁴

¹ تفسير القرآن العظيم، ج5، ص385.

² الجامع لأحكام القرآن، ج8، ص285.

³ المحرر الوجيز، ج3، ص274.

⁴ رواه أحمد المسنده، برقم: 711، مسند علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وابن خزيمة برقم: 2284، باب إسقاط الصدقة- صدقة المال عن الخيل-، والترمذي برقم: 620، باب ماجاء في زكاة الذهب والورق، وأبو داود برقم: 1574، باب في زكاة السائمة، والنسائي برقم: 2477، باب زكاة الورق، والدارقطني برقم: 2022، باب زكاة مال التجارة وسقوطها عن الخيل.

والمراد بالعفو في الحديث أي: " أي تركت لكم أخذ زكاتها وتجاوزت عنه".¹

وهذا هو المعنى الذي من أجله ساق ابن عطية الحديث ليستند إليه في تفسير الآية.

النموذج الثاني: الحديث النبوي وبيان معنى الآية ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقَمُ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ [التوبة: 84].

قال ابن عطية: " و قوله: ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ نص في موافاتهم، ومما يؤيد هذا ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، عيّنهم لحذيفة بن اليمان، وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجلٍ تأخروا هم عنها، وروي عن حذيفة أنه قال يوماً: بقي من المنافقين كذا وكذا، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدك الله أنا منهم؟ فقال: لا، ووالله، لا أمنتُ منها أحداً بعدك".²

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في هذا النموذج إلى تفسير قوله تعالى ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ من الآية السابقة

﴿ وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقَمُ عَلَى قَبْرِهِ ﴾ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ

فَسِقُونَ ﴾ [التوبة: 84]، فقد ذكر أنها في المنافقين وأنها نص في موتهم على الفسق والكفر فنهى

عن الصلاة عليهم والدعاء لهم، وقد ذكر ابن كثير تفسير هذه الآية مع ذكر سبب نزولها فقال: "

أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبرأ من المنافقين، وألا يصلي على أحد منهم إذا مات،

وألا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له؛ لأنهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا عليه، وهذا حكم عام

¹ عون المعبود شرح سنن أب داود، شرف الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة

الثانية: 1415هـ - ج 4، 315.

² المحرر الوجيز، ج 4، ص 377.

في كل من عُرف نفاقه، وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين.¹

فذكر ابن عطية أن الآية ﴿ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾ دليل على موتهم على الكفر مستندا ومؤيدا ما ذهب إليه في ذلك بالسياق الخارجي المتمثل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: "ومما يؤيد هذا ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، عيّنهم لحذيفة بن اليمان، وكانت الصحابة إذا رأوا حذيفة تأخر عن الصلاة على جنازة رجلٍ تأخروا هم عنها، وروي عن حذيفة أنه قال يوما: بقي من المنافقين كذا وكذا، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنشدك الله أنا منهم؟ فقال: لا، ووالله، لا أمنت منها أحدا بعدك".²

وأشار ابن عطية إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم عيّن لحذيفة رضي الله عنه أسماء المنافقين ويدل لذلك: ما رواه مسلم في صحيحه عن عمار بن ياسر قال: أخبرني حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "في أصحابي اثنا عشر منافقا، لا يدخلون الجنة، ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط: ثمانية تكفيكهم الدبيلة: سراج من نار يظهر بين أكتافه حتى ينجّم من صدورهم".³

والحديث الذي فيه ذكر عمر ابن الخطاب نذكره هنا بنصّه: "عن حذيفة رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنازة، فخرج فيها أو يريدُها فتعلّقتُ به فقلتُ: إجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك، فقال: "نشدتُك الله أنا منهم؟"، قال: "لا ولا أبرئُ أحداً بعدك"."⁴

فهذه الأحاديث تدل على علم حذيفة بالمنافقين وأنهم يوافقون على الكفر وهذا المعنى الذي فسّر به ابن عطية الآية من خلاله.

¹ تفسير القرآن العظيم، ج7، ص257.

² المحرر الوجيز، ج4، ص377.

³ رواه مسلم برقم: (2779)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، طبعة: دار إحياء التراث العربي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج4، ص2143.

⁴ مسند البزار، أحمد بن عمر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمان، مكتبة العلوم والحكم-المدينة النبوية-الطبعة الأولى: 1415هـ-1995م، ج7، ص292، حديث رقم: (2885).

النموذج الثالث: الحديث النبوي وبيان معاني الآية ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 117-118].

قال ابن عطية: " وبيان هذه الآية ومواقع ألفاظها إنما يكمل مع مطالعة حديث «الثلاثة» الذين خَلَفُوا في الكتب التي ذكرنا." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في تفسير هذه الآية ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: 117-118].

فبين أن تفسير هذه الآية وبيان معانيها يتم بمطالعة حديث الثلاثة الذين خَلَفُوا في غزوة تبوك، وهذا إحالة منه على السياق الخارجي الذي وظّفه في تفسير الآية، ولم يذكر الحديث لطوله واكتفى بالإحالة إلى الكتب التي خرّجته فقال قبل هذا الموضوع في بداية تفسيره لهذه الآيات: " والثلاثة هم: كعب بن

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص430.

مالك، وهلال بن أمية الواقفي، ومُرارة بن الربيع العامري، وقد خرَّج حديثهم بكماله البخاري ومسلم، وهو في السير، فلذلك اختصرنا سوقه.¹ وهذا الحديث الذي أشار إليه ابن عطية أخرجه البخاري²، ومسلم³، وذكره بتمامه من المفسرين: السيوطي⁴، وابن كثير⁵، والقرطبي⁶ غيرهم.

النموذج الرابع: الحديث وبيان معنى (الفتنة) في الآية ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كَلَهُ لِلَّهِ

فَإِنِ أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: 39].

قال ابن عطية: " فمذهب ابن عمر أن الفِتْنَةَ: الشُّرْكُ في هذه الآية، وهو الظاهر، وفَسَّرَ هذه الآية قولُ النبي صلى الله عليه وسلم: " أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ."⁷

الدراسة التحليلية:

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص429.

² صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى: 1422هـ، ج6، ص3، (كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، وقول الله عزوجل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: 118]، حديث رقم: 4418).

³ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الجيل-بيروت-(كتاب التوبة: باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، حديث رقم: 7116).

⁴ الدر المنثور، ج7 ص569.

⁵ تفسير القرآن العظيم، ج7، ص306.

⁶ الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص413.

⁷ المحرر الوجيز، ج4، ص191.

ذكر ابن عطية في هذا النموذج تفسير [الفتنة] من الآية فذكر مذهب ابن عمر في تفسيرها وأن المراد بها الشرك بالله تعالى، وبين أن هذا التفسير هو الظاهر حيث قال: "فمذهب ابن عمر أن الفتنة: الشُّرك في هذه الآية، وهو الظاهر."¹

وقد استند إلى حديث النبي صلى الله عليه وسلم وأحال إليه في تفسير الآية، وذكر بصريح العبارة أن الآية يُفسَّرُها قول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "وَفَسَّرَ هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بجحِّها، وحسابهم على الله."²

والحديث الذي أشار إليه ابن عطية هو من السياق الخارجي لتقوية القول بأن المقصود بالفتنة بالآية هي الشرك، وهذا نصُّ الحديث كما في كتب الحديث: "عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمِرْتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بجحِّها، وحسابهم على الله."³

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص191.

² المصدر نفسه، ج4 ص191.

³ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422هـ، ج1، ص14، (كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلُّوا سبيلهم، حديث رقم: 25). وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث-مصر-، الطبعة الأولى: 1412هـ-1991م، ج1، ص53، (كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم: 22).

وقد جاء في شرح هذا الحديث بيان المراد بالناس فيه: " أن يكون من العام الذي أريد به الخاص فيكون المراد بالناس في قوله (أقاتل الناس) أي: المشركين من غير أهل الكتاب ويدل عليه رواية النسائي بلفظ (أمرت أن أقاتل المشركين)."¹

فإذا تحققت كلمة التوحيد وذهب الشرك حصل بذلك المقصود من درء الفتنة بواسطة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وبهذا المعنى يتيمُّ لابن عطية الاستدلال بالحديث لتفسير الفتنة في الآية، وقد مشى على هذا التفسير جمع من المفسرين نذكر منهم:

-الشوكاني حيث قال: "وفسر جمهور السلف الفتنة المذكورة هنا بالكفر."²

-ابن كثير: "وقال الضحاك، عن ابن عباس: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ يعني: حتى لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع عن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم.

وقال محمد بن إسحاق: بلغني عن الزهري، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا: ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ حتى لا يفتن مسلم عن دينه.

وقوله: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس في هذه الآية، قال: يخلص التوحيد لله.

وقال الحسن وقتادة، وابن جريج: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أن يقال: لا إله إلا الله.

وقال محمد بن إسحاق: ويكون التوحيد خالصا لله، ليس فيه شرك، ويخلص ما دونه من الأنداد.

¹ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية: دار المعرفة-بيروت-1379هـ، ج1، ص77.

² فتح القدير، ج2، ص352.

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ لا يكون مع دينكم كفر. ويشهد له ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله، عز وجل".¹

فنلاحظ على تفسير ابن كثير للآية أنه استشهد بالحديث لتقوية معنى الفتنة، وإن المقصود بها الشرك لكن قبل الاستشهاد بالحديث والذي هو من السياق الخارجي جاء بما ثبت عن المفسرين من السلف بتفسير لحاقها الذي هو قوله تعالى: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ بما يفيد أن المقصود بإقامة الدين هو: لا إله إلا الله، وخلع الأوثان والأنداد، وإقامة التوحيد الخالص لله، وهذا يفسر كذلك المقصود بالفتنة في الآية السابقة ويقوي معناه؛ فيكون قد استند على السياق الداخلي وهو لحاق الآية والسياق الخارجي المتمثل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فائقا بذلك ابن عطية .

النموذج الخامس: الحديث النبوي وبيان المقصود بقوله تعالى ﴿فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾

قال تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾

[سبأ:23].

قال ابن عطية: "وتظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية، أعني قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إثمًا هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وبالأمر يأمر به سمعت كجرّ سلسلة الحديد على الصفوان، فتفرع عند ذلك تعظيما وهيبة، وقيل: خوف أن تقوم الساعة، فإذا فرغ ذلك فُزِّعَ عن قلوبهم، أي: أُطِيرَ الفزعُ عنها وكُشِفَ، فيقول بعضهم لبعض وجبريل: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقول المسؤولون: قال الحقّ ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾، وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تنسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم

¹ تفسير القرآن العظيم، ج7، ص77-78.

من أول قوله ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [سبأ: 22] لم تتصل له هذه الآية بما قبلها، فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها، حتى قال بعضهم في الكفار - بعد حلول الموت - فُزِعَ عن قلوبهم بفقد الحياة فرأوا الحقيقة، وزال فرعهم من شبه ما يقال لهم في حياتهم، فيقال لهم حينئذ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: قال الحق، يقرؤون حين لا ينفعهم الإقرار. وقالت فرقة: الآية في جميع العالم، وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ يريد: في القيامة... والتأويل الأول في الملائكة هو الصحيح، وهو الذي تظاهرت به الأحاديث، وهذان بعيدان.¹

الدراسة التحليلية:

تطرق ابن عطية في تفسير هذه الآية إلى بيان المقصود بالذين ﴿فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ في الآية، فبين أنهم الملائكة، مستندا في ذلك إلى السياق الخارجي وهو حديث النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "وتظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية، أعني قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة."²

ونذكر الحديث الذي استند إليه ابن عطية في تفسير الآية: جاء في صحيح البخاري قوله: "باب

﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ حدثنا الحميدي،

حدثنا سفيان، حدثنا عمرو، قال: سمعت عكرمة، يقول: سمعت أبا هريرة، يقول: إن نبي الله صلى الله

عليه وسلم قال: "إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه

سلسلة على صفوان، فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي

¹ المحرر الوجيز، ج7، ص182-183.

² المحرر الوجيز، ج7، ص183.

الكبير، فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - ووصفه سفيان بكفه فحرّفها، وبدّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقبها إلى من تحته، ثم يلقبها الآخر إلى من تحته، حتى يلقبها على لسان الساحر أو الكاهن، فرما أدركه الشهاب قبل أن يلقبها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذبُ معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا، فيصدّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء.¹

وقد ذكر ابن عطية بعد إيراد الحديث وبيان أن المقصود هم الملائكة، ذكر أقوالا في الآية مخالفة لما ذهب إليه يظهر ضعفها من ناحية اختلال السياق بها، حيث قال: "وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله

﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [سبأ: 22] لم تتصل له هذه الآية بما قبلها.²

ثم ذكر أنه من المفسرين لم يلتفت إلى السياق الخارجي المتمثل في الحديث السابق اضطرب لذلك تفسيرهم للآية، ولم يصيبوا المعنى الصحيح لها؛ فذكر أقوالهم ورجّح في الأخير ما ورد في الحديث فقال: " فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها، حتى قال بعضهم في الكفار - بعد حلول الموت - فزّرع عن قلوبهم بفقد الحياة فرأوا الحقيقة، وزال فرعهم من شُبّه ما يقال لهم في حياتهم، فيقال لهم حينئذ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾؟ فيقولون: قال الحقّ، يقرؤون حين لا ينفعهم الإقرار. وقالت فرقة: الآية في جميع

¹ صحيح البخاري، (6/121)، (كتاب تفسير القرآن، باب ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا

الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: 23]، حديث رقم: 4800.

² المحرر الوجيز، ج 7، ص 183.

العالم، وقوله ﴿حَتَّىٰ إِذَا﴾ يريد: في القيامة. قال القاضي أبو محمد: والتأويل الأول في الملائكة هو الصحيح، وهو الذي تظاهرت به الأحاديث، وهذان بعيدان.¹
وقد رجَّح ابن كثير ذلك استناداً إلى الحديث كذلك حيث قال: " هذا هو الحق الذي لا مزية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار."²

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

-التنوع في استعمال الحديث النبوي في تفسيره سواء كان ذلك في المفردات، أو بيان معاني الآيات.

-إحالة ابن عطية إلى كتب السنة التي خرَّجَتِ الحديث إذا كان الحديث طويلاً، والاكتفاء بالإشارة إليه باختصار كما في النموذج الثالث.

- التصريح بأن السياق الداخلي من ألفاظ الآيات لا يتمُّ معناه إلاَّ بمطالعة الحديث النبوي كما في النموذج الثالث.

-التصريح بأن الحديث النبوي يفسَّرُ الآية ويبيِّنُ معناها كما في النموذج الرابع.

- الإستناد إلى مجموعة من الأحاديث، وبيان أنها تتظاهر وتجتمع في بيان معنى الآية المفسَّرة كما في النموذج الخامس.

- الإستناد إلى الحديث النبوي في الترجيح وبيان الصحيح من الأقوال في تفسير الآية.

¹ المحرر الوجيز، ج7، ص182-183.

² تفسير القرآن العظيم، ج11، ص283.

المبحث الرابع: السياق الاجتماعي¹

لقد سبق الكلام عن السياق الاجتماعي في الفصل الثاني ضمن أنواع السياق الخارجي بما يكفي من إعادة الكلام هنا، فنكتفي بذكر النماذج التطبيقية والتي ندلل من خلالها على اعتناء ابن عطية بهذا النوع في تفسيره؛ بما يؤكد أهميته عنده وتوظيفه له في تفسيره توظيفا يرى أثره عليه:
النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: العادات الاجتماعية ودورها في بيان معنى الآية.

قوله تعالى ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ [البقرة: 48]

قال ابن عطية: " وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا، فإن الواقع في شدة مع آدمي لا يتخلص إلا بأن يشفع له، أو ينصر، أو يفtedy." ²
الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في تفسير هذه الآية مجموعة من المعاني مما هو من عادات بني آدم في دنياهم، وهي منتشرة في واقع المجتمع، فاستحضر هذه المعاني لتقريب معاني الآية إلى الأذهان مفسراً لها ضمن السياق الخارجي الاجتماعي حيث قال: " وحصرت هذه الآية المعاني التي اعتادها بنو آدم في الدنيا." ³

¹ ينظر للتفصيل ونماذج لتطبيقات المفسرين لهذا النوع مقالنا: " أنثروبولوجيا السياق الاجتماعي عند المفسرين- نماذج تطبيقية ونتائج منهجية- " بوعكاز علي، بلخير عثمان، جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان- الجزائر، المجلد 19، العدد 1، ص 159-175، تاريخ النشر: 2023/01/05، رابط المقال:

<https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/559/19/1/211115>

² المحرر الوجيز، ج 1، ص 205.

³ المصدر نفسه، ج 1، ص 205.

ثم راح يفصّل في هذه المعاني الاجتماعية المشاهدة في واقع الناس مما هو في علاقاتهم وتعاملهم مع بعضهم البعض حيث قال: " فإنّ الواقع في شدة مع آدمي لا يتخلص إلا بأن يشفع له، أو ينصر، أو يفتدى."¹

فذكر أن الواقع من الناس في شدة وأزمة في هذه الدنيا إما أن يبحث عن الشفاعة والوساطة ليدفع شدّته وكُربته، أو يطلب النصر من غيره، أو يفتدي بمال لدفع الأذى عن نفسه، وهذا الصنيع لا ينفع الكافرين عند الله يوم القيامة وقد أشار إلى هذا المعنى من المفسرين:

-محمد رشيد رضا حيث قال: " وإنما السياق في الآية وأمثالها يدل على أن المراد بيان أن ذلك اليوم يومٌ تنقطع فيه الأسباب، وتبطل منفعة الأنساب، وتتحول فيه سنة هذه الحياة من انطلاق الإنسان في اختياره يدفع عن نفسه بالعدل والعداء، ويستعين على المدافعة بالشفاعة عند السلاطين والأمراء، وقد يوجد له فيها أنصار ينصرونه بالحق وبالباطل على سواء، بل يكون له في ذلك اليوم شأن آخر مع ربه، تضمحل فيه جميع الوسائل إلا ما كان من إخلاصه في عمله، قبل حلول أجله، ورحمة الله العلي الكبير له، لضعف حوله، وضيق طوله، وأنه يوم لا يتحرك فيه عضو إلا بإذن الله، ولا يقدر أحد أن ينس بكلمة إلا بإذن الله ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الإنفطار: 19]."²

النموذج الثاني: السياق الاجتماعي لعادات العرب في الجاهلية

قال تعالى ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: 36].

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 205.

² تفسير المنار، ج 1، ص 305-306.

قال ابن عطية: " هذه الآية -والتي بعدها- تتضمن ما كانت العرب شرعته في جاهليتها من تحريم شهور الحلال وتحليل شهور الحرم، وإذا نُصَّ ما كانت العرب تفعله تبين معنى الآيات، فالذي تظاهرت به الروايات وَيَنْفَكُ من مجموع ما ذكر الناس أَنَّ العرب كانت لا عيش لأكثرها إلا من الغارات وإعمال سلاحها، فكانوا إذا توالى عليهم حركة ذي القعدة وذي الحجة والمحرم صعب عليهم وأملقوا." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج الحالة الاجتماعية التي كان عليها أكثر العرب في عيشها ومصدر رزقها، وأنها كانت تعتمد في ذلك على الحروب والغارات، فذكر هذا السياق الاجتماعي يعين على فهم الآيات وبيان معناها، لذلك كان لزاما الانطلاق في وصف حال المجتمع السائد آنذاك لتتضح دلالات الآيات ومعانيها، ويلتئم سياقها الداخلي مع سياقها الخارجي، وهذا ما صرَّح به ابن عطية في هذا النموذج بقوله: " هذه الآية -والتي بعدها- تتضمن ما كانت العرب شرعته في جاهليتها من تحريم شهور الحلال وتحليل شهور الحرم، وإذا نُصَّ ما كانت العرب تفعله تبين معنى الآيات." ²

وأشار ابن عطية إلى أن هذه الآية والتي بعدها مما هو في لحاقها وهو قوله تعالى ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤْطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 37].

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص305.

² المحرر الوجيز، ج4، ص305.

فسياق هاتين الآيتين يتضمن الحالة الاجتماعية التي كانت سائدة في العرب، ويتبين معناها أكثر إذا تعرفنا على تفاصيل المجتمع العربي آنذاك في تعاملهم مع الأشهر الحرم وإخضاعها للمعطيات الاجتماعية تحليلاً وتحريماً وممن أشار إلى هذا المعنى:

-البغوي حيث قال: " وذلك أن العرب كانت تعتقد تعظيم الأشهر الحرم، وكان ذلك مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام، وكانت عامة معاشهم من الصيد والغارة، فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلاثة أشهر على التوالي، وربما وقعت لهم حرب في بعض الأشهر الحرم فيكرهون تأخير حربهم، فَتَسَوُّوا أي: أَخَرُوا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر، وكانوا يؤخرون تحريم الحرم إلى صفر، فيحرمون صفر ويستحلون الحرم، فإذا احتاجوا إلى تأخير تحريم صفر أخروه إلى ربيع، هكذا شهراً بعد شهر، حتى استدار التحريم على السنة كلها. فقام الإسلام وقد رجع الحرم إلى موضعه الذي وضعه الله عز وجل فيه، وذلك بعد دهر طويل."¹

النموذج الثالث: السياق الاجتماعي وبيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَتْ ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَتْ^ع وَيَأْتِجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:16]

قال ابن عطية: " واختلف الناس في معنى قوله: ﴿ وَعَلَّمَتْ ﴾... فقال ابن الكلبي: العلامات: الجبال، وقال إبراهيم النخعي ومجاهد: العلامات: النجوم، منها ما سُمِّيَ علامات ومنها ما يُهتدى بها، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: العلامات معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية بالليل... والصواب إذا قدرنا الكلام غير معلق بما قبله أن اللفظة تعم هذا وغيره، وذلك أن كل ما دلَّ على شيءٍ وأعلم به فهو علامة، وأحسن الأقوال المذكورة قول ابن عباس رضي الله عنهما لأنه عموم في المعنى فتأمل، وحدثني أبي رضي الله عنه أنه سمع بعض أهل العلم بالمشرق يقول: إن في بحر الهند الذي يجري فيه من

¹ معالم التنزيل، ج4، ص45.

اليمن إلى الهند حيثانا طويلاً رفاقاً كالحيات في ألوانها وحركتها والتوائها، وأنها تسمى العلامات، وذلك أنها علامة الوصول إلى بلاد الهند، وأمانة إلى النجاة والانتهاة إلى الهند لطول ذلك البحر وصعوبته، وإن بعض الناس قال: إنها التي أراد الله تعالى في هذه الآية. ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج تفسير قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمْتِ ٱلْجِبَالَ ﴾ وما هو المقصود بها وملخص ما ذكره من الأقوال ما يلي:

-الأول: المقصود بالعلامات: هي الجبال. قاله ابن الكلبي

-الثاني: العلامات: النجوم. قاله إبراهيم النخعي ومجاهد.

-الثالث: العلامات: معالم الطرق بالنهار، والنجوم هداية بالليل. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

وقد اختار القول بالعموم في كل ما هو علامة تُرشدُ الناس في طُرُقهم واتجاهاتهم، ولم يرجح قولاً على آخر، إلا أنه أشار إلى أن قول ابن عباس فيه معنى العموم لمن تأمله فقال: " والصواب إذا قدرنا الكلام غير معلق بما قبله أن اللفظة تعم هذا وغيره، وذلك أن كل ما دلَّ على شيءٍ وأعلم به فهو علامة، وأحسن الأقوال المذكورة قول ابن عباس رضي الله عنهما لأنه عموم في المعنى فتأمله. " ²

ثم ذهب ابن عطية يستند إلى السياق الاجتماعي لبيان العموم الذي اختاره في الآية؛ فسرد ما حدثه به أبوه مما كان يشاهده الناس في أسفارهم البحرية من الحيتان غريبة الشكل عندهم، والتي يستدلون بها على أنهم وصلوا إلى البلاد المقصودة ويطلقون على هذه الحيتان اسم: (علامات) لأنها تُعلمهم بقرب الوصول إلى برِّ الأمان فقال مبيِّناً ذلك: " وحدثني أبي رضي الله عنه أنه سمع بعض أهل

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص339.

² المحرر الوجيز، ج5، ص339.

العلم بالمشرق يقول: إنَّ في بحر الهند الذي يجري فيه من اليمن إلى الهند حيثانا طويلاً رقاقا كالحيات في ألوانها وحركتها والتوائها، وأنها تُسمَّى العلامات، وذلك أنها علامة الوصول إلى بلاد الهند، وأمارة إلى النجاة والانتهاء إلى الهند لطول ذلك البحر وصعوبته، وإنَّ بعض الناس قال: إنها التي أراد الله تعالى في هذه الآية.¹

فنلاحظ كيف أن ابن عطية يستحضر كل ما له صلة بالآية سواء كان سياقاً داخلياً، أو كان خارجياً اجتماعياً يعين على تفسير الآية وبيان معناها.

النموذج الرابع: السياق الاجتماعي وضرب المثل في الآية بـ ﴿الذُّبَابُ﴾

قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ^ع إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ^ط وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:73].

قال ابن عطية: " وذكر تعالى أمر سلب الذباب لأنه كان كثيراً محسوساً عند العرب، وذلك أنهم كانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب؛ فكان الذباب يذهب بذلك وكانوا متألمين من هذه الجهة فُجِعِلَتْ مثلاً.²

الدراسة التحليلية:

بيّن ابن عطية في هذا النموذج حالة اجتماعية كانت سائدة عند العرب في الجاهلية وهي طلي الأوثان والأصنام بأنواعٍ من الأطعمة فيسلبها الذباب منها، وقد علل ابن عطية ذكر الذباب دون غيره،

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص339.

² المحرر الوجيز، ج6، ص269.

لكثرة انتشاره فيهم آنذاك حيث قال: "وذكر تعالى أمر سلب الذباب لأنه كان كثيرا محسوسا عند العرب."¹

وقد أثرت هذه الحالة كثيرا على عبّاد الأصنام وقَهَرَهُم صَنِيعُ الذُّبَابِ بما لا حيلة لهم في دفع أذاه عن آهنتهم، فناسب ضربُ المثل به ليظهرَ لهم ضَعْفُ تلك الآلهة التي عُبدت من دون الله ومن عبَدَها، وقد أشار ابن عطية إلى هذه الحالة الاجتماعية بقوله: "وذلك أنهم كانوا يضمخون أوثانهم بأنواع الطيب فكان الذباب يذهب بذلك وكانوا متألِّمين من هذه الجهة فجعلت مثلاً."²

وقد ذكر ذلك ابن الجوزي حيث قال: "قال ابن عباس: كانوا يَطْلُونُ أصنامهم بالزعفران فيجفّ، فيأتي الذباب فيختلسه. وقال ابن جريج: كانوا إذا طَيَّبُوا أصنامهم عجنوا طيبهم بشيء من الحلواء، كالعسل ونحوه، فيقع عليها الذباب فيسلبها إياه، فلا تستطيع الآلهة ولا مَنْ عبَدَها أن يمنع ذلك."³ فنلاحظ كيف ربط ابن عطية هذه الحالة الاجتماعية لهم بما فسّره من الآية في ضرب المثل بذلك الذباب الذي كان يتسلط على أصنامهم؛ فيسلب منها شيئا مما وضعوه عليها فلا يقدرّون على إرجاعه وسلبه منه، فلوكان تفسير الآية بمنأى عن سرد هذا السياق الاجتماعي لَمَا عُرِفَ الغرض من ضرب هذا المثل بالذات، ولقلّ الاعتبار به وتعقُّله بما يُجِلُّ بالمقصود من نزول القرآن وهو التدبُّر والتعقُّل والامتثال لما من أجله ضربت الأمثال.

النموذج الخامس: السياق الاجتماعي وبيان معاني في قوله تعالى: ﴿الْمَسْجِدَ﴾

في تفسير قوله تعالى ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن:18]

¹ المصدر نفسه، ج6، ص269.

² المحرر الوجيز، ج6، ص269.

³ زاد المسير، ج5، ص452.

قال ابن عطية: "والمساجد المخصوصة بيّنة التمكّن في كونها لله تعالى، فيصح أن تفرد للصلاة والدعاء وقراءة العلم، وكل ما هو خالص لله تعالى، وأن لا يُتحدث فيها في أمور الدنيا، ولا يُتَّجَرَ، ولا تُتَّخَذَ طُرُقًا، ولا يجعل فيها لغير الله تعالى نصيب، ولقد قعدت للقضاء بين المسلمين في المسجد الجامع بالمرية مدة، ثم رأيت فيه من سوء خُلُقِ المتخاصمين وصياحهم وأيمانهم وفجور الخصام وغائلته ودخول النسوان ما رأيت تنزيه البيت عنه فقطعت القعود للأحكام فيه."¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج في تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن:18]، ما ينبغي أن تكون عليه المساجد من الآداب في أداء مختلف العبادات، ويتقدمها الأدب الجامع لها وهو الإخلاص لله تعالى، فبيّن أن المسجد مكان شريف ومحل نظيف لا يصلح فيه من العمل إلا ما كان خالصا لله تعالى من العبادات والقربات المختلفة والمتنوعة، ويُنزّه عن كل ما يتنافى مع هذا المقصود الأسمى مما هو من أسافل الأمور ومساوئ الأخلاق فضلا عن إرادة غير وجه الله بالعمل فيه فقال مبيّنا ذلك: "والمساجد المخصوصة بيّنة التمكّن في كونها لله تعالى، فيصح أن تفرد للصلاة والدعاء وقراءة العلم، وكل ما هو خالص لله تعالى، وأن لا يُتحدث فيها في أمور الدنيا، ولا يُتَّجَرَ، ولا تُتَّخَذَ طُرُقًا، ولا يجعل فيها لغير الله تعالى نصيب."²

إنّ مما ينبغي أن يعلم: أن للمسجد في المجتمع الإسلامي رسالة عظمى، ألزم ما يكون على المسلمين إحيائها: وهي أن المسجد لهم هو بيت الأمة فيهم، لجميع مصالحهم العامة والخاصة تقريبا مما يصلح له، فكأن المسجد النبوي في أول أمر المسلمين المثلّ لذلك؛ إذ كان المصلّي الذي تتضاعف فيه الصلاة، وكان المعهد لتلقي العلم منه -صلى الله عليه وسلم... وكان فيه تعليم الصبيان للقراءة والكتابة، وكان

¹ المحرر الوجيز، ج8، ص435.

² المحرر الوجيز، ج8، ص435.

ولا يزال كذلك إلى اليوم، وكان مقرا للإفتاء، ومجلسا للقضاء، ومقرا للضيافة، ومنزلا للأسارى، ومصححا للجرحي، وقد ضربت لسعد فيه قبة لما أصابه سهم ليعوده صلى الله عليه وسلم من قريب، ومقرا للقيادة، فتعقد فيه ألوية الجهاد، وتبرم فيه معاهدات الصلح، ومنزلا للوفود: كوفد تميم وعبد القيس،... ومقيلا للعزاب ومبيتا للغرباء، إلى غير ذلك مما لا يوجد في أي مؤسسة أخرى، ولا تتأتى إلا في المسجد، مما يؤكد رسالة المسجد ويستدعي الانتباه إليه وحسن الاستفادة منه.¹

ثم سرد ابن عطية ظاهرة اجتماعية سيئة كانت فاشية في المسجد الذي كان يتولى فيه القضاء بين الناس حيث قال: ولقد قعدت للقضاء بين المسلمين في المسجد الجامع بالمرية مدة، ثم رأيت فيه من سوء خُلِق المتخاصمين وصياحهم وأبماهم وفجور الخصام وغائلته ودخول النسوان ما رأيت تنزيه البيت عنه فقطعتُ القعود للأحكام فيه.²

فكانت النتيجة انقطاعه عن الجلوس للقضاء بسبب ما رآه في الناس مما لا يليق أن يكون في المسجد وينبغي تنزيهه عنه.

فيلاحظ كيف أن ابن عطية تطرق لشيء مما كان فاشيا في مجتمعه آنذاك داخل المساجد مما لا يليق، يستدعي ذكره لبيان أنه يتنافى ومعاني الآية التي هو بصدد تفسيرها، وهذا التفات منه إلى السياق الاجتماعي، وجعل رابطة بين ما يحصل في المجتمع وبين تفسير القرآن الكريم؛ ليتسنى بعد ذلك العلاج وفق السياق القرآني، جامعا بذلك بين السياق الداخلي والسياق الخارجي من غير فصل ولا انفصام.

¹ تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الثانية: 1400هـ-1980م، ج8، ص557-558.

² المحرر الوجيز (435/8).

- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- التعبير عن السياق الاجتماعي بـ (المعاني التي اعتادها بنوا آدم في الدنيا) كما في النموذج الأول.

- التصريح بضرورة مراعاة السياق الاجتماعي في التفسير، والتعبير عن ذلك بما يشبه القاعدة حيث

قال: " وإذا نُصَّ ما كانت العرب تفعله تبيّن معنى الآيات. " كما في النموذج الثاني.

- إعتداد الوضع الاجتماعي السائد في عصره مما تناقله الناس وحدثه به أبوه، وتوظيفه كواقع معاش

يُدرج ضمن عموم المعنى في الآية المُفسّرة كما في النموذج الثالث.

- ذكر العادات الاجتماعية السيئة والتي كانت فاشية في عصر المفسّر للتنبيه عليها حال الدرس التفسيري

لحث الناس على اجتنابها وبيان ضررها كما في النموذج الخامس.

المبحث الخامس: السياق القصصي

يُعتبر السياق القصصي من أنواع السياق الخارجي، ذلك أن القصة حدثٌ في ضمن زمانٍ ومكانٍ بين أفراد معينين، وهذه المعطيات كلها خارجة عن البناء اللغوي، فهي ذات أهمية كبيرة في بيان معاني الآيات القرآنية، فكانت من أهم المهمات المدرجة في السياق الخارجي والتي ينبغي الالتفات إليه لدى مفسري القرآن الكريم.

المطلب الأول: مفهوم القصة.

جاء ي مقاييس اللغة: " (قَصَّ) القَافُ والصَّادُ أَصْلٌ صحيح يدل على تَتَّبَعُ الشَّيْءُ، من ذلك قولهم: اِفْتَصَّصْتُ الأَثَرَ، إذا تَتَّبَعْتَهُ، ومن ذلك اشتقاق القِصَاصِ في الجِراحِ، وذلك أنه يُفَعَّلُ به مثل فِعْلِهِ بالأوَّلِ، فكأنه اقتَصَّ أثره. ومن الباب القِصَّةُ والقِصَصُ، كل ذلك يُتَّبَعُ فُيُذَكَّرُ.¹" وفي تاج العروس: " القِصُّ: اتِّبَاعُ الأَثَرِ. ويُقَالُ: خَرَجَ فُلَانٌ (قِصَصًا فِي أَثَرِ فُلَانٍ) وَقِصًّا، وذلك إذا اقْتَصَّ أَثَرَهُ. وفي قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه ﴾ [القصص: 11] أي: تَتَّبِعِي أَثَرَهُ.²" والقصص كذلك: " الأخبار المُتَّبَعَةُ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ القِصَصُ الحَقُّ ﴾ [آل عمران: 62]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قِصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الأَلْبَابِ ﴾ [يوسف: 111] والقصة: الأمر، والخبر، والشأن، والحال.³

¹ معجم مقاييس اللغة، ج5، ص11.

² تاج العروس، ج18، ص98.

³ مباحث في علوم القرآن، ص316.

-المطلب الثاني: مفهوم القصص القرآني.

قصص القرآن: أخباره عن أحوال الأمم الماضية، والنبوات السابقة، والحوادث الواقعة -وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار، وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه.¹

فالقصص القرآني كُله عرضٌ لأحداثٍ تاريخية مضي بها الزمن فهو-والأمر كذلك-وثيقة تاريخية من أوثق ما بين يدي التاريخ من وثائق، فيما جاء به من أشخاص وأحداث، وما يتصل بالأشخاص والحوادث من أمكنة وأزمنة...والقصة القرآنية بُنيت بناءً محكما من لبنات الحقيقة المطلقة، التي لا يطوف بِحِمَاها طائفٌ من خيال، ولا يطرُقها طارق منه، ثم هي مع هذا (قصة) حيث سُمي القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصصا، فقال تعالى مخاطبا النبي الكريم ﴿ تَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:03]، وقال جل وعلا ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران:62]، هكذا أطلق القرآن لفظ القصص على ما حدث به من أخبار القرون الأولى: في مجالات الرسالات السماوية، وما كان يقع في محيطها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام.² وقد كان تفسير ابن عطية زاخرا بتوظيف السياق القصصي في بيان معاني الآيات القرآنية، وهذا ما سنبينه من خلال النماذج التطبيقية الآتية:

-النماذج التطبيقية:

النموذج الأول: السياق القصصي لـ قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ [البقرة:243].

¹ مباحث في علوم القرآن، ص 316-317.

² القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة-بيروت-لبنان- الطبعة الثانية: 1395هـ-1975م، ص 39-40.

قال ابن عطية: " وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أخبارا في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فرارا من الموت، فأماهم الله تعالى ثم أحياهم، لِيَرَوْا هُمْ وَكُلٌّ مِنْ خَلْفِ بَعْدِهِمْ أَنَّ الْإِمَاتَةَ إِنَّمَا هِيَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِ غَيْرِهِ، فلا معنى لخوف خائف ولا غترار مُعْتَرٍّ، وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف الآية، ولموردي القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها.¹"

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج قصة متعلقة بالآية بما يتبين المعنى ويتم تفسيرها، فقد أشار إلى أن الآية ذكر لها المفسرون مجموعة من القصص ذكروا من خلالها المقصود بالقوم الذين خرجوا من ديارهم، وكم هو عددهم، وتعيين مكائهم، كل ذلك ليقع التوضيح والبيان لقوله تعالى ﴿الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: 243] ونذكر هنا هذه الأقوال التي تحكي قصة هؤلاء القوم كما ذكرها ابن عطية: " وقصة هؤلاء: - قال الضحاك: قوم من بني إسرائيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل، فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك، فأماهم الله ليعرفهم أنه لا ينجيهم من الموت شيء، ثم أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: 244]. الآية.

- وحكى قوم من اليهود لعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن جماعة من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء فخرجوا فرارا منه، فأماهم الله فبنى عليهم سائر بني إسرائيل حائطاً، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل النبي عليه السلام فدعا الله فأحياهم له.

¹ المحرر الوجيز، ج 1، ص 610.

-وقال السدي: هم أمة كانت قبلَ واسط، في قرية يقال لها (ذاووردان) وقع بها الطاعون فهربوا منه، وهم بضعة وثلاثون ألفاً في حديث طويل، ففيهم نزلت الآية.

-وروى ابن جريج عن ابن عباس أنهم كانوا من بني إسرائيل، وأنهم كانوا أربعين ألفاً وثمانية آلاف، وأنهم أميتوا ثم أحيوا، وبقيت الرائحة على ذلك البُسط من بني إسرائيل إلى اليوم، فأمرهم الله بالجهاد ثانية فذلك قوله ﴿وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة:244] الآية.¹

فلاحظ كيف ذكر ابن عطية ما يتعلق بالآية من القصص وهو بصدد تفسيرها، لكنه حكم عليه بالضعف ولين السند، مبينا أنه يقتصر من القصة على ما يلزم الآية ويتعلق بها من المعنى في إطار سياقها الداخلي بما له علاقة بالسياق الخارجي دون خروج عن المعنى الصحيح، والذي يحمل معنى العموم دون حصر لها بما يُروى من القصص في ذلك، حيث قال: " وهذا القصص كله لين الأسانيد، وإنما اللازم من الآية أن الله تعالى أخبر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف، عن قوم من البشر خرجوا من ديارهم فراراً من الموت، فأماهم الله تعالى ثم أحياهم، ليروا هُم وكل من خلف بعدهم أن الإمامة إنما هي بيد الله لا بيد غيره، فلا معنى لخوف خائف ولا غترار مُغترّر."²

وقد ذكر ابن كثير قصة ذلك مبينا أنها قول غير واحد من السلف، وذكر في الأخير مقصدها والعبارة بقوله: " وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل، استوخموا أرضهم، وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فراراً من الموت إلى البرية، فنزلوا وادياً أفيح، فملاؤا ما بين عدوتيه، فأرسل الله إليهم ملكين؛ أحدهما من أسفل الوادي، والآخر من أعلاه، فصاحا بهم صيحة واحدة؛ فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد، فحيزوا إلى حظائر، وبني عليهم جدران وفنوا وتمزقوا وتفرقوا، فلما كان بعد دهر مرَّ بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له: حزقيل، فسأل الله أن يحييهم

¹ المحرر الوجيز، ج1، ص 609-610.

² المحرر الوجيز، ج1، ص 610.

على يديه، فأجابه إلى ذلك، وأمره أن يقول: أيتها العظام البالية، إن الله يأمرك أن تجتمع فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض، ثم أمره فنادى: أيتها العظام، إن الله يأمرك بأن تكتسي لحما وعصبا وجلدا، فكان ذلك، وهو يشاهده، ثم أمره فنادى: أيتها الأرواح، إن الله يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره، فقاموا أحياء ينظرون، قد أحياهم الله بعد رقدتهم الطويلة، وهم يقولون: سبحانك لا إله إلا أنت.

وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة... وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذرٌ من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه، فإن هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة، فعملوا بنقيض قصدهم، وجاءهم الموت سريعا في آن واحد.¹

ثم ذكر ابن عطية قولاً للطبري فيه ربطاً لمضمون القصة التي فسّر بها الآية بسياقها الداخلي وتحديدًا بلحاظها، مبيناً أنها تمهيد لحثّ المؤمنين وأمرهم بالجهاد في سبيل الله، وهو الذي يظهر به اتساق المعنى حيث قال: " وجعل الله تعالى هذه الآية مقدمة بين يدي أمره المؤمنين من أمة محمد بالجهاد. هذا قول الطبري، وهو ظاهر رصف الآية.²، يشير بذلك إلى قوله تعالى بعد ذلك ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: 244].

وقد ذكر ابن عطية أنه يُعرض عن كثير من القصص الضعيفة مما يُروى في تفسير الآية، حيث قال: " ولموردني القصص في هذه القصة زيادات اختصرتها لضعفها.⁴

وفي هذا إشارة إلى منهجه من محاولة تحري الصحة، والاعتماد على الروايات المشهورة المعروفة، وترك الروايات التي فيها إغرابٌ في المعاني.

¹ تفسير القرآن العظيم، ج2، ص414-415.

² المحرر الوجيز، ج1، ص610.

⁴ المحرر الوجيز، ج1، ص610.

النموذج الثاني: السياق القصصي لـ نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم و(النمرود).

في تفسير قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ

الْأَفْلَاقَ ﴾ [الأنعام:76].

قال ابن عطية: " وقد حُكي أن نمرود، جبار ذلك الزمن رأى مُنَجَّموه أن مولودا يولد في سنة كذا في عمله يكون خراب الملك على يديه، فجعل يتبع الحبالى ويوكل بهنَّ حُرَّاسًا، فمن وضعت أنثى تُركت، ومن وضعت ذكرًا حُمِلَ إلى الملك فذبجه، وأنَّ أمَّ إبراهيم حملت -وكانت شابة قوية- فسترت حملها، فلما قربت ولادتها بعثت تارخ أبا إبراهيم إلى سفر، وتحيَّلت لمُضِيِّه إليه، ثم خرجت هي إلى غار فولدت فيه إبراهيم، وتركته في الغار وقد هيأت عليه، وكانت تتفقده فتجده يتغذى بأن يمصَّ أصابعه فيخرج له منها عسلٌ وسمن ونحوهما، وحُكي: بل كان يغذوه مَلَكٌ، وحُكي: بل كانت تأتيه بألبان النساء اللاتي ذُبِحَ أبناؤهن، فشبَّ إبراهيم أضعاف ما يشبُّ غيره، والمَلِكُ في خلال ذلك يُحس بولادته ويشدُّ في طلبه، فمكث في الغار عشرة أعوام، وقيل: خمس عشرة سنة، وأنه نظر -أول ما عقل- من الغار فرأى الكوكب وجرت قصة الآية... وجليت هذه القصة بغاية الاختصار في اللفظ، وقصدت استيفاء المعاني التي تخصُّ الآية، ويضعفُ عندي أن تكون هذه القصة في الغار لقوله في آخرها: ﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام:78]، وهي ألفاظ تقتضي محاجة وردًا على قوم، وحاله في الغار بعيدة عن مثل هذا." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج قصة وقعت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مما يُحكى عنه مع النمرود، يريد من خلالها بيان المكان الذي قال فيه إبراهيم ما ذكره الله عز وجل عنه مما قاله عند مشاهدته

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص402.

للايات الكونية من الكوكب والشمس والقمر، ومفادُ القصة أنه كان في غارٍ زمانَ صباه وهو رضيعٌ وضعتهُ أمُّهُ فيه بعيداً عن بطش الملك حيث كان يفتُل كلَّ صبي يولد خوفاً على مُلكِهِ، ثم جرى له في الغار ما ذكره الله عز وجل من رؤيته للكوكب والشمس والقمر.

وهذه القصة هي أحد أقوال المفسرين في المقام التي قال فيها إبراهيم عليه السلام تلك الكلمات هل هو مقام نظر وتأمل أو مناظرة بينه وبين النمرود؟

وبعدما ذكر ابن عطية القصة عبّر عنها بأنها قصة الآية حيث قال: "وجرت قصة الآية." ¹

وقد بيّن أنه يختصر ألفاظ القصص لغرض الإحاطة بمعنى الآية التي هو بصدد تفسيرها دون توسع في ذكر ما لا يتعلق بها، وقد ضعف ابن عطية في الأخير أن يكون مكان القصة هو الغار، مرجحاً أن يكون المقام مقام مناظرة، يستدعي مقابلة النمرود أمام الملاء، وهذا الذي رجحه ابن كثير كذلك بقوله: "والحقُّ أن إبراهيم، عليه الصلاة والسلام، كان في هذا المقام مناظراً لقومه، مبيناً لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام." ²

وقد استند ابن عطية في ترجيحه إلى السياق الداخلي المتمثل في لحاق الآية حيث قال: "ويضعفُ

عندي أن تكون هذه القصة في الغار لقوله في آخرها: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: 78]، وهي ألفاظ تقتضي حاجة ورداً على قوم، وحاله في الغار بعيدة عن مثل هذا." ³

ويُعتبر هذا من الربط بين السياق الداخلي والسياق الخارجي لبيّن المعنى الصحيح للآية، في إشارة منه إلى أهمية الترابط والتكامل بين السياق الخارجي المتمثل هنا في القصص والسياق الداخلي المتمثل في اللحاق في هذه الآية.

¹ المحرر الوجيز، ج3، ص402.

² تفسير القرآن العظيم، ج6، ص97-98.

³ المحرر الوجيز، ج3، ص402.

النموذج الثالث: السياق القصصي لقوله تعالى ﴿ قَالُوا أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا ﴾

قوله تعالى ﴿ قَالُوا أُودِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ
عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف:129].

قال ابن عطية: " قال السدي، وابن عباس رضي الله عنهما: إنما قالت بنو إسرائيل هذه المقالة حين
اتبعهم فرعون واضطربهم إلى البحر فضاقت صدورهم ورأوا بحرا أمامهم وعدوا كثيفا وراءهم فقالوا هذه
المقالة... وبالجملة هو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل من اضطرابهم على أنبيائهم وقلة يقينهم
وصبرهم على الدين، واستعطاف موسى لهم بقوله: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ ﴾،
ووعده لهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوسا نافرة، ويُقوي هذا الظن في بني
إسرائيل سلوكهم هذا السبيل في غير قصة." ¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج مقالة بني إسرائيل لموسى عليه الصلاة والسلام، والتي تحمل تذكرا مما
آل إليه أمرهم من أتباع نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام، وما لاقوه من أذية فرعون لهم، فذكر ابن
عطية هذه الحالة الحاصلة لهم بقوله: " قال السدي، وابن عباس رضي الله عنهما: إنما قالت بنو إسرائيل
هذه المقالة حين اتبعهم فرعون واضطربهم إلى البحر فضاقت صدورهم ورأوا بحرا أمامهم وعدوا كثيفا
وراءهم فقالوا هذه المقالة." ²

ومقالة بني إسرائيل لموسى كان سببها تجربة سابقة من قتل فرعون لأبنائهم، واستحياء نساءهم؛ فخافوا
أن يلحقهم القتل من جديد فذكروا هذه المقالة بناء على ذلك، لا على سبيل النفرة من نبي الله موسى

¹ المحرر الوجيز، ج4، ص25.

² المحرر الوجيز، ج4، ص25.

عليه السلام وبغضهم أمر الله مما يوجب كفرهم، وقد بين ذلك الرازي بقوله: " إعلم أن قوم موسى عليه السلام، لما سمعوا ما ذكره فرعون من التهديد والوعيد خافوا وفزعوا، وقالوا قد أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا، وذلك لأن بني إسرائيل كانوا قبل مجيء موسى عليه السلام مستضعفين في يد فرعون اللعين، فكان يأخذ منهم الجزية ويستعملهم في الأعمال الشاقة ويمنعهم من الترفه والتنعم ويقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، فلما بعث الله تعالى موسى عليه السلام قوي رجاءهم في زوال تلك المضار والمتاعب، فلما سمعوا أن فرعون أعاد التهديد مرة ثانية عظم خوفهم وحزنهم، فقالوا هذا الكلام."¹

إلا أن ما وقع منهم لا يُستبعد أن يكون من رواسب أخلاقهم مما هو معهود في طباعهم ومعاملاتهم مع أنبياء الله، لذلك ذكر ابن عطية أن هذا من معهود كلامهم يدل عليه السياق القصصي لحالمهم في غير موضعٍ من قصصهم، حيث قال: " وبالجملة هو كلام يجري مع المعهود من بني إسرائيل من اضطرابهم على أنبيائهم وقلة يقينهم وصبرهم على الدين... ويُقَوِّي هذا الظن في بني إسرائيل سلوكهم هذا السبيل في غير قصة."²

وقد استند ابن عطية هنا كذلك على السياق الداخلي المتمثل في لحاق الآية مبينا هذه الحقيقة ومثبتا لها حيث قال: " واستعطف موسى لهم بقوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ﴾، ووعدهم بالاستخلاف في الأرض يدل على أنه يستدعي نفوسا نافرة."³

فيلاحظ كيف ربط ابن عطية في هذا الموضوع كذلك بين السياق الخارجي القصصي والسياق الداخلي المتمثل في لحاقها في بيان معناها وتفسيرها.

¹ مفاتيح الغيب، ج14، 221-222.

² المحرر الوجيز، ج4، ص25.

³ المحرر الوجيز، ج4، ص25.

النموذج الرابع: السياق القصصي ومعنى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾

قال تعالى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا﴾ [النحل:15]

قال ابن عطية: "وقوله تعالى ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾ الآية. قال المتأولون، ﴿وَأَلْقَى﴾ بمعنى خَلَقَ وجَعَلَ... وهي عندي أخصُّ من خَلَقَ وجَعَلَ، وذلك أنَّ ألقى تقتضي أن الله أحدث الجبال ليس من الأرض، لكن من قدرته واختراعه، ويؤيد هذا النظر ما رُوي في القصص عن الحسن عن قيس بن عبّاد أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمُفَرَّة على ظهرها أحدا، فأصبحت ضحى وفيها رواسيها."¹

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في هذا النموذج خلاف المفسرين في قوله تعالى ﴿وَأَلْقَى﴾ فذكر لها تفسيرين:

-الأول: (ألقى): بمعنى: خلق وجعل، وذكر أن هذا قول المتأولين.

-الثاني: (ألقى): بمعنى أخصُّ من خَلَقَ وجَعَلَ، فهي تقتضي خلقا جديدا لا من جنس الأرض، وإنما أوجد الجبال استقلالا لتثبيت الأرض، وهذا المعنى هو اختياره.

وقد استند ابن عطية فيما ذهب إليه بالمروى من القصص المتعلقة بخلق الجبال، ووضح ذلك بقوله: "ويؤيد هذا النظر ما رُوي في القصص عن الحسن عن قيس بن عبّاد أن الله تعالى لما خلق الأرض جعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هذه بمُفَرَّة على ظهرها أحدا، فأصبحت ضحى وفيها رواسيها."²

¹ المحرر الوجيز، ج5، ص337-338.

² المحرر الوجيز، ج5، ص338.

وهذا القصص مروى كذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما رواه ابن جرير بقوله: " عن علي بن أبي طالب، قال: لما خلق الله الأرض قَمَصَتْ (اضطربت)، وقالت: أي ربّ، أتجعل عليّ بني آدم يعملون عليّ الخطايا، ويجعلون عليّ الحبث؟ قال: فأرسي الله عليها من الجبال ما ترون وما لا ترون، فكان قرارها كاللحم يترجرج." ¹

وقد ذكر هذا المعنى الذي ذهب إليه ابن عطية بعض المفسرين منهم:

- ابن عاشور حيث قال: " انتقال إلى الاستدلال والامتنان بما على سطح الأرض من المخلوقات العظيمة التي في وجودها لُطْفٌ بالإنسان، وهذه المخلوقات لمّا كانت مجموعلةً كالتكملة للأرض، وموضوعةً على ظاهر سطحها عبّر عن خَلْقِهَا ووضعها بالإلقاء الذي هو رميُّ شيءٍ على الأرض." ²

- البقاعي حيث قال: " ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾ أي: وضع فيها وضعاً، كأنه قذفه فيها قذفاً، جبلاً

﴿رَوَّسِي﴾. ³

النموذج الخامس: السياق القصصي لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: 20]

قال ابن عطية: " ومعنى الآية أنّ ما قال إبليس من أنه سيفتئذ بني آدم ويغوبهم، وما قال من أن الله لا يجد أكثرهم شاكرين، وغير ذلك كان ظناً منه وصدق فيهم، وأخبر الله تعالى عنهم أنهم اتبعوه، وهو اتّباعٌ في كفر؛ لأنه في قصة قوم كفّار، وقوله تعالى ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكِّ﴾ [سبأ: 21] يدل على ذلك." ⁴

¹ جامع البيان، ج 14-ص 14-15.

² التحرير والتنوير، ج 14، ص 190.

³ نظم الدرر، ج 11، ص 126.

⁴ المحرر الوجيز، ج 7، ص 181.

الدراسة التحليلية:

ذكر ابن عطية في تفسير هذه الآية، أن إبليس توعدّ بفتنة وإغواء بني آدم وإبعادهم عن الصراط المستقيم، كما ذكر الله عنه في عدة آيات، كل ذلك بناء على ظنّه، وقد صدق ذلك الظنّ فيهم لحكمة أرادها العليّ القدير، فاتّبعه كثير منهم، فقال موضّحاً ذلك: " ومعنى الآية أنّ ما قال إبليس من أنه سيّقتنّ بني آدم ويغويهم، وما قال من أن الله لا يجد أكثرهم شاكرين، وغير ذلك كان ظنّاً منه وصدق فيهم، وأخبر الله تعالى عنهم أنهم اتّبعوه." ¹

ثم بيّن ابن عطية نوع هذا الاتّباع وأنه اتّباع في كفرٍ بالله وإشراكٍ به، مستندا في ذلك إلى سياق القصة مما سبق هذه الآية من ذكر قصة قوم سبأ حيث قال: " وأخبر الله تعالى عنهم أنهم اتّبعوه، وهو اتّباع في كفر؛ لأنه في قصة قوم كفّار." ²

وعضد ما ذهب إليه كذلك بالسياق الداخلي المتمثل في لحاق الآية حيث قال: "وقوله تعالى ﴿هُوَ مِنْهَا فِي شَكِّ﴾ [سبأ: 21] يدل على ذلك." ³

وقد ذهب جمعٌ من المفسرين إلى أن الكلام في سياق ذكر قصة سبأ، وأن الاتّباع فيها اتّباع في الكفر، نذكر بعضهم:

- أبو حيان حيث قال: "﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾: أي في الكفر. ﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾: هم المؤمنون، و﴿مِنْ﴾ لبيان الجنس، ولا يمكن أن تكون للتبعيض لاقتضاء ذلك، أن فريقاً من المؤمنين اتبعوا إبليس. وفي قوله:

¹ المحرر الوجيز، ج7 ن ص 181.

² المصدر نفسه، ج7، ص 181.

³ المحرر الوجيز، ج7، ص 181.

﴿إِلَّا فَرِيقًا﴾ ، تقليلًا، لأنَّ المؤمنين بالإضافة إلى الكفار قليل، كما قال: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:62].¹

-ابن كثير حيث قال: "لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم في اتِّباعِهِمُ الهوى والشيطان، أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتَّبَعَ إبليس والهوى، وخالف الرشاد والهدى، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾. [سبأ:20]، قال ابن عباس وغيره: هذه الآية كقوله تعالى إخبارًا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم، ثم قال: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: 62]، ثم قال ﴿ثُمَّ لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: 17] والآيات في هذا كثيرة.²

وقد بين ابن عاشور معنى الآية مستندا إلى سياق القصة سبأ ولحاقا، مبينا فصاحة القرآن في ذلك وبلاغته حيث قال: "والذي درج عليه المفسرون أن ضمير ﴿عَلَيْهِمْ﴾ عائد إلى سبأ المتحدث عنهم، ولكن لا مفر من أن قوله تعالى بعد ذلك: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سبأ: 22] الآيات، هو عَوْدٌ إلى محاجة المشركين المنتقل منها بذكر قصة داود وسليمان وأهل سبأ، وصلوحية الآية للمَحْمَلَيْنِ ناشئة من مَوْجِعِهَا، وهذا من بلاغة القرآن المستفادة من ترتيب مواقع الآية. فالمقصود تنبيه المؤمنين إلى مكائد الشيطان، وسوء عاقبة أتباعه ليحذروه ويستيقظوا لكيدته فلا يقعوا في شرك وسوسته، فالمعنى: أن الشيطان سول للمشركين أو سَوَّلَ لِلْمُمَثِّلِ بهم حال المشركين الإشرار

¹ تفسير البحر المحيط، ج7، ص263.

² تفسير القرآن العظيم، ج11، ص280-281.

بالمُنْعَمِ وَحَسَّنَ لَهُمْ ضِدَّ النِّعْمَةِ حَتَّى تَمَنَّوْهُ، وَتَوَسَّمَ فِيهِمُ الْإِنْخِدَاعَ لَهْنٍ فَأَلْقَى إِلَيْهِمْ وَسُوسَتَهُ وَكَرَّهَ إِلَيْهِمْ نِصَائِحَ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ فَصَدَّقَ تَوَسُّمَهُ فِيهِمْ أَنَّهُمْ يَأْخُذُونَ بِدَعْوَتِهِ فَقَبِلُوهَا وَأَعْرَضُوا عَنْ خِلَافِهَا فَاتَّبَعُوهُ.¹

فتبين من هذا العرض كيف وضَّح المفسرون معنى الآية مع ربطها بسياقها القصصي، مع مراعاة بعضٍ منهم سياقها الداخلي لتعزيد وتأييد المعنى الذي فسَّروا به الآية، كما فعل ابن عطية في هذا النموذج، وكذلك ابن عاشور مما ذكرناه آنفاً.

الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:

- اعتناء ابن عطية بأسانيد القصص التي يوردها، مقتصرًا في ذلك على ما يخصُّ الآية في بيان معناها.
- اختصاره للقصة التي يوردها وحذف الزيادات الضعيفة منها.
- ربط القصص بما يتم به المعنى وتفسير الآية من السياق الداخلي سباقًا ولحاقًا
- تصريحه بأهمية السياق القصصي في بيان المعنى، من ذلك قوله: "وجرت قصة الآية."
- توظيف السياق القصصي في بيان الراجح والصحيح من الأقوال.
- التضعيف للقصص بالسياق الداخلي وتحديدًا بلحاق الآية كما في النموذج الثاني.

¹ التحرير والتنوير (182/22)

الخلاصة

وفي ختام هذا البحث ومن خلال عرض فصوله ومباحثه نخرج بمجموعة من النتائج والمقترحات:

أولاً: النتائج:

إنَّ أول ما نستخلصه من خلال هذا البحث هو بيان مدى أهمية توظيف السياق في تفسير القرآن الكريم، فلا يمكن بأي حال من الأحوال التخلي عنه في شتى مناحي التفسير ودلالاته، فهو المنهج الأمثل للفهم الصحيح للقرآن، ورد الفهم السقيم والشاذ من الأقوال التفسيرية، فالسياق سور المعنى القوي، وحصنه الحصين، وصمَّام أمان المفسرين في القديم والحديث، وعليه المعوَّل في الابتعاد عن الشطط الفكري المنحرف؛ فالإخلال بالسياق إلى نتائج فكرية سلبية تعصِّفُ بالعقل السليم للمسلم، وفطرته القويمة، وتُردي به في ظلمات الجهل ودياجر الانحراف، فينتج الاعوجاج والانفصام في فهم النصوص، والذي يؤدي حتماً إلى الغلط في الحكم عليها، إذ الحكم عن الشيء فرع عن تصوره، وبخاصة في تفسير القرآن الكريم، الذي هو كلام الله وحبله المتين، ومنه مُستمدُّ النور والهداية، وفيه بيان معالم الصراط المستقيم، لذلك كان الاعتناء بالسياق في فهم القرآن من أهم المهمات، وأجلّ المدركات، وهذا ما لاحظناه في تفسير ابن عطية الأندلسي بالإضافة إلى النتائج الآتية:

1- تبين كيف كان لابن عطية اهتماما كبيرا بالسياق القرآني في تفسيره، وهذا يؤكد ثراء كتب التفسير القديمة بكثير من مباحث أصول التفسير منها: مراعاة السياق وتوظيفه فيه.

2- التنوع في توظيف السياق القرآني عند ابن عطية، فوجدناه موظفاً في محورين أساسيين يتمثلان في السياق الداخلي والسياق الخارجي:

أ- السياق الداخلي: فنجد التنوع في توظيفه من خلال ما يلي:

-المباحث اللغوية مفردات وتراكيب.

-توظيف السباق واللاحق أو كلاهما في بيان المعاني القرآنية.

- توظيف السياق في ترجيح الأقوال وبيان الصحيح منها.
- توظيف السياق في رد الضعيف من الأقوال وما لا يتعلق بتفسير الآية.
- توظيف السياق في الاستنباط واستخراج المعاني سواء منها العقائدية، أو الفقهية، أو المقاصدية، والتربوية الأخلاقية.
- توظيف السياق في عدة مباحث من علوم القرآن، كأسباب النزول، والمكي والمدني، القراءات القرآنية، والمناسبات
- ب-السياق الخارجي: وقد تنوع توظيفه له من خلال ما يلي:
 - توظيف السياق الخارجي المتمثل في أسباب النزول (سياق الحال والمقام)
 - سياق الحديث النبوي المتضمن لأقوال النبي وأفعاله التي تعين في تفسير الآية
 - سياق المكي والمدني (السياق المكاني)
 - السياق الاجتماعي وذلك بمراعاة أحوال الناس وعاداتهم، وأعرافهم، وطرائق معاشهم وثقافتهم الدينية وتوظيف ذلك في تفسير الآية.
 - السياق القصصي وما يحمله من وقائع مرتبطة بمحيط الآية مما يعين على تفسيرها وبيان معناها الصحيح.
- 3-عدم اعتماد ابن عطية على نوع واحد من أنواع السياق، فقد كان يوظف السياق توظيفاً متكاملًا يربط فيه بين أجزاء الآيات بمراعاة السباق واللحاق من المفردات القرآنية والتراكيب والمقاطع من الآيات مع ملاحظة ما يحيط بالآية من أنواع السياق الخارجي للخروج بالمعنى الصحيح.

4- التصريح بالمصطلحات السياقية الدالة على توظيفه للسياق وتأثيره في تفسيره كقوله: (رصف الآية)، (نقط الآية)، (السياق)، (سباق الآيات)، (السابق واللاحق من الآيات)، (قصة الآية) (النظم)، (نسق الآية)، (يدل عليه ما تقدم)، (ترتيب الآية)، (تناسق الكلام)، وغيرها من المصطلحات.

5- اعتناء ابن عطية بنقل أقوال المفسرين المعتنين بتوظيف السياق القرآني، كتفسير ابن جرير الطبري، وكتاب (الحجّة) لأبي عبيد الله الفارسي، فيذكر أقوالهم المعنوية بالسياق مؤيِّداً بما ذهب إليه من تفسير الآية، أو تقوية معناها، أو تضعيفها، مع عدم التسليم دائماً بأقوالهم فتراه يذكرها ويتعرض لها بالنقد إذا تبين له محلُّ ذلك.

6- صلاحية كثير من المباحث السياقية لتوظيفها كقاعدة بحثية للدرس السياقي المعاصر وربطه بما تركه المفسرين الأوائل وفيه دليل على أن السياق ليس نتاج الحداثة ولا هو صفة عصرية تنظيراً وتوظيفاً.

-ثانياً: المقترحات:

إنّ تفسير ابن عطية الأندلسي نستطيع أن نعبر عنه كما يقال بلغة العصر بأنه جامعةٌ تراثية سياقية ذات كليات وأقسام، تجمع بين الأصالة والمعاصرة ومحلُّ خصب لدراسة السياق القرآني، وكثير من الجزئيات لم أتعرض لها في هذا البحث مما له علاقة بالسياق القرآني فأنا لا أدعي الحصر والتمام في تناول مسألة السياق في هذا التفسير العظيم والذي يعتبر من تفاسير العلماء المتقدمين؛ فقد أبان ابن عطية عن منهج متكامل في توظيف السياق القرآني، في غاية الترابط، والانسجام، في مادة علمية دسمة تحتاج للاعتناء وتستحق أن تحظى بالاهتمام، ومن خلال ما سبق، وتطلُّعا إلى الأحسن نخرج ببعض المقترحات:

1- ضرورة الاعتناء بتراث القدماء من المفسرين، والاهتمام بها بدراستها دراسة متأنية فاحصة؛ لاستخراج ما تحويه من مكونات في أصول وقواعد التفسير، في محاولة لربط التراث القديم بمناهج المفسرين في العصر الحديث.

2- ضرورة توجه الباحثين في تخصص الدراسات القرآنية، للتنقيب عن مختلف مباحث علوم القرآن والتفسير من خلال كتب التفسير القديمة وإفرادها بالبحث والتحري، ثم عرضها كقاعدة انطلاقيه بنائية من خلالها يتم الربط بين التراث الأصيل والعلوم الحديثة في منهج متكامل لا يدير ظهره لتراث القدامى من المفسرين وما تركوه من تراث تفسيري.

-إنشاء مخابر بحث تعني بالدرس السياقي عموما، والسياق القرآني على وجه الخصوص، يجتمع على ذلك المتخصصون في اللغة، والتفسير، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، كل ذلك لغاية الاعتناء بالقرآن الكريم وتفسيره بعيدا عن النظريات الشاذة والأقوال البعيدة عن السياق بشتى أنواعه.

وفي الأخير أحمد الله تبارك وتعالى أن يسّر لي إتمام هذا البحث، فما كان فيه من زلل وخطأ فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه وأتوب إليه فهو الغفور التواب، وما فيه من صواب فمن فضل الله ونعمته، كما أسأله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

كما أشكر الأستاذة المشرفة، ولجنة المناقشة المكونة من الأساتذة الفضلاء على قبولهم قراءة البحث، وتصحيح ما فيه من أخطاء، وما أسدوه من نصائح وتوجيهات، وإرشادات لتدارك العيب والخلل، فجزاهم الله خيرا.

كما أخص بالشكر الأستاذ الدكتور بلخير عثمان المشرف الأول على هذه الرسالة قبل أن ينتقل الإشراف إلى الأستاذة بوسيف لظروف وأسباب، رغم ذلك رافقني بالتوجيهات والإرشاد والتشجيع إلى غاية ختام البحث، فكان نعم الناصح؛ فجزاه الله خيرا وجعل ذلك في ميزان حسناته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

تمت كتابة البحث: يوم السبت: 15 جمادى الآخرة 1444هـ

الموافق لـ 07 /يناير/ 2023م.

الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
66	04	الفاتحة	﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾
70-68	06	الفاتحة	﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾
155	02	البقرة	﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾
68	05	البقرة	﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾
195-194	08	البقرة	﴿ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾
195-194	10	البقرة	﴿ يَكْذِبُونَ ﴾
195	14	البقرة	﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴾
83-82	15	البقرة	﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ ﴾
206-205	20	البقرة	﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾
128	28	البقرة	﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾
129-128	29	البقرة	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
183-182	31	البقرة	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

255	48	البقرة	﴿ وَأَنْتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾
77-75	164	البقرة	﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيحِ ﴾
79-77	225	البقرة	﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
154-153	236	البقرة	﴿ وَمَتَّعُوهُمْ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدْرَهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴾
155	237	البقرة	﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبَ لِلتَّقْوَى ﴾
154	241	البقرة	﴿ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾
267-266	243	البقرة	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾
268-267	244	البقرة	﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾
96	259	البقرة	﴿ فَاَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾
98	269	البقرة	﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
164	275	البقرة	﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾
185-184	281	البقرة	﴿ وَأَنْتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

156	282	البقرة	﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِيَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكْتُبُوهُ ﴾
66	19	آل عمران	﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾
99	34	آل عمران	﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ﴾
266-265	62	آل عمران	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
117	64	آل عمران	﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
98	79	آل عمران	﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكُتُبَ وَبِمَا كُنْتُمْ تُدْرَسُونَ ﴾
221-219	103	آل عمران	﴿ وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾
130	145	آل عمران	﴿ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾
34	170	آل عمران	﴿ تَعَالَىٰ: ﴿ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ﴾
43	194	آل عمران	﴿ رَبَّنَا وَعَإِنَّا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾
44	195	آل عمران	﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتِ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

59	03	النساء	﴿ فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنِي وَتِلْكَ وَرِيع ﴾
55-51	06	النساء	﴿ وَأَبْلُوا إِلَيْكُمْ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾
97	13	النساء	﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾
80	24	النساء	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾
36	24	النساء	﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ ﴾
157-81	25	النساء	﴿ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِّحَاتٍ ﴾
170-12	43	النساء	﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾
158	43	النساء	﴿ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً ﴾
143-142	45-44	النساء	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُشْتَرُونَ الضَّلَاةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾
104	65	النساء	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
50	78	النساء	﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾
137	83	النساء	﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾
158	92	النساء	﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾
48	105	النساء	﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ﴾
24	141	النساء	﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

243	101	المائدة	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوُكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلِ الْقُرْءَانُ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
61	110	المائدة	﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ ﴾
35	116	المائدة	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾
55	06	الأنعام	﴿ فَإِن ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾
72	23	الأنعام	﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾
157	38	الأنعام	﴿ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾
234	52	الأنعام	﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدُوَّةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَطَرَدْتَهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾
235-235	54-53	الأنعام	﴿ سَلَّمَ عَلَيْكُمْ ۗ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾
188	57	الأنعام	﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي ﴾
270	76	الأنعام	﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾
271-270	78	الأنعام	﴿ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾
10	103	الأنعام	﴿ لَا تَدْرِكُهُ الْآبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْآبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

104	109	الأنعام	﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
109	112-111	الأنعام	﴿ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكِيَّةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ ﴾
108	114	الأنعام	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾
222-221	114	الأنعام	﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾
35	119	المائدة	﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ﴾
189	122	الأنعام	﴿ أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾
68	125	الأنعام	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾
242	141	الأنعام	﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾
53	151	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾
104	151	الأنعام	﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ عَلَىٰ شُرُوكِكُمْ ﴾
55	152	الأنعام	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ﴾
103	03	الأعراف	﴿ مَا مَنَعَكَ إِلَّا تَسْجُدَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

103	12	الأعراف	﴿ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
166-165	17	الأعراف	﴿ ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾
277	17	الأعراف	﴿ ثُمَّ لَا تَبْنِيَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾
232	33	الأعراف	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾
100	51	الأعراف	﴿ فَالْيَوْمَ نَنْسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾
272	129	الأعراف	﴿ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾
103	142	الأعراف	﴿ أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
50	150	الأعراف	﴿ غَضِبْنَا سَفَا ﴾
41	160	الأعراف	﴿ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

163	الأعراف	﴿ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ ﴾	17-26-27
184	الأعراف	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ ^ط إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	222-223
195	الأعراف	﴿ قُلْ أَدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنظِرُونَ ﴾	197
196	الأعراف	﴿ إِنَّ وِلَىَّ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ^ط وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾	195-196-197
202	الأعراف	﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُم فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴾	82
11	الأنفال	﴿ لِيُظْهِرَكُمْ بِهِ ﴾	106
35	الأنفال	﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً ﴾	90-91
39	الأنفال	﴿ وَقَتَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَللَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾	248
43-44	الأنفال	﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ^ط وَلَوْ أَرَدْنَاكَ كَثِيرًا لَفْشَلْتُمْ وَلَتَنْزَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ ... ﴾ الآيات	172-173
62-63	الأنفال	﴿ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾	119

فهرس الآيات القرآنية

166	72	الأنفال	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَأُوا وَنَصَرُوا أَوْلِيَّكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ﴾ الآية
167	75-73	الأنفال	﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾ (٧٣) الآية
174	09	التوبة	﴿ اشْتَرَوْا بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ ۚ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
208	17	التوبة	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾
256	36	التوبة	﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الْدِّينُ الْقِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ ﴾
257	37	التوبة	﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْكِمُونَهُ عَامًا لِّيُؤَاطِعُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءٌ أَعْمَلِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾
59	37	التوبة	﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

112-111	56	التوبة	﴿ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ ﴾
112-111	67	التوبة	﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾
110	67	التوبة	﴿ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾
245	84	التوبة	﴿ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴾
83	98	التوبة	﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَعْرَمًا وَيَنزِصُ بِكُمُ الدَّوَابِّ عَلَيْهِمْ ذَايِرَةٌ السَّوْءِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
101	111	التوبة	﴿ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾
247	118-117	التوبة	﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۗ ... ﴾ الآيات
207	118	التوبة	﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾
185	126	التوبة	﴿ أُولَٰئِكَ يَرْوُونَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾
76-75	22	يونس	﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾
68	25	يونس	﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

145-144	32-31	يونس	﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ... ﴾ الآيات
97-96	42	يونس	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَعِينُ إِلَيْكَ ﴾
188	16-15	هود	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
-187 189-188	17	هود	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنَ الْأَحْزَابِ فَالْتَأَرْ مَوْعِدُهُ، فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
190	24	هود	﴿ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾
48	101	هود	﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْنِيبٍ ﴾
179	108	هود	﴿ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴾
266-48	03	يوسف	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

147-146	07	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ ءَايَاتٌ لِّلسَّالِينَ ﴾
51	20	يوسف	﴿ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ﴾
90	23	يوسف	﴿ وَعَلَقَتِ الْأَبْوَابَ ﴾
114-113	41	يوسف	﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾
114-113	42	يوسف	﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾
50	84	يوسف	﴿ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يُوسُفَ ﴾
265	111	يوسف	﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾
68	07	الرعد	﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
61	16	الرعد	﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾
36	04	الحجر	﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴾
135-134	23	الحجر	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾
135	22-16	الحجر	﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ... ﴿الآيات﴾
177	23	الحجر	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴾
175	24	الحجر	﴿ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ ﴿١٧﴾
189	25	الحجر	﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

226	48-43	الحجر	﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّٰ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾
224	50-49	الحجر	﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِي أَنَا الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴾
210	88	الحجر	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
274	15	النحل	﴿ وَالْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَايَا أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾
258	16	النحل	﴿ وَعَلَّمَتِ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾
119	36	النحل	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾
37	65	النحل	﴿ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾
37	70	النحل	﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يُنَوِّقُكُمْ ﴾
47	89	النحل	﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

236	112	النحل	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ الآية
167	15	الإسراء	﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾
168	17-16	الإسراء	﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا ﴾
132	19-18	الإسراء	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾
53	31	الإسراء	﴿ وَلَا تَقْنَلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشِيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾
152	44	الإسراء	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾
211-210	60	الإسراء	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرَّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا ﴾
277	62	الإسراء	﴿ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾
178	97	الإسراء	﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

205	09	الكهف	﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾
198	10	الكهف	﴿ إِذْ أَوْى الْقَتِيَّةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَئَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾
198	12-11	الكهف	﴿ فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝ ﴾
199	24	الكهف	﴿ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي ربي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾
235	28	الكهف	﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾
39	78	الكهف	﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾
39	82	الكهف	﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾
51	82	الكهف	﴿ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا ﴾
39	97	الكهف	﴿ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾
200	30-25	طه	﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ ٢٥ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۝ ٢٦ ۝ وَأَحْلَلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۝ ٢٧ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۝ ٢٨ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝ ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ﴾
199	32-30	طه	﴿ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٣٠ أَشَدُّ بِهِ ۝ ٣١ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴾
73-72	40	طه	﴿ وَفَنَّكَ فَنُونًا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

68	50	طه	﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾
212-211	53	طه	﴿أَرْوَجًا مِّن نَّبَاتِ شَتَى﴾
104	92	طه	﴿قَالَ يَهْرُونَ مَانِعَكَ إِذِ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾
103-102	93	طه	﴿أَلَا تَتَّبِعِينَ﴾
114	93	طه	﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾
41	119-118	طه	﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى﴾
178	125	طه	﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى﴾
212	129	طه	﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾
134	01	الأنبياء	﴿أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾
123	02	الأنبياء	﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ﴾ الآية
122	5-2	الأنبياء	﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ...﴾ الآيات
119	25	الأنبياء	﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾
42	90	الأنبياء	﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾
104	95	الأنبياء	﴿وَحَرَّمَ عَلَى قَرِيْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾

فهرس الآيات القرآنية

56	02-01	الحج	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّا نَزَّلْنَا السَّاعَةَ شَيْءًا عَظِيمًا ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾
272-260	73	الحج	﴿ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴾
61	14	المؤمنون	﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾
148-147	26	المؤمنون	﴿ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾
83-82	55	المؤمنون	﴿ أَنَّمَا نُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴾
23	60	المؤمنون	﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾
23	61	المؤمنون	﴿ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾
85	19	الفرقان	﴿ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾
72-71	24	الفرقان	﴿ خَيْرٌ مُّسْتَقْرَأً ﴾
106-105	48	الفرقان	﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾
84-83	65	الفرقان	﴿ إِنَّا عَذَابُهَا كَانَ غَرَامًا ﴾
162	67	الفرقان	﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾
35	68	الفرقان	﴿ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾
212	48-47	الشعراء	﴿ قَالُوا يَا مَنَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴾
219	215	الشعراء	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

210-209	215	الشعراء	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
83	36	النمل	﴿ أْتِمِدُّونَنِي بِمَالٍ ﴾
265	11	القصص	﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيه ﴾
201	34	القصص	﴿ وَأَخِي هَكْرُوتٌ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلَهُ مَعِيَ رِدَاءً يُصَدِّقُنِي ۖ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾
68	56	القصص	﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾
51	66	القصص	﴿ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ ﴾
202-201	68	القصص	﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾
213	69	القصص	﴿ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ ﴾
61	17	العنكبوت	﴿ وَتَخْلُقُونَ أَفْكَا ﴾
240-238	46	العنكبوت	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾
227	47-46	العنكبوت	﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَوَحْدٌ لَهُ، مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

226	50	العنكبوت	﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾
227	51	العنكبوت	﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ﴿
54	3-2	الروم	﴿ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِي آدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾
51	48	الروم	﴿ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا ﴾
139	14	لقمان	﴿ وَفَضَّلَهُ فِي عَامَيْنِ ﴾
162	19	لقمان	﴿ وَأَقْصِدْ فِي مَشِيكَ ﴾
201	36	الأحزاب	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾
123	38	الأحزاب	﴿ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴾
124-123	39	الأحزاب	﴿ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ ﴾
159	50	الأحزاب	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْ أَاحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ... الآية ﴾
54	15	سبأ	﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

285	20	سبأ	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾
277	20	سبأ	﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ ﴾
276-275	21	سبأ	﴿ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكِّ ﴾
252	22	سبأ	﴿ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾
253	22	سبأ	﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ ﴾
251	23	سبأ	﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُرِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾
189	08	فاطر	﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾
162	32	فاطر	﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ، وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ ﴾
178	08	يس	﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا ﴾
177	09	يس	﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾
105	12	يس	﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾
88-87	41	يس	﴿ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴾
51	125	الصفات	﴿ أَدْعُونَ بَعْلًا ﴾
46	158	الصفات	﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ، وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا، وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾
81-80	34	ص	﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

115	75	ص	﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾
126	08	الزمر	﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّیُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾
126	09	الزمر	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ ﴾
127	09	الزمر	﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
61	62	الزمر	﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
136	10	غافر	﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾
127	10	غافر	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقَّتْ اللَّهُ أَكْبَرَ مِنْ مَّقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾
115-114	10	غافر	﴿ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾
114	11	غافر	﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾
136-135	11	غافر	﴿ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّنْ سَبِيلٍ ﴾
66	17	غافر	﴿ الْيَوْمَ يُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

132	28-26	غافر	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٦٦﴾ ... ﴿ الآيات
134-133	28	غافر	﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿
241	7-6	فصلت	﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴿
147	10	فصلت	﴿ فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءٍ لِّلسَّالِينَ ﴿
68	17	فصلت	﴿ وَأَمَّا تُمُودٌ فَهَدَيْنَهُمْ ﴿
104	34	فصلت	﴿ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ﴿
46	42-41	فصلت	﴿ وَإِنَّهُ لَكَنُذُرٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿
89	11	الشورى	﴿ يَذُرُكُمْ فِيهِ ﴿
131	20	الشورى	﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ ﴿
132	20	الشورى	﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ ﴿
68	52	الشورى	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿

فهرس الآيات القرآنية

50	55	الزخرف	﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾
92	57	الزخرف	﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾
66	28	الجاثية	﴿ الْيَوْمَ يُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
100	34	الجاثية	﴿ الْيَوْمَ نَنسِفُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ ﴾
57	10	الأحقاف	﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ، فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
138	15	الأحقاف	﴿ وَحَمَلُهُ، وَفِضْلُهُ، ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾
61	25	الأحقاف	﴿ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
85	29	الأحقاف	﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْعِجَنِ ﴾
189	3-1	محمد	﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾
69	5-4	محمد	﴿ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾
188	14	محمد	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَمَنَّ زَيْنَ لَهُ، سَوْءُ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾
189	14	محمد	﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

160	29	الفتح	﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾
161	29	الفتح	﴿ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾
30	19	ق	﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ ﴾
30	21	ق	﴿ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴾
172	22	ق	﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾
149	18-17	الذاريات	﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴾
150	18	الذاريات	﴿ وَيَا لَأَسْحَارٍ هُمْ يَسْتَعْفِرُونَ ﴾
51	30	الطور	﴿ تَنْزِيلُ يَهُودِيٍّ رِيبَ الْمُنُونِ ﴾
83-82	22	الطور	﴿ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ ﴾
40	22-21	النجم	﴿ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾
40	22	النجم	﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾
190	10	القمر	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴾
190	10	القمر	﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴾
190	11	القمر	﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ ﴾
190	14	القمر	﴿ جَرَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾

فهرس الآيات القرآنية

191	15-12	القمر	﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدٍ قَدِيرٍ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كَافِرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مَّدَكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرٍ ﴾
68-67	86	الواقعة	﴿ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴾
104	29	الحديد	﴿ لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَا يَفْقِدُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ﴾
207	05	الصف	﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾
48	04	القلم	﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾
96	28	الحاقة	﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴾
96	29	الحاقة	﴿ سُلْطَنِيَّةٌ ﴾
74	12-11	المعارج	﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِهِمْ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَحْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴾
73	13	المعارج	﴿ وَفَصَّلَتْهُ الَّتِي تُنْوِي ﴾
184	27-26	نوح	﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ ﴾
53	13	الجن	﴿ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴾
262-261	18	الجن	﴿ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾
149	20	المزمل	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ، وَثُلُثَهُ، وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ﴿٤﴾ الْآيَةُ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

193	17	القيامة	﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴾
178	23	النبا	﴿ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴾
179	40-24	النبا	﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۖ ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ۖ ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ۖ ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ۖ ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ الآيات
180	36-31	النبا	﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۖ ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۖ ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۖ ﴿٣٣﴾ وَأَسَادِهَا قَافًا ۖ ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ۖ ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِمَّن رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾
241-50	18	النازعات	﴿ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى ﴾
50	17	عبس	﴿ قُلِ الْإِنْسَانُ ﴾
53	9-8	التكوير	﴿ وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سِيلَتْ ۖ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِيتَ ﴾
67	09	الإنفطار	﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾
67	10	الإنفطار	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴾
256	19	الإنفطار	﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ۖ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾
36	18	المطففين	﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عَلَيَيْنَ ﴾
50	01	البروج	﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴾
54	04	البروج	﴿ قُلِ اصْحَابُ الْأَخْذُودِ ﴾
54	09	الفجر	﴿ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴾

فهرس الآيات القرآنية

25	7-6	الضحى	﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾
72-71	07	الزلزلة	﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾
189	8-7	الزلزلة	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾
96	10	القارعة	﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾
53	01	الفيل	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾
169	5-1	الفيل	﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾
170	02-01	قريش	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِذْ لَفِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	الحديث
23	عن عائشة رضي الله عنها قالت للنبي صلى الله عليه: هم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصلون ويصومون، ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم، ﴿أُولَئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: 61].
56	بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه
133	أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.
227	أن ناسا من المسلمين، أتوا نبي الله بكتب.
143	إن الله قد عفا لكم عن صدقة الخيل.
244	قَدْ عَفَوْتُ لَكُمْ عَنْ صَدَقَةِ الْخَيْلِ وَالرَّقِيقِ.
246	عن حذيفة رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنزة، فخرج فيها أو يريدُها فتعلقتُ به فقلت: إجلس يا أمير المؤمنين، فإنه من أولئك، فقال: نشدتُك الله أنا منهم؟، قال: لا ولا أُبرئُ أحداً بعدك.
249	عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا، عصموا مني دماءهم، وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله.
252	إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فُزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف-المدينة المنورة-المملكة العربية السعودية).

المصادر والمراجع العامة

أ-

- أجدديات البحث في العلوم الشرعية، فريد الأنصاري، منشورات الفرقان، الطبعة الأولى، الدار البيضاء-المغرب-1417هـ/1997م.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، طبعة: مجمع الملك فهد، -المملكة العربية السعودية-تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، الطبعة الرابعة: 1434هـ-2013م.
- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، مراجعة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت-الطبعة الثالثة: 1424هـ-2003م.
- الإحكام في أصول الأحكام، أبو الحسن علي بن محمد الآمدي، علق عليه العلامة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، طبعة المكتب الإسلامي مؤسسة النور-الرياض-الطبعة الأولى: 1387هـ.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود بن محمد العمادي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة-الرياض-، دط، دت.
- أساس البلاغة، محمود الزمخشري، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.
- الإستنباط عند المفسرين، محمد بن عمر بازمول، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، الجزائر العاصمة، الطبعة الأولى: 1439هـ-2018م.

قائمة المصادر والمراجع

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، دت.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة التاسعة: 1393هـ-1973م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر النحاس، تحقيق: خالد العلي، دار المعرفة بيروت-لبنان، الطبعة الثانية، 1429هـ-2008م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله الشيرازي البيضاوي، تحقيق: محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ.
- أنواع التصنيفات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم، مساعد ابن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية: 1423هـ، ص154.

-ب-

- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، تحقيق: عبد القادر عبد الله العاني، راجعه: عمر سليمان الأشقر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، 1413هـ-1992م.
- البحر المحيط في أصول الفقه، بدر الدين الزركشي، دار الكتبي، الطبعة الأولى: 1414هـ-1994م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1413هـ-1993م.
- بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق ومراجعة: يسري السيد محمد، صالح الشامي، دار ابن الجوزي-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى: 1427هـ.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، (دت)، (دت).

قائمة المصادر والمراجع

- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: أبو الفضل الدمياطي، طبعة: دار الحديث-مصر-1427هـ/2006م.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى أبو جعفر الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى: 1410هـ-1689م.
- - - -
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: حسين نصار، طبعة التراث العربي، وزارة الإرشاد والبناء بالكويت، 1385هـ/1965م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العرابوي، طبعة: التراث العربي-الكويت-1410هـ/1990م.
- تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، الطبعة الثانية: 1400هـ-1980م.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد المعروف بـ: التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر-تونس-دط، سنة النشر: 1948هـ.
- تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد الذهبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد ابن جزري، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى 1415هـ-1995م.
- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، طبعة: دار القلم دمشق، الطبعة الثالثة: 1429هـ/2008م.
- التعريفات، الجرجاني، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية: 1424هـ-2002م.

قائمة المصادر والمراجع

- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير-جدة-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين ابن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، محمد السيد رشاد، محمد فضل العجاوي، علي أحمد عبد الباقي، حسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى: 1421هـ-2000م.
- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، سورة آل عمران، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، 1435هـ..
- تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، سورة الزمر، طبعة: مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، الطبعة الأولى: 1436هـ.
- التفسير الكبير، تقي الدين ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمان عميرة، دار الكتب العلمية - بيروت-، دط، دت.
- التفسير اللغوي للقرآن الكريم، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1422هـ.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار-القاهرة-، الطبعة الثانية: 1366هـ-1947م.
- تفسير مقاتل ابن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان-الطبعة الثانية: 1423هـ-2002م.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة - القاهرة-الطبعة السابعة، دت.
- تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، عبد الرحمان السعدي، تحقيق: عبد الرحمان اللويحق، مكتبة العبيكان-الرياض-المملكة العربية السعودية-الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.
- تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، عبد الرحمان بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، (دط)، (دت).

قائمة المصادر والمراجع

- ٢ -

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، تحقيق: عبد المحسن التركي، دار هجر- القاهرة- الطبعة الأولى: 1422هـ-2001م.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، محمد ابن أبي بكر القرطبي، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1427هـ-2006م.
- الجامع، عبد الله بن وهب، رواية: سحنون بن سعيد، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى: 2003م.
- جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر، جمعها وقراها وقدم لها: د. عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي- القاهرة- دت.
- المجلس الصالح النافع بتوضيح معاني الكوكب الساطع، علي ابن آدم الأثيوبي، دار ابن الجوزي، السعودية- الطبعة الأولى، 1431هـ.
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، عبد الرحمان بن مخلوف الثعالبي المالكي، تحقيق: علي محمد عوض، عادل احمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربيين بيروت- لبنان- الطبعة الأولى: 1418هـ-1997م.

- ٣ -

- حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع، حسن بن محمد العطار الشافعي، دار الكتب العلمية، دت.
- حجة القراءات، عبد الرحمان بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، طبعة: الرسالة، الطبعة الخامسة: 1418هـ-1997م.

- ٤ -

- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق- دت.

قائمة المصادر والمراجع

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، طبعة: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية-القاهرة-الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن سليمان الرومي، مكتبة الملك فهد-الرياض-الطبعة الخامسة عشرن 1428هـ-2007م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعين ضان، طبعة: مجلس دائرة المعارف العثمانية-الهند-، الطبعة: الثانية، 1392هـ-1972م.
- دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث، عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دط، دت.
- دلالة السياق، ردّة الله بن ضيف الله الطلحي، رسالة دكتوراه موصى بنشرها، جامعة أم القرى، الطبعة الأولى، 1424هـ.
- الدلالة السياقية عند اللغويين، عواطف كنتوش المصطفى، دار السياح للطباعة والنشر والتوزيع-لندن-الطبعة الأولى: 2007م.
- دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية، محمد إقبال عروي، روافد-وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية-الكويت-الطبعة الأولى 1428هـ-2007م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون المالكي، تحقيق: محمد الحمدي، دار التراث-القاهرة-دط، دت.
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت الطبعة: الثانية، 1401 هـ - 1981 م.

-ر-

- الرسالة، محمد ابن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية-بيروت- (دط)، (دت).
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الألوسي، ضبط: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، الطبعة الأولى: 1415هـ/1994م.

قائمة المصادر والمراجع

- ز -

- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، طبعة: المكتب الإسلامي-زهير الشاويش-دمشق-
الطبعة: الثالثة، 1403هـ-1983م.

- س -

- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، الطبعة
الأولى: 1430هـ-2009م
- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة، سعد بن محمد الشهراني، طبعة: كرسي
القرآن الكريم وعلومه-جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى: 1436هـ.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، حققه وخرج أحاديثه
وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1405هـ-1984م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة
المعارف للنشر والتوزيع-الرياض-طبعة: 1415هـ-1995م

- ش -

- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار
الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1424هـ-2002م
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين التفتازاني الشافعي،
تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى 1416 هـ -
1996م.

قائمة المصادر والمراجع

- شرح تنقيح الفصول، شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقراقي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973 م.
 - شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الإستراباذي، تحقيق: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت -، 1395 هـ - 1957 م
 - شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى: 1431 هـ.
 - شرح نظم مرتقى الوصول إلى علم الأصول، فخر الدين المحسي، تحقيق: مشهور حسن، الدار الأثرية - الأردن - الطبعة الأولى: 1428 هـ - 2007 م.
 - شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر المعاصر - بيروت -، الطبعة الأولى: 1420 هـ - 1999 م.
- ص-
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل ابن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت - الطبعة الثانية: 1399 هـ / 1979 م.
 - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد زهير، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى 1422 هـ.
 - الصحيح المسند من أسباب النزول للإمام مقبل ابن هادي الوادعي، طبعة دار الآثار، الطبعة السابعة: 1430 هـ / 2009 م.
 - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الجيل - بيروت -، دط، دت.
 - الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي، الثانية، 1374 هـ - 1955 م

قائمة المصادر والمراجع

- ط -

- طبقات الحفاظ، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت-، الطبعة الأولى: 1403هـ.
- طبقات المفسرين، الداوودي المالكي، دار الكتب العلمية-بيروت- الطبعة الأولى: 1403هـ- 1983م.

- ع -

- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين الشنقيطي، دار ابن القيم، - الدمام-السعودية، الطبعة الأولى: 1424هـ-2003م.
- عون المعبود شرح سنن أب داود، شرف الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية -بيروت- الطبعة الثانية: 1415هـ.

- ف -

- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية: دار المعرفة-بيروت-1379هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد ابن علي الشوكاني، دار الكلم الطيب، دمشق- الطبعة الثانية: 1419هـ-1998م.
- فصول في أصول التفسير، مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة: 1420هـ-1999م.
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1417هـ-1996م.
- فن الترتيل وعلومه، أحمد عبد الله الطويل، طبعة: مجمع الملك فهد-بالمدينة النبوية-، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-الرياض- الطبعة الثالثة: 1433هـ-2012م.

قائمة المصادر والمراجع

- فهرس ابن عطية، عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق: محمد أبو الأجنان ومحمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة الثانية: 1983م.
- الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت-، الطبعة الثانية: 1988م، ص 128.

-ق-

- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة-بيروت-لبنان-الطبعة الثانية: 1395هـ-1975م.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية-القاهرة-طبعة: 114هـ-1991م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحري، راجعه: مناع بن خليل القطان، دار القاسم - الرياض-الطبعة الأولى: 1417هـ/1996م.

-ك-

- الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط، جمال الدين ابن الحاجب، تحقيق: صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب-القاهرة-الطبعة الأولى: 2010م.
- الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر ابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار التاج-بيروت-الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.
- كتاب العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المنزومي، إبراهيم السمراي، دار ومكتبة الهلال، دت.

قائمة المصادر والمراجع

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد عوض، مكتبة العبيكان-الرياض- الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.

-ل-

- اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر -بيروت-، الطبعة الثالثة: 1414هـ.

-م-

- مجموع الفتاوى، تقي الدين أحمد ابن تيمية، اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز، دار الوفاء-مصر-الطبعة الثالثة: 1426هـ-2005م.
- محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمين تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الثانية: 1424هـ-2003م، ج2، ص424.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق ابن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد ابراهيم ومحمد الشافعي الصادق العناني، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الشؤون الإسلامية-دولة قطر-، مطابع دار الخير: سوريا ولبنان، الطبعة الثانية، 1428هـ/2007م.
- المحرر في علوم القرآن، مساعد بن سليمان الطيار، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي-جدة-المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1429هـ-2008م.
- المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين الرازي، تحقيق: جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، 1412هـ-1992م.
- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية-بيروت-، الطبعة الخامسة: 1420هـ-1999م.

قائمة المصادر والمراجع

- مختصر المزني في فروع الشافعية (مطبوع ملحق بالأم للشافعي الجزء الثامن)، إسماعيل ابن يحيى المزني، دار المعرفة-بيروت-1410هـ-1990م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أحمد بن محمود النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب-بيروت-الطبعة الأولى: 1419هـ-1998م.
- المدخل إلى علوم القرآن الكريم، فاروق النبهان، دار عالم القرآن-حلب-الطبعة الأولى: 1426هـ-2005م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية-بيروت-، الطبعة الأولى: 1418هـ-1998م.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الثانية: 1422هـ-2002م.
- مسند البزار، أحمد بن عمر البزار، تحقيق: محفوظ الرحمان، مكتبة العلوم والحكم-المدينة النبوية-الطبعة الأولى: 1415هـ-1995م.
- مشاهير علماء نجد، عبد الرحمان بن عبد اللطيف آل الشيخ، دار اليمامة، الطبعة الثانية سنة: 1394هـ.
- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت-الطبعة الأولى: 1417هـ-1996م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية-بيروت-
- مصحف القراءات العشر المتواترة من طريق طيبة النشر، إعداد جمال الدين محمد شرف، دار الصحابة للتراث-بطنطا-مصر-الطبعة الرابعة: 1433هـ-2012م.
- معالم التنزيل، البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة، سليمان مسلم، دار طيبة،-الرياض-الطبعة الأولى: 1409هـ-1989م.
- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شليبي، طبعة: دار عالم الكتب، -بيروت-الطبعة الأولى: 1408هـ، 1988م.

قائمة المصادر والمراجع

- معاني القرآن، أبو زكرياء الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة- مصر-، الطبعة الأولى، دت.
- معجم أصحاب القاضي أبي علي الصديقي، ابن الأبار، مكتبة الثقافة الدينية - مصر- الطبعة الأولى 1420 هـ -2000م
- معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، التعااضدية العالمية للطباعة والنشر- صفاقس- الجمهورية التونسية، الطبعة الأولى: 1986م.
- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت - لبنان- الطبعة: الثالثة، 1409 هـ -1988م.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بجمهورية مصر العربية، الطبعة الرابعة: 1425هـ/2004م، مكتبة الشروق الدولية.
- المعجم الكبير، الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية- القاهرة- الطبعة الثانية، دت.
- معجم مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر- بيروت- طبعة: 1431هـ-2010م.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ-1979م.
- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت- لبنان- الطبعة الأولى: 1401هـ-1981م.
- مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثانية، 1427هـ، ص 161
- مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب بن خوجة، طبعة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر-، 1425 هـ -2004م.

قائمة المصادر والمراجع

- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، عبد الكريم حامدي، دار ابن حزم-بيروت-الطبعة الأولى: 1429هـ-2008م.
- مقدمات في علم القراءات، أحمد مفلح القضاة، أحمد خالد شكري، محمد خالد منصور، دار عمار-الأردن-الطبعة الثانية: 1430هـ-2009م.
- مناهج البحث العلمي، عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، الطبعة الثالثة، 1977م.
- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن الجزري، إعتناء: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.
- منهج ابن عطية في تفسير القرآن الكريم، عبد الوهاب فايد، طبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، سنة: 1393هـ / 1973م.
- منهج اعتبار السياق في فقه النص الشرعي وضوابطه، عبد الكريم عكيوي، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، الرابطة المحمدية للعلماء-المملكة المغربية-دط، دت.
- الموافقات، أبو إسحاق الشاطبي، إشراف: تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى: 1417هـ-1997م.
- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد المغراوي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، -مصر- الطبعة الأولى، دت، ج10، ص435.
- الموطأ، مالك بن أنس، تخرّيج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-طبعة: 1406هـ-1985م.



- النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم-الكويت-دت.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي-القاهرة، ج1، ص404.

قائمة المصادر والمراجع

- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج ابن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة: الطبعة الأولى: 1404هـ-1984م
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، (دط)، 1388هـ.
- النكت والعيون، أبو الحسن الماوردي، تحقيق: بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية-بيروت-لبنان، دت.

-و-

- الواضح في أصول الفقه، أبو الوفاء بن عقيل، تحقيق: عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى: 1420هـ-1999م.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر-بيروت-الطبعة الأولى: 1971م.

-الرسائل العلمية الجامعية-

- الترجيح بدلالة السياق عند ابن عطية الأندلسي من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الأنعام - جمعا ودراسة-، بوعكاز علي، رسالة ماجستير، نوقشت في جامعة أحمد دراية-أدرار- 2017م.
- نظرية السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، المثني عبد الفتاح محمود، رسالة دكتوراه: تخصص التفسير وعلوم القرآن جامعة اليرموك-الأردن-1426هـ-2005م.

-المجلات العلمية-

- السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، زيد عمر عبد الله، بحث ضمن مجلة جامعة الملك سعود، إصدار: 1423هـ-2003م، مجلد: 15.
- السياق وأثره في فهم مقاصد الشرع، نجم الدين قادر كريم الزنكي، مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية عشر، العدد: 48، 1428هـ-2007م.

قائمة المصادر والمراجع

- السياق أنماطه وتطبيقاته في التعبير القرآني، خليل خلف بشير العامري، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية-جامعة البصرة-المجلد التاسع، العدد(02)، سنة 2010م.
- أثر السياق الخارجي في توجيه الدلالة التركيبية لدى مفسري القرآن الكريم، محمود حسن الجاسم، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغة وآدابها، العدد الثاني عشر: ربيع الآخر: 1435هـ- فبراير 2014م.
- أنثربولوجيا السياق الاجتماعي عند المفسرين-نماذج تطبيقية ونتائج منهجية-" بوعكاز علي، بلخير عثمان، أنثربولوجيا الأديان، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-الجزائر، المجلد 19، العدد1، تاريخ النشر: 2023/01/05.
- السياق الصربي وأثره في تفسير القرآن عند ابن عطية الأندلسي-نماذج ونتائج-، بوعكاز علي، بلخير عثمان، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية، جامعة العربي التبسي-تبسة-الجزائر، المجلد الثامن، العدد الأول/أفريل 2023م، تاريخ النشر: 2023/04/30، رابط المقال: <https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/223/8/1/219739>

المواقع الإلكترونية

- حضور اعتبار السياق في الكتاب والسنة وعمل السلف والخلف، عبد الهادي حميتو، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر، عدد رقم:34، الرابطة المحمدية للعلماء، المملكة المغربية، دط، دت، www.arrabita.ma.
- منهج السياق في فهم النص، عبد الرحمان بودرع، إصدار كتاب الأمة، العدد:111، المحرم 1427هـ-2006م، ص 31. عن طريق موقع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف-دولة قطر .
<https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=booklist&subject=76&ummaauthor=286>
- النص القرآني ومنهج السياق، عبد الرحمان بودرع، سلسلة الإسلام والسياق المعاصر رقم: (83)، الرابطة المحمدية للعلماء المملكة المغربية، www.arrabita.m.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة:.....	أ-ك
فصل تمهيدي: ترجمة ابن عطية وتعريف بتفسيره (المحرر الوجيز).....	01
المبحث الأول: إسمه ونسبه ومولده.....	02
المطلب الأول: إسمه ونسبه.....	02
المطلب الثاني: تاريخ مولده ونشأته.....	03
المبحث الثاني: حياته العلمية.....	05
المطلب الأول: صفاته الشخصية وهتمته في تحصيل العلم.....	05
المطلب الثاني: شيوخه.....	05
المطلب الثالث: مكانته العلمية.....	06
المطلب الرابع: آثاره العلمية.....	07
المطلب الخامس: وفاته.....	08
المبحث الثالث: التعريف بتفسير (المحرر الوجيز).....	09
المطلب الأول: المنهج العام لتفسير ابن عطية.....	09
المطلب الثاني: المصادر التي اعتمد عليها في تفسيره.....	10
المطلب الثالث: ثناء العلماء على تفسير ابن عطية.....	11
الفصل الثاني: دراسة نظرية حول السياق.....	15
المبحث الأول: مفهوم السياق القرآني.....	15
المطلب الأول: السياق لغة.....	15
المطلب الثاني: السياق اصطلاحاً:.....	16
المطلب الثالث: مفهوم مصطلح السياق القرآني.....	20
المبحث الثاني: أهمية مراعاة السياق في تفسير القرآن.....	21
المطلب الأول: استعمال السياق في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة.....	22

فهرس الموضوعات

22.....	إستعمال النبي صلى الله عليه وسلم للسياق.....
23.....	إستعمال الصحابة رضي الله عنهم للسياق.....
24.....	المطلب الثاني: تطبيق السياق عند التابعين.....
26.....	المطلب الثالث: تطبيق السياق عند الفقهاء وأئمة التفسير.....
30.....	المبحث الثالث: أنواع السياق القرآني وأركانه.....
30.....	المطلب الأول: السياق الداخلي.....
30.....	المطلب الثاني: أركان السياق القرآني الداخل.....
31.....	الركن الأول: السباق.....
32.....	أمثلة استعمال المفسرين للركن الأول.....
34.....	الركن الثاني: اللحاق:.....
34.....	اللحاق لغة.....
35.....	اللحاق اصطلاحاً.....
35.....	أمثلة استعمال المفسرين للركن الثاني.....
35.....	المطلب الثالث: أنواع السياق القرآني الداخلي.....
35.....	النوع الأول: سياق المفردة القرآنية.....
42.....	النوع الثاني: سياق الآية.....
42.....	النوع الثالث: سياق المقطع.....
44.....	النوع الرابع: سياق السورة.....
47.....	النوع الخامس: السياق العام للقرآن.....
51.....	المطلب الرابع: السياق الخارجي وأنواعه.....
52.....	مفهوم السياق الخارجي.....
52.....	أنواع السياق الخارجي وأهميتها.....

فهرس الموضوعات

- النوع الأول: السياق الاجتماعي.....53
- النوع الثاني: السياق التاريخي.....53
- المبحث الرابع: ضوابط في التفسير بالسياق.....55
- المطلب الأول: ضابط المنقول من القرآن وصحيح السنة والآثار.....55
- المطلب الثاني: ضابط موافقة السياق للغة العربية.....59
- المطلب الثالث: ضابط موافقة السياق للعقل الصريح.....60
- الفصل الثالث: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الداخلي.....63
- المبحث الأول: توظيف السياق الداخلي وبيان معاني المفردة القرآنية.....63
- المطلب الأول: المفردة القرآنية والمشارك اللفظي.....63
- المشارك لغة.....63
- المشارك اصطلاحاً.....64
- المطلب الثاني: المشارك اللفظي في علوم القرآن.....65
- النماذج التطبيقية.....66
- النموذج الأول: لفظة (الدّين).....66
- النموذج الثاني: لفظة (الهدى).....68
- النموذج الثالث: لفظة (الخير).....71
- النموذج الرابع: لفظة (الفتنة).....72
- النموذج الخامس: لفظة (الفصيلة).....73
- الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....74
- المطلب الثالث: المفردة القرآنية وسياق الاستعمال.....75
- النماذج التطبيقية:.....75

فهرس الموضوعات

- 76..... النموذج الأول: إستعمال لفظة (الريح) و (الرياح).....
- 77..... النموذج الثاني: إستعمال لفظة (اللَّغْو).....
- 80..... النموذج الثالث: إستعمال لفظة (المحصنات).....
- 82..... النموذج الرابع: إستعمال لفظة (بمَدُونَهُمْ).....
- 83..... النموذج الخامس: إستعمال لفظة (المغرم).....
- 84..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 85..... المطلب الرابع: المفردة القرآنية والاشتقاق الصربي.....
- 85..... الصرف لغة.....
- 86..... الصرف اصطلاحاً.....
- 86..... مفهوم السياق الصربي.....
- 87..... النماذج التطبيقية.....
- 87..... النموذج الأول: السياق الاشتقاقي لمفردة (الذريّة).....
- 90..... النموذج الثاني: السياق الاشتقاقي لمفردتي (المكاء) و (التصدية).....
- 93..... النموذج الثالث: السياق الصربي الاشتقاقي لمفردة: (التوراة والإنجيل).....
- 95..... النموذج الرابع: السياق الاشتقاقي لمفردة (البريّة).....
- 96..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية:.....
- 96..... المطلب الخامس: المفردة القرآنية والسياق النحوي.....
- 96..... النماذج التطبيقية:.....
- 96..... النموذج الأول: السياق النحوي للفظة (من) الموصولية.....
- 98..... النموذج الثاني: السياق النحوي ل(ما) بين المصدرية والموصولية.....
- 101..... النموذج الثالث: السياق النحوي لقوله تعالى (وعدا).....
- 102..... النموذج الرابع: السياق النحوي ل(ما) بين معنى (التوكيد) و(الزيادة).....

فهرس الموضوعات

- 105..... النموذج الخامس: السياق النحوي وإعراب قوله تعالى (كُلُّ).....
- 107..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 108..... المبحث الثاني: توظيف السياق الداخلي في بيان المعاني سباقا ولحاقا.....
- 108..... المطلب الأول: بيان المعنى بالسباق.....
- 108..... النماذج التطبيقية:
- 108..... النموذج الأول: السباق وبيان معنى قوله تعالى (مفصَّلاً).....
- 110..... النموذج الثاني: السباق وبيان معنى قوله تعالى (بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ).....
- 113..... النموذج الثالث: السباق ومعنى (الظَّنُّ) في الآية.....
- 114..... النموذج الرابع: السباق ودلالته على اتصال المعنى في الآية.....
- 116..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 117..... المطلب الثاني: بيان المعنى باللحاق.....
- 117..... النماذج التطبيقية:
- 117..... النموذج الأول: اللحاق وبيان قوله تعالى (كَلِمَةً).....
- 118..... النموذج الثاني: اللحاق وبيان معنى قوله تعالى (وَبِالْمُؤْمِنِينَ).....
- 119..... النموذج الثالث: اللحاق وبيان معنى العموم في قوله تعالى (لِلنَّاسِ).....
- 120..... النموذج الرابع: اللحاق وبيان معنى قوله تعالى (الَّذِينَ خَلَوْا).....
- 123..... النموذج الخامس: اللحاق وبيان المراد بـ(الإنسان) في الآية.....
- 127..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 128..... المطلب الثالث: بيان المعنى بالسباق واللاحق.....
- 128..... النماذج التطبيقية:
- 128..... النموذج الأول: السباق واللاحق وبيان معنى قوله تعالى (لكم).....
- 130..... النموذج الثاني: السباق واللاحق وبيان معنى (الثواب) في الآية.....
- 132..... النموذج الثالث: السباق واللاحق وبيان معاني إنهماز فرعون من خلال الآيات.....

فهرس الموضوعات

- 134..... النموذج الرابع: السباق واللحاق وبيان معاني قدرة الله الموجبة لتوحيده.
- 135..... النموذج الخامس: السباق واللحاق وبيان اتصال معنى الآيات.
- 136..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.
- 137..... **المبحث الثالث: السياق الداخلي واستنباط المعاني**
- 137..... **المطلب الأول: مفهوم الاستنباط.**
- 137..... الاستنباط لغة.
- 138..... الإستنباط اصطلاحاً.
- 139..... **المطلب الثاني: مراحل الاستنباط وأدواته.**
- 140..... **المطلب الثالث: الفرق بين التفسير والاستنباط.**
- 142..... **النماذج التطبيقية:**
- 142..... النموذج الأول: السياق واستنباط حكم عقدي (الولاء والبراء).
- 144..... النموذج الثاني: السياق واستنباط حكم عقدي (توحيد الله).
- 146..... النموذج الثالث: السياق واستنباط حكم تربوي تعليمي.
- 147..... النموذج الرابع: السياق واستنباط حكم في القصص القرآني.
- 148..... النموذج الخامس: السياق واستنباط حكم فقهي.
- 150..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.
- 151..... **المبحث الرابع: بيان المعاني ضمن السياق الفقهي والمقاصدي**
- 151..... **المطلب الأول: مفهوم السياق الفقهي.**
- 151..... الفقه لغة.
- 152..... الفقه اصطلاحاً.
- 153..... مفهوم السياق الفقهي.
- 153..... **النماذج التطبيقية:**

فهرس الموضوعات

- 153.....النموذج الأول: السياق الفقهي لقوله تعالى (وَمَتَّعُوهُمْ) بين الوجوب والندب.
- 156.....النموذج الثاني: السياق الفقهي وبيان معنى قوله تعالى (تَدَايَيْتُمْ).....
- 157.....النموذج الثالث: السياق الفقهي وبيان معنى (الطُّول) في قوله تعالى (طَوَّلًا).....
- 158.....النموذج الرابع: السياق الفقهي وبيان ما يحل من النساء للنبي صلى الله عليه وسلم.....
- 160.....النموذج الخامس: السياق الفقهي وبيان معنى قوله تعالى (سِيَمَاهِم).....
- 161.....الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 162.....المطلب الثاني: السياق المقاصدي.....
- 162.....المقاصد لغة.....
- 163.....المقاصد اصطلاحاً.....
- 163.....تعريف مقاصد القرآن.....
- 164.....النماذج التطبيقية:.....
- 164.....النموذج الأول: السياق المقاصدي وبيان معنى قوله تعالى (الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا).....
- 165.....النموذج الثاني: السياق المقاصدي وبيان مقصد (حفظ الدين).....
- 166.....النموذج الثالث: السياق المقاصدي وبيان منزلة المهاجرين والأنصار.....
- 167.....النموذج الرابع: السياق المقاصدي وبيان عادة الله في الأمم.....
- 169.....النموذج الخامس: السياق المقاصدي وبيان مقصد السورة.....
- 170.....الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 171.....المبحث الخامس: توظيف السياق الداخلي في التضعيف والترجيح.....
- 171.....المطلب الأول: توظيف السياق في تضعيف أقوال المفسرين.....
- 171.....التضعيف لغة.....
- 172.....التضعيف اصطلاحاً.....
- 172.....النماذج التطبيقية:.....
- 172.....النموذج الأول: السياق وتضعيف معنى في قوله تعالى (فِي مَنَامِكَ).....

فهرس الموضوعات

- 174..... النموذج الثاني: السياق وتضعيف قول بأن المقصود بالآية (اليهود).....
- 175..... النموذج الثالث: السياق وتضعيف معنى في قوله تعالى (وَلَقَدْ عَلَّمْنَا الْمِسْتَقْدِمِينَ)
- 177..... النموذج الرابع: السياق وتضعيف قول في أن معنى الآية يكون في الآخرة.....
- 178..... النموذج الخامس: السياق وتضعيف قول في المقصودين بالآية (لَا يَثِيرَ فِيهَا أَحْقَابًا)
- 180..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 181..... المطلب الثاني: السياق الداخلي والترجيح بين الأقوال.....
- 181..... الترجيح لغة.....
- 181..... الترجيح اصطلاحاً.....
- 182..... النماذج التطبيقية:
- 182..... النموذج الأول: السياق وترجيح قول في قوله تعالى (الْأَسْمَاءُ).....
- 184..... النموذج الثاني: السياق وترجيح قول في المقصود باليوم في الآية.....
- 185..... النموذج الثالث: السياق وترجيح قول في قوله تعالى (يُفْتَنُونَ).....
- 187..... النموذج الرابع: السياق وترجيح المراد في قوله تعالى (أَفَمَنْ).....
- 190..... النموذج الخامس: السياق وترجيح قول في قوله تعالى (إِنِّي مَعْلُوبٌ فَاَنْتَصِرْ)
- 192..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 193..... المبحث السادس: توظيف السياق الداخلي على علوم القرآن.....
- 193..... المطلب الأول: السياق الداخلي وعلم القراءات.....
- 193..... القراءة لغة.....
- 193..... القراءة اصطلاحاً.....
- 194..... النماذج التطبيقية:
- 194..... النموذج الأول: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى (يُكذِّبُونَ).....
- 195..... النموذج الثاني: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى (إِنَّ وَلِيِّ اللَّهِ)
- 198..... النموذج الثالث: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى (رَشِدًا).....
- 199..... النموذج الرابع: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى (أَشِدُّدٌ) و(أَشْرِكُهُ).....

فهرس الموضوعات

- 201..... النموذج الخامس: السياق الداخلي وتوجيه القراءة في قوله تعالى (يكون)
- 202..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية
- 203..... المطلب الثاني: السياق وعلم المناسبات
- 203..... المناسبة لغة
- 203..... المناسبة اصطلاحا
- 204..... أنواع المناسبات
- 205..... العلاقة بين السياق وعلم المناسبات
- 205..... النماذج التطبيقية:
- 205..... النموذج الأول: السياق ومناسبة قوله تعالى (قَدِيرٌ)
- 207..... النموذج الثاني: السياق والمناسبة في قوله تعالى (تَمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا)
- 208..... النموذج الثالث: السياق والمناسبة في قوله تعالى (وَإِخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)
- 210..... النموذج الرابع: السياق والمناسبة في قوله تعالى (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ)
- 211..... النموذج الخامس: السياق والمناسبة في قوله تعالى (هَارُونَ وَمُوسَى)
- 213..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية
- 215... الفصل الرابع: الدراسة التطبيقية لتوظيف ابن عطية للسياق الخارجي**
- 215..... المبحث الأول: أسباب النزول (سياق الحال)**
- 215..... المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول:
- 216..... أسباب النزول لغة
- 217..... أسباب النزول اصطلاحا
- 218..... المطلب الثاني: أهمية معرفة أسباب النزول
- 219..... النماذج التطبيقية:
- 219..... النموذج الأول: وقت نزول الآية وبيان توجه الخطاب لمعنيين
- 221..... النموذج الثاني: قضية الآية وسببها وأثره في اتساق المعنى

فهرس الموضوعات

- 222..... النموذج الثالث: رواية سبب النزول لبيان المعنى
- 224..... النموذج الرابع: التازم بين السباق ورواية سبب النزول
- 226..... النموذج الخامس: رواية سبب النزول وبيان مرجع الضمير في قوله تعالى (وَقَالُوا).....
- 228..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 229..... المبحث الثاني: المكي والمدني (السياق المكاني والزمني)**
- 230..... المطلب الأول: مفهوم المكي والمدني.....
- 231..... المطلب الثاني: أهمية معرفة واعتبار المكي والمدني في التفسير.....
- 232..... النماذج التطبيقية:
- 232..... النموذج الأول: السياق المكاني (المكي) ورد قول به.....
- 234..... النموذج الثاني: السياق المكاني (المكي والمدني) ورد قول بهما.....
- 236..... النموذج الثالث: السياق المكاني (المكي والمدني) وتعيين القرية في الآية.....
- 238..... النموذج الرابع: السياق المكاني والزمني وبيان المعنى الصحيح.....
- 241..... النموذج الخامس: السياق المكاني (المكي) وترجيح قول في الآية.....
- 242..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 243..... المبحث الثالث: الحديث النبوي**
- 243..... النماذج التطبيقية:
- 243..... النموذج الأول: الحديث النبوي ومعنى (العَفْو) في الآية.....
- 245..... النموذج الثاني: الحديث النبوي وبيان معنى الآية (وَمَا تَأْتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ).....
- 246..... النموذج الثالث: الحديث النبوي وبيان معاني الآية (وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا).....
- 248..... النموذج الرابع: الحديث النبوي وبيان معنى (الفتنة) في قوله تعالى (حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً).....
- 251..... النموذج الخامس: الحديث النبوي وبيان معنى قوله تعالى (فَزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ).....
- 254..... الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
- 255..... المبحث الرابع: السياق الاجتماعي**

فهرس الموضوعات

255.....	النماذج التطبيقية:
255.....	النموذج الأول: العادات الاجتماعية ودورها في بيان معنى الآية.....
256.....	النموذج الثاني: السياق الاجتماعي لعادات العرب في الجاهلية.....
258.....	النموذج الثالث: السياق الاجتماعي وبيان قوله تعالى: (وَعَلَامَاتٍ).....
260.....	النموذج الرابع: السياق الاجتماعي وضرب المثل في الآية بـ(الدُّبَابُ).....
261.....	النموذج الخامس: السياق الاجتماعي وبيان لمعاني في قوله تعالى: (الْمَسَاجِدُ).....
264.....	الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
265.....	المبحث الخامس: السياق القصصي
265.....	المطلب الأول: مفهوم القصة.....
266.....	المطلب الثاني: مفهوم القصص القرآني.....
266.....	النماذج التطبيقية:
266.....	النموذج الأول: السياق القصصي لقوله تعالى (الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ).....
270.....	النموذج الثاني: السياق القصصي لنبي الله إبراهيم عليه السلام و(النمرود).....
272.....	النموذج الثالث: السياق القصصي لقوله تعالى (أَوْذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا).....
274.....	النموذج الرابع: السياق القصصي ومعنى قوله تعالى (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ).....
275.....	النموذج الخامس: السياق القصصي ومعنى قوله تعالى (وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ).....
278.....	الفوائد المنهجية من خلال النماذج التطبيقية.....
280.....	الخاتمة
285.....	الفهارس
286.....	فهرس الآيات القرآنية.....
313.....	فهرس الأحاديث النبوية.....
314.....	قائمة المصادر والمراجع.....

فهرس الموضوعات

331.....	فهرس الموضوعات
343.....	الملخصات
343.....	ملخص باللغة العربية
344.....	ملخص باللغة الإنجليزية
345.....	ملخص باللغة الفرنسية

ملخص باللغة العربية:

يعتبر هذا البحث دراسةً لتفسير (المحرر الوجيز) لابن عطية الأندلسي، تم التطرق من خلاله إلى بيان أهمية السياق في تفسيره، وبيان مدى توظيفه له وتأثيره عليه في شتى مناحي المباحث التفسيرية، سواء منها اللغوية الداخلية المتمثلة في السباق واللحاق، ببيان معاني المفردات والآيات، أو السياق الخارجي بشتى أنواعه، في محاولة لاستخراج منهج أصيل من مناهج المفسرين القدماء يستفاد منه في التنظير والتطبيق.

وقد تضمن البحث قبل ذلك إفراد فصلٍ نظري لبيان أهمية السياق، ومدى ضرورة اعتباره في تفسير القرآن الكريم، تبين من خلاله بأن السياق منهج وظيفي ضروري قد كان حضوره في تفسير القرآن الكريم من عهد النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك الصحابة من بعده، وعلى هذا النهج مشى أئمة التفسير بعدهم، وتم الاستشهاد على ذلك بأمثلةٍ تدل على قِدَم اعتبار السياق وأصالة هذا المنهج من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر.

وقد كان ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- من المفسرين الذين اعتنوا بالسياق في تفسيره، فقد وظّفه توظيفاً متنوعاً، في منهج متكامل ومترابط، ساعده على ذلك تضلُّعه في علوم اللغة العربية، التي تعتبر المادة الخام للسياق الداخلي البنيوي، وعلوم القرآن المتعلقة بالسياق الخارجي، من أسباب النزول، والمكي والمدني، والقصص، والسياق الاجتماعي؛ فوظّف السياق الداخلي بشتى أنواعه، سواء في التفسير وبيان المعاني، أو الاستنباط، أو الترجيح والتضعيف ورد الأقوال وبيان ضعفها، أو في بيان المناسبات بين الآيات، وربط سابقها بلاحقها، وبيان أغراضها ومقاصدها، بالإضافة إلى توظيفه لأحداث اجتماعية في عصره استحضرها في الدرس التفسيري لبيان معنى الآية، أو التحذير من عادة سيئة، وتم توضيح ذلك من خلال النماذج التطبيقية الدالة على ذلك.

2- Summary in English:

This research study examines Ibn 'Atiyyah's Tafsir al-Muḥarrar al-Wajīz and highlights the significance of context in his interpretation. It explores the extent to which he employs and utilizes context in various aspects of Quranic exegesis, including internal linguistic features such as cohesion and coherence in explaining the meanings of words and verses, as well as external contextual factors. The aim is to extract an authentic methodology from the approaches of ancient exegetes that can be utilized in theoretical and practical applications.

Prior to delving into Ibn 'Atiyyah's approach, the research dedicates a theoretical chapter to emphasize the importance of context and its essential consideration in Quranic interpretation. It demonstrates that context has been a functional and necessary method since the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him), as well as among his companions and subsequent exegetes. The research provides examples that illustrate the historical significance and authenticity of considering context from the time of the Prophet until the present era.

Ibn 'Atiyyah, may Allah have mercy upon him, is among the exegetes who gave due attention to context in his interpretation. He employed it in a diverse and integrated methodology, aided by his expertise in the Arabic language, which serves as the foundation for internal textual context. Additionally, his knowledge of Quranic sciences related to

external contextual factors, such as the reasons for revelation, Makkan and Madinan verses, narratives, and societal aspects, enabled him to utilize contextual analysis. He employed various forms of internal contextual analysis in interpreting and explaining meanings, inferencing, making comparative assessments, refuting weak opinions, elucidating interconnections between verses, and highlighting their purposes and objectives. Furthermore, he effectively employed contemporary social events in his era to elucidate the meaning of Quranic verses or to warn against negative practices. These points are further clarified through relevant practical examples.

2-Résumé en Français

Cette étude est considérée comme une analyse du Tafsir al-Muḥarrar al-Wajīz d'Ibn 'Atiyyah al-Andalusi, où l'importance du contexte dans son interprétation a été abordée, ainsi que l'étendue de son utilisation et de son impact dans différents aspects de la recherche exégétique. Cela inclut les aspects linguistiques internes tels que la cohésion et la cohérence, dans l'explication des significations des mots et des versets, ainsi que les contextes externes sous leurs différentes formes. L'objectif était d'extraire une méthodologie authentique des approches des anciens exégètes, qui pourrait être bénéfique dans la théorisation et l'application.

Préalablement à cela, l'étude a consacré un chapitre théorique pour mettre en évidence l'importance du contexte et la nécessité de le considérer dans l'interprétation du Saint Coran. Cela a permis de démontrer que le contexte était une méthode fonctionnelle et

nécessaire, présente dans l'interprétation du Saint Coran depuis l'époque du Prophète Muhammad (paix soit sur lui), ainsi que parmi ses compagnons, et que les imams exégètes ultérieurs ont suivi cette approche. Des exemples ont été cités pour souligner l'ancienneté de la prise en compte du contexte et l'authenticité de cette méthode, depuis l'époque du Prophète Muhammad jusqu'à notre époque actuelle.

Ibn 'Atiyyah al-Andalusi, que Dieu lui fasse miséricorde, faisait partie des exégètes qui ont accordé une attention particulière au contexte dans son interprétation. Il l'a utilisé de manière variée, dans une méthodologie intégrée et cohérente, soutenue par sa maîtrise des sciences de la langue arabe, qui constituent la base du contexte textuel interne structurel, ainsi que des sciences coraniques liées au contexte externe, tels que les raisons de la révélation, les versets mecquois et médinois, les récits et les aspects sociaux. Il a utilisé diverses formes d'analyse contextuelle interne, que ce soit dans l'interprétation et l'explication des significations, dans l'inférence, dans l'évaluation comparative, dans la réfutation des opinions faibles, ou dans la mise en évidence des relations entre les versets, en exposant leurs objectifs et leurs intentions. De plus, il a également utilisé des événements sociaux contemporains de son époque pour clarifier le sens des versets coraniques ou pour mettre en garde contre de mauvaises pratiques. Ces points sont illustrés à travers des exemples pratiques pertinents.

يتناول هذا البحث تفسير "المحرر الوجيز" لابن عطية الأندلسي، وبيان مدى توظيف السياق على تفسيره، من خلال بيان كيفية توظيفه له في شتى مناحي المباحث التفسيرية، سواء منها اللغوية الداخلية المتمثلة في السباق واللاحق، ببيان معاني المفردات والآيات، أو السياق الخارجي بشتى أنواعه، ومقارنة هذا التوظيف مع بعض المفسرين المعتمدين به، وبيان طريقة توظيفه بما يميزه عن غيره من المفسرين، وقد تضمن البحث قبل ذلك إفراد فصلٍ نظيري لبيان أهمية السياق، ومدى ضرورة اعتباره في تفسير القرآن الكريم، من عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر، وقد ظهر أنّ ابن عطية الأندلسي من المفسرين الذين اعتنوا بالسياق في تفسيره، فقد وظّفه توظيفاً متنوعاً، في منهج متكامل ومتربط.

الكلمات المفتاحية: ابن عطية، تفسير المحرر الوجيز، السياق، توظيف السياق.

2- Summary in English:

This research focuses on the interpretation of "Al-Muharrar al-Wajiz" by Ibn 'Atiyyah Al-Andalusi, and aims to explore the extent to which context is employed in his interpretation. It examines how he utilizes context in various aspects of interpretive studies, including internal linguistic context such as the preceding and the subsequent, in order to elucidate the meanings of words and verses, as well as external context in its different forms. It also compares Ibn 'Atiyyah's employment of context with other scholars who have addressed this topic, highlighting his distinctive approach. Prior to this analysis, the research includes a theoretical section emphasizing the significance of context and the necessity of considering it in the interpretation of the Holy Quran, from the time of the Prophet Muhammad until the present era. It becomes apparent that Ibn 'Atiyyah Al-Andalusi is among the scholars who have devoted attention to the utilization of context in a diverse manner within a comprehensive and interconnected methodology.

Keywords: Ibn Attia, Tafsir al-Muharraq al-Wajeez, Context, Employment of Context.

3-Résumé en français:

Cette recherche se focalise sur l'interprétation d'"Al-Muharrar al-Wajiz" par Ibn 'Atiyyah Al-Andalusi et vise à explorer dans quelle mesure il recourt au contexte dans son interprétation. Elle examine comment il utilise le contexte dans différents aspects des études interprétatives, incluant le contexte linguistique interne, tels que les éléments précédents et suivants, afin d'élucider les significations des mots et des versets, ainsi que le contexte externe sous ses diverses formes. Elle compare également l'emploi du contexte par Ibn 'Atiyyah à celui d'autres érudits qui ont abordé ce sujet, mettant en évidence son approche distinctive. Préalablement à cette analyse, la recherche comprend une section théorique soulignant l'importance du contexte et la nécessité de le prendre en considération dans l'interprétation du Saint Coran, depuis l'époque du Prophète Muhammad jusqu'à l'époque actuelle. Il devient manifeste qu'Ibn 'Atiyyah Al-Andalusi compte parmi les érudits qui ont consacré une attention particulière à l'utilisation du contexte de manière diversifiée, au sein d'une méthodologie exhaustive et interconnectée.

Mots-clés: Ibn Attia, Tafsir al-Muharrar al-Wajeez, Contexte, emploi du contexte.